ديوان الوقف الشيعي
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم

خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله
في
القرآن الكريم

تأليف
الشيخ علي بن حيدر الافتخاري

تحقيق
الشيخ مرتضى عبود مهدي

دار القرآن الكريم
في العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمانة العامة
العتبة الحسينية
المقدسة
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم

اسم الكتاب: خصائص النبي محمدﷺ في القرآن الكريم
المؤلف: الشيخ علي بن حيدر الافتخاري
تحقيق: الشيخ مرتضى عبود مهدي
تقويم ومراجعة: الشيخ ضياء بلاسم سعدون
نشر وإشراف: دار القرآن الكريم فرع قم المقدسة
طباعة وإخراج: رحمن قاسم محمد / علي سعدون كاظم
المطبعة: زلال كوثر
الطبعة: الأولى ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨م
عدد النسخ: ٥٠٠

جميع الحقوق محفوظة

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وآل بيته الطيبين الطاهرين

وبعد، فإنّ التعرّف على سيرة النبيّ محمدﷺ ومعرفة جوانب حياته الشريفة له قيمةٌ علميةٌ وثمرةٌ عمليةٌ ؛ لأنهﷺ أسوةٌ وقدوةٌ، حيث قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ لَكمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكرَ ٱللَّهَ كثِيراً﴾[1]،

وقد تناولت كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى حياة وسيرة النبيّ الأعظمﷺ من جميع جوانبها المختلفة، ومن المفردات التى طرحت فى مجال السيرة النبوية وخُصّص لها أبواباً وكتباً مستقلة خصائص النبيّﷺ. اذ أولى علماء الإسلام خصائص النبيّ الأكرمﷺ أهميةً كبيرةً، فكتب فيها العديد من العلماء ضمن مجاميعهم التفسيرية والحديثية، وكُتب التاريخ والسيرة النبوية، وأُفردت كذلك لخصائص النبيﷺ كتباً مستقلةً.

ونظرا لما نمرّ به اليوم من هجمة شرسة ضد الإسلام ومبادئه السامية وما نشهده

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

من محاولات عديدة لتشويه صورة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله من قبل الاستكبار العالمي الغربي، فقد ارتأت دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة (فرع قم) ومواصلةً لنشاطها في مجال البحث العلمي والتعليمي أن تقوم بطباعة ونشر الكتاب الذي بين يديك (**خصائص النبيّ محمد صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم**) للشيخ علي الافتخاري رحمه الله لأهميته في مجال الدفاع عن نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله في العصر الراهن، وتميّزه في استيحائه لخصائص النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من آيات القرآن الكريم واستشهاده بروايات أهل البيت عليهم السلام وكتب التفاسير المعتبرة لدى الفريقين.

وقد أخذت الدار على عاتقها ومن خلال كادرها المتخصّص تحقيق وتدقيق ومراعاة الضوابط العلمية والفنيّة التي يتطلّبها النتاج العلمي، سائلين المولى سبحانه أن يتقبل منّا إنّه سميع عليم.

والحمد لله رب العالمين

دار القرآن الكريم

قم المقدسة

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ونستعينك ونسألك أن تصلّ على نبيّك المصطفى، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد في الأوَّلين، وصلِّ على محمد وآل محمد في الآخرين، وصلِّ على محمد وآل محمد في الملأ الأعلى، وصلِّ على محمد وآل محمد في المرسلين، اللهم أعطِ محمداً الوسيلةَ والشرفَ والفضيلةَ والدرجةَ الكبيرة ، اللهم إني آمنتُ بمحمدٍ وآله ولم أرَه، فلا تَحرمني يوم القيامةِ رؤيتَه وارزقني صُحبتَه، وتَوفَّني على ملّتِه، واسقني من حوضه مشرباً رويّاً سَائغاً هَنيئاً لا أظمأُ بعدهُ أبداً، إنّك على كلّ شيء قدير، اللهم كما آمنتُ بمحمدٍ صلّى الله عليه وآله ولم أره ، فأرني في الجنان وجهه، اللهم بلّغ روح محمدٍ عنّا تحيةً كثيرةً وسلاماً.

وبعد، فإنّ التعرّف على سيرة النبيّ محمدﷺ ومعرفة جوانب حياته الشريفة له قيمةٌ علميةٌ وثمرةٌ عمليةٌ كذلك؛ باعتباره ﷺ أُسوةً وقدوةً لجميع البشر، حيث قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كانَ لَكمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكرَ ٱللَّهَ كثِيراً**﴾[1]، كما أنّنا مأمورون باتباع سنّته ﷺ، حيث قال الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكمُ ٱلرَّسُولُ**

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَـٱنتَهُواْ﴾[1].

وقد تناولت كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي حياة وسيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله من جميع جوانبها المختلفة، فمنها ما تناول المغازي، وبعضها تناول مكاتيب الرسول، وبعضها تطرّق لأخلاق وشمائل وفضائل الرسول، وبعضها اهتم بدلائل النبوّة.

ومن المفردات التي طرحت في مجال السيرة النبوية وخُصّص لها أبواباً وكتباً مستقلةً هي: (**خصائص النبيّ** صلى الله عليه وآله)، حيث تمّ التطرّق من خلالها إلى خصوصيات النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله والامتيازات التي منحها الله تعالى له.

فقد جاءت الآيات القُرآنية تُصرّح بعُلوّ منزلته الكريمة صلى الله عليه وآله وأنّه أعلى النّاس قدراً، وأعظمهم محلاّ، وأكملهم محاسن وفضلاً. وأنّ الله تعالى قد اختصّ عبده ورسوله محمّداً صلى الله عليه وآله دون غيره من الأنبياء عليهم السلام بخصائص كثيرةٍ، تشريفاً له وتكريماً؛ مما يدلّل على جليل رتبته وشريف منزلته عند ربّه.

ففي الدنيا آتاه الله القُرآن العظيم المعجزة المحفوظة الخالدة، وأرسله إلى الخلقِ كافّة، وخَتَم به النبّيين... إلى غير ذلك مِن الخصائص. وفي الآخرة أكرمه بالشّفاعة العظْمى، والحوض المورود، والمقام المحمود... إلى غير ذلك من الخصائص التي سيأتي ذكرها في طيّات هذا الكتاب.

وخصائص النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ـ بشكلٍ عامٍّ ـ هي ما اختصّ اللهُ تعالى

---

(١) سورة الحشر: ٧.

نبيّهُ صلى الله عليه وآله وفضّله بها على سائر الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام وكذلك على سائر البشر من أمّته وباقي الأمم.

ويمكن تقسيمها إلى:

ـ الخصائص الذاتية والتكوينية للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله والخصائص التشريعية له.

ـ خصائصه صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة.

ـ خصائصه التي امتاز بها صلى الله عليه وآله عن أمّته أو عن الأنبياء والأئمّة عليهم السلام.

حيث تشمل كلّ تلك الخصائص طيفاً واسعاً من شمائل النبيّ وأخلاقه وأفعاله والوقائع التي حدثت في زمانه من كراماتٍ ومعجزاتٍ وتشريعاتٍ خاصةٍ به صلى الله عليه وآله، وتشمل حتى خصوصيات أُمّته صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

وأشار البعض ممّن كتب في خصائص النبي صلى الله عليه وآله إلى التمايز والاختلاف بين الخصائص التي انفرد بها النبيّ صلى الله عليه وآله وبين فضائله أو معاجزه وكراماته صلى الله عليه وآله، أو إلى ما كانت من الخصائص مشتركة بينه وبين باقي الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام، ألاّ أنّ المصنف هنا أشار إلى خصائص النبيّ بشكلٍ عامٍّ مرتّباً إياها على تريتب السور القرآنية.

وقد أولى علماء الإسلام خصائص النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أهميةً كبيرةً، فكتب في ذلك العديد من العلماء ضمن مجاميعهم التفسيرية والحديثية وكُتب التاريخ والسيرة. وأُفردت للخصائص كذلك كتباً مستقلةً، ومنها:

١- **(الدّر الثمين في خصائص النبيّ الأمين)** لابن الجوزي الحنبلي

(ت٥٩٧هـ)، وهو أوّل من أفرد الخصائص في كتاب.

٢- (**نهاية السؤل في خصائص الرسول**) لعمر بن الحسن بن دحية الكلبي (ت٦٣٣هـ)، حيث أفرد الخصائص النبوية في كتاب.

٣- (**منية السؤل في فضل الرسول**) لسلطان العلماء عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ)

٤- (**الإبريز الخالص عن الفضة في إبراز خصائص المصطفى التي في الروضة**) لعبد الرحمن بن عمر البُلْقيني (ت ٨٤٢ هـ).

٥- (**الأنوار بخصائص النبي المختار**) للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢ هـ).

٦- (**تعاليق على الخصائص النبوية**) لابن الهائم أحمد بن محمد (ت٨١٥ هـ).

٧- (**خصائص سيد العالمين**) ليوسف بن محمد بن مسعود العبادي الدمشقي (ت٧٧٦هـ).

٨- (**خصائص النبي ﷺ**) لمغلطاي (ت٧٦٢هـ).

٩- (**خصائص النبي ﷺ**) لعمر بن علي الأنصاري (ت٨٠٤ هـ).

١٠- (**رسالة في خصائص النبي ﷺ**) لعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (٦٥١هـ).

١١- (**شرح الشمائل النبوية**) لابن نور الدين محمد بن عفيف بن محمد (ت٨٤٧ هـ).

١٢- (**شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه**) لأبي الفداء بن

كثير (ت٧٧٤ هـ).

١٣- (**غاية السؤل في خصائص الرسول**صلى الله عليه وآله) لسراج الدين عمر بن علي ابن الملقن (ت٨٠٤ هـ).

١٤- (**اللفظ المكرّم بخصائص النبي**صلى الله عليه وآله) لمحمد بن محمد بن عبد الله الخيضري (ت٨٩٢ هـ).

١٥- (**المقتفى في ذكر فضائل المصطفى**) لحسن بن عمر بن حبيب الحلبي (ت٧٧٩ هـ).

١٦- (**حُسنُ الاِقتِصاص لِما يتعلّق بالاختصاص**) لبدر الدين محمد ابن الدماميني(ت ٨٢٨ ق).

١٧- (**كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب**) وهو من أهمّ الكتب التي تناولت خصائص النبي، ومعروف بـ(**الخصائص الكبرى**) وقد كتبه جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ). وهو يشتمل على ما يقارب ٥٧٠ باباً، يتناول فيها خصائص النبيّ محمدصلى الله عليه وآله بشكل عام.

وقام السيوطي نفسه باختصاره في كتاب أطلق عليه: (**أُنموذج اللبيب في خصائص الحبيب**).

وقد قام بتلخيص: (**كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب**) كذلك عبد المجيد بن محرم السيواسي الحنفي (ت١٠٤٩هـ)، وعبد الوهاب الشعراني (ت٩٧٢ هـ).

وهناك شرحان على كتاب: (**أُنموذج اللبيب في خصائص الحبيب**)

كبير وصغير، كتبهما عبد الرؤوف المناوي، وهناك شرح كتبه محمد بن أحمد الأهدل بعنوان: (**فتح الكريم القريب**).

وقد كتب علماء الشيعة حول الخصائص النبوية وخصائص أئمة أهل البيت عليهم السلام كذلك، ومن الكتب التي انفردت لديهم بعنوان الخصائص النبوية:

- كتاب (**خصائص النبيّ**) كتبه أحمد بن محمد بن دؤل القمي (ت ٣٥٠ هـ).

- **بررسي تطبيقي خصائص النبي** صلى الله عليه وآله (دراسة مقارنة حول خصائص النبي صلى الله عليه وآله) للسيد محمد النقيب (من علماء الشيعة المعاصرين) كتبه باللغة الفارسية ، وهي رسالة دكتوراه قدّمت في الحوزة العلمية في قم المقدسة، تناول فيها بالدراسة والتحقيق والمقارنة خصائص النبيّ صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم.

- (**كتاب خصائص النبيّ محمد صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم**) للشيخ علي الافتخاري، وهو الكتاب الماثل بين يديك، ويعدّ من أهمّ المصنفات الشيعية المعاصرة في هذا المجال حسب التتبع والتقصّي، حيث قام المؤلف رحمه الله باستخراج خصائص النبي صلى الله عليه وآله من القرآن الكريم، وجمع فيه ما استطاع من خصائصه مستوحياً ذلك من آيات القرآن والروايات الشريفة وكتب التفاسير المعتبرة لدى الفريقين.

وقد اعتمد المؤلف في مصادره على كتب الحديث والتفسير الموثوقة لدى الشيعة والسنّة، حيث كانت بعض هذه التفاسير روائيةً كـ (**الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور**) **لجلال الدين السيوطي**، والبعض الآخر منها ما كان لها

طابعاً اجتماعياً كـ (**تفسير المنار**) **لمحمد رشيد رضا**، و(**تفسير في ظلال القرآن**) **لسيد قطب**، أو فلسفياً **كتفسير الرازي**، أو بلاغياً **كتفسير الكشاف للزمخشري**، أو صوفياً **كتفسير روح البيان لإسماعيل حقي الخلوتي**.

وأما من تفاسير الشيعة، فقد اعتمد المصنف رحمه الله على (**مجمع البيان**) للطبرسي، و(**تفسير التبيان**) للطوسي، و(**تفسير الميزان**) للعلامة الطباطبائي، ومن التفاسير الروائية عند الشيعة التي اعتمد عليها: (**تفسير البرهان**) للسيد هاشم البحراني، و(**تفسير نور الثقلين**) للشيخ الحويزي، و(**تفسير كنز الدقائق**) للشيخ محمد بن محمد رضا القمي.

فجمع بذلك بين كتب التفسير بأغراضها المختلفة وأهمّ التفاسير المعتمدة لدى السنّة والشيعة، وكتب التفاسير القديمة والحديثة، محاولاً بذلك أن يبيّن تفسير ومطالب الآيات التي يستشهد بها على خصائص النبي الأكرم بمعانيها وجوانبها وأغراضها المختلفة ومن أصولها المعتمدة.

ويعدّ الكتاب فريداً من نوعه في التطرّق إلى خصائص النبيّ محمد صلى الله عليه وآله من القرآن الكريم. حيث أشار فيه المؤلف إلى أهم الخصائص التي يمكن استيحاؤها من الآيات القرآنية الكريمة وتدعيمها بالروايات والآراء الواردة في التفاسير المعتبرة لدى الفريقين، مرتّباً الخصائص حسب ترتيب السور القرآنية ، فأحصى بذلك ثماني وأربعين خصيصة، وشرع فيه كما ذكر المصنف رحمه الله: (في الشهر الثاني من شهور فصل الصيف سنة ١٤٢١ للهجرة في بلدة قم صانها الله عن الآفات والحدثان).

ترجمة المؤلف[1]

هو علي بن ملاّ حيدر بن ملاّ حبيب الافتخاري، ولد في سنة ١٣٠٤ هجري شمسي في مدينة گلپايگان في إيران، وهو ينحدر من عائلةٍ معروفةٍ بالعلم والتقوى، وكانت وفاته رحمه الله أثناء زيارته للعتبات المقدسة في العراق في الخامس عشر من شهر ربيع الأول من عام ١٣٨٩ هجري شمسي، ودفن في وادي السلام في النجف الأشرف.

أكمل الدراسة الإبتدائية والتحق بالإعدادية في مدينة گلپايگان، إلا أنّه لم يكملها لوفاة والده. حيث التحق بعدها بحوزةٍ علميةٍ تابعة لآية الله العظمى الشيخ الوحيد الگلبايگاني قدس سره في قريةٍ من قرى گلبايگان تسمى (كوكد). درس فيها بعض كتب المقدّمات في الحوزة.

ومن ثم انتقل إلى حوزة قم المقدسة في زمان وفاة المرحوم آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني (أعلى الله مقامه)، ودرس قسماً من السيوطي والمغني والحاشية والشمسية في قم المقدسة عند الشهيد الشيخ مفتّح، والمرحوم مهدي الحائري، والشيخ علي بناه الاشتهاردي.

ودرس شرح اللمعة الدمشقية عند الشهيد آية الله صدوقي رحمه الله، وكتاب المعالم في الأصول عند الشيخ أحمد الغروي رحمه الله، ومقداراً من المطوّل عند

---

(١) اعتمدنا ترجمة المؤلف من كتاب: دانشمندان گلبايگان (علماء گلبايگان)، الشيخ رضا استاذي: ج٢، ص١١١. (المحقق)

المرحوم آية الله المنتظري رحمه الله والشيخ عزيز الله النهاوندي رحمه الله، ودرس قسماً من الفصول عند الشيخ مهدي المازندراني، وكتاب الرسائل عند الشيخ عبد الجواد سدهي وميرزا محمد المجاهدي التبريزي، والشيخ عبد الرزاق القائيني (قدس الله أسرارهم)، ودرس كتاب المكاسب عند السيد حسن المدرّس اليزدي رحمه الله، ودرس الكفاية عند آية الله سلطاني رحمه الله والمرحوم آية الله المجاهدي.

ودرس قسماً من منظومة الحكيم السبزواري عند آية الله بهجت رحمه الله، والقسم الآخر عند العلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله. ودرس قسماً من كتاب شرح التجريد عند المرحوم آية الله العظمى السيد أحمد الخونساري رحمه الله، وقسماً منه عند الشيخ عبد الرزاق القائيني رحمه الله، وقسماً آخر عند السيد محمد حسين القاضي التبريزي رحمه الله، وحضر جلسات تفسير القرآن الكريم للمرحوم آية الله العلامة الطباطبائي رحمه الله.

ورحل إلى النجف الأشرف بعد وفاة آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله بعدّة سنوات، وبقي فيها عاماً ونصف حضر فيها درس الخارج في المكاسب للمرحوم آية الله العظمى السيد جمال الدين الگلبايگاني رحمه الله، ودرس الخارج في الأصول للمرحوم آية الله العظمى الخوئي رحمه الله، وقرّر درسه من أوّل مباحث الألفاظ وإلى بحث المفاهيم، وحضر في شهر رمضان درس آية الله الشيخ حسين الحلي رحمه الله، وحضر كذلك بحث الخارج في الفقه للميرزا باقر الزنجاني رحمه الله، ودرس الخارج

في الطهارة و الصلاة للمرحوم آية الله الشاهرودي رحمه الله. وكانت لديه مباحثات علمية في المكاسب في النجف الأشرف مع المرحوم آية الله مرتضى البروجردي رحمه الله.

وعند عودته إلى قم المقدسة حضر وبشكل منتظم درس الخارج في الفقه لآية الله البروجردي رحمه الله، وآية الله العظمى الگلبايگاني رحمه الله، وحضر درس الخارج في الأصول عند الإمام الخميني قدس سره.

وكان لديه جلسات بحثٍ علمي في قم المقدسة مع كلٍّ من آية الله السيد على بطحائي رحمه الله، وآية الله صابري همداني، وآية الله السيد محمد علم الهدى.

الكتب التي ألفها المرحوم الشيخ علي الافتخاري:

١- رسالة في الفرق بين قاعدة التجاوز والفراغ، وهي تقريرٌ لدرس المرحوم آية الله العظمى البروجردي قدس سره.
٢- تعليقة على خيارات المكاسب للشيخ الأنصاري رحمه الله. وهي من تقريرات بحث آية الله الگلبايگاني قدس سره.
٣- أبحاث تفسيرية موضوعية من القرآن الكريم. وهي تقريرٌ لبحث آية الله العلامة الطباطبائي قدس سره.
٤- رسالة أصولية، وهي تقريرٌ لبحث الأصول للإمام الخميني قدس سره.
٥- ثلاث رسائل في الحج. وهي تقرير لبحث آية الله العظمى الگلبايگاني قدس سره، حيث كانت هناك تصحيحات بخطّ المرحوم الگلبايگاني على إحدى تلك الرسائل.

٦- تفسير آيات الأمثال من القرآن الكريم.
٧- أربع مجلدات لخطب يوم الجمعة التي كان يلقيها طيلة أربع سنوات (في إيران).
٨- كتاب عظيم القدر في أحوال الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف.
٩- رسائل متعددة تتعلق بأيام وليالي شهر رمضان المبارك.
١٠- رسائل متعددة في أحوال الأئمة الإثني عشر.
١١- رسالة كبيرة في أمّهات مسائل الحج (آراء المراجع في الحج). طبع أربع مرات.
١٢- كتاب صغير كثير الفائدة في الحج وباللغة الفارسية، وعنوانه (قبل از حج بخوانيد).
١٣- حج الأنبياء والأئمة عليهم السلام.
١٤- الحج والعمرة ومعرفة الحرمين.
١٥- أحكام العمرة (باللغة الفارسية). طبع أكثر من عشر طبعات.
١٦- كتاب خصائص النبيّ محمد صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم.

الإجازات والوكالات التي حصل عليها من المراجع العظام:

١- آية الله العظمى السيد محسن الحكيم قدس سره.
٢- آية الله العظمى السيد عبد الهادي الشيرازي قدس سره.
٣- آية الله العظمى السيد جمال الدين الگلبايگاني قدس سره.
٤- آية الله العظمى الشيخ علي الآراكي قدس سره.
٥- آية الله العظمى الشيخ بهجت قدس سره.
٦- آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي قدس سره.

٧- آية الله العظمى السيد محمد الروحاني قدس سره.

٨- آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي قدس سره.

٩- آية الله العظمى الشيخ المنتظري قدس سره.

ومن المراجع الأحياء:

١٠- آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظله).

١١- آية الله العظمى الشيخ الصافي الگلبايگاني (دام ظله).

منهجنا في التحقيق:

كان العمل على هذا الكتاب وتحقيقه يعتمد على عدة مراحل:

١- تخريج الآيات القرآنية وضبطها.

٢- تخريج الأحاديث الشريفة المروية عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام من مصادرها المعتبرة.

٣- تخريج النصوص المقتبسة من التفاسير والمصادر التي اعتمدها المصنف.

٤- توضيح بعض المصطلحات المبهمة من المعاجم اللغوية.

٥- ترجمة بعض الشخصيات والتعريف ببعض الكتب غير المشهورة.

٦- الإشارة في الهامش إلى الإضافات التي يوردها المصنف للتوضيح أثناء اقتباسه لبعض النصوص، وذلك من خلال وضع توضيحات المصنف بين معقوفتين.

٧- ترجمة بعض الجمل أو الأبيات الشعرية التي يوردها المصنّف في

الكتاب من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية.

٨- تدقيق نصوص الكتاب والتعليقات التي أوردناها، بعد إنهاء عملية التحقيق والمراجعة النهائية.

٩- اعتمدنا في تحقيق الكتاب على المصادر المثبتة في مكتبة أهل البيت عليهم السلام في القرص المدمج (الإصدار الثاني).

شكر وتقدير

وأخيراً نتقدم بالشكر الوافر لسماحة الحجة المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (حفظه الله) على رعايته الكاملة لعموم مشاريع العتبة الحسينية المقدسة ولعنايته الخاصة بإحياء تراث علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، نسأل المولى القدير أن يخصّه بألطافه وأن يزيد في توفيقاته .

كما نتقدّم بالإمتنان الكبير لقسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة ولمسؤولها سماحة الشيخ حسن المنصوري (حفظه الله) على متابعته الجادّة واهتمامه الكبير لإنجاح العمل القرآني وتطويره.

وشكرٌ خاصّ لمسؤول فرع الدار في قم المقدسة الشيخ نعمة النجار والكادر العلمي والفني وكلّ من ساهم في إنجاز هذا الكتاب شكلاً ومضموناً، كما نلتمس العذر من المحققين والمطالعين إن وجدوا هفوةً أو كبوةً من سهو القلم أو عدم الإنتباه، آملين تزويدنا بمقترحاتهم ونظراتهم السديدة.

راجين أن يكون هذا الجهد المتواضع خطوةً في طريق إحياء تراث

علمائنا الأعلام، وخدمةً للقرآن الكريم ونشراً لمعارفه وعلومه، وسائلين المولى سبحانه أن يعفو عن الكثير ويتقبّل اليسير من أعمالنا، وينظر إليها بكرمه ولطفه ومرضاته، ويوفّقنا للمزيد ممّا يقرّبنا إليه إنّه سميع الدعاء.

مرتضى عبود مهدي

القسم العلمي في دار القرآن الكريم

قم المقدسة

١٧/جمادي الثاني/١٤٣٨هـ

مركز إحياء التراث الإسلامي

سـ تَلي

الحديث الأول: خصّنا صلى الله عليه وآله وسلم بالقبلة التي يرضاها وهي المستفادة من قوله تعالى

فلنولينك قبلة ترضاها. ونزد الجملة وقعت في الآية التي تضمنت تغيير القبلة وهي آية ١٤٤

من سورة البقرة وإليك الآية الكريمة: قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها

فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره الآية

قال العلامة الطباطبائي في الميزان: والآية الكريمة تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل نزول هذه الآية كان يقلّب وجهه

في آفاق السماء وأن ذلك كان انتظاراً منه أو توقعاً لنزول الوحي في أمر القبلة لما كان يحبّ أن يكرمه الله

بقبلة تخصّ به لا أنه كان لا يرضى ببيت المقدس قبلة وحاشا رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك

فإن الرضا بحكم الله لا يوجب السخط بخلافه بل اليهود على ما في الروايات الواردة في شأن نزول الآية كانوا

يعيّرون المسلمين في تبعيّة قبلتهم ويتفاخرون بذلك عليهم فحزن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله

فخرج في سواد الليل يقلّب وجهه في السماء وينتظر الوحي من الله سبحانه وكشف همّه فنزلت الآية الكريمة

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شَرَعْنَا في كتابنا (خصائص النبي محمّدﷺ في القرآن الكريم) في الشهر الثاني من شهور فصل الصيف سنة ١٤٢١ للهجرة في بلدة قم صَانَهَا اللهُ عن الآفات والحدثان. وقد جمعت فيه ما يقارب خمسين خصيصة من خصائص النبيﷺ في القرآن، أسأل الله تعالى أن يتقبلّه منّي بفضله وكرمه.وأستدعي ممّن يطالع هذا الكتاب أن ينظر بعين الرضا، ويحيطني علماً بموارد إصلاح ما جاء فيه، مع الإمتنان والشكر.

وأُذكّر الأخوة الكرام من أصحاب القلم والتأليف بأنّ خصائص النبيﷺ مختلفٌ فيها عند المحققين، فمنهم من ذكرها إجمالاً وعدّها أربعمائة وعشرين خصيصة، والذي جئت به في هذا الكتاب هي موارد عثرت عليها في القرآن الكريم، وبنظري القاصر فإنّها أنسب بعنوان هذا الكتاب، والعذر عند كرام الناس مقبول.

وأنا العبد الآثم

علي بن حيدر الافتخاري الگلبايگاني

عفى الله عنه وعن والديه

جمادي الثانية/ ١٤٢٣ للهجرة

الخصيصة الأولى

أنه صلى الله عليه وآله أتى بكتاب عجز عنه الخلق من الأولين والآخرين (من الجنّ والإنس) مع كونه أميّاً

ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَٱدْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

في (تفسير الميزان): «وقوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ أمرٌ تعجيزي لإبانة إعجاز القرآن، وأنّه كتاب منزل من عند الله لا ريب فيه، إعجازاً باقياً على مرّ الدهور وتوالي القرون. وقد تكرّر في كلامه هذا التعجيز، كقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[2].

وعلى هذا فالضمير في ﴿مِّثْلِهِ﴾ عائد إلى قوله تعالى: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾، ويكون تعجيزاً بالقرآن نفسه وبداعة أسلوبه وبيانه، ويمكن أن يكون الضمير راجعاً إلى قوله: ﴿عَبْدِنَا﴾ فيكون تعجيزاً بالقرآن من حيث أنّ الذي جاء به رجلٌ أمّيٌّ لم يتعلّم من معلّم، ولم يتلقّ شيئاً من هذه المعارف الغالية البديعة من أحدٍ من الناس.

---

(١) سورة البقرة: ٢٣.

(٢) سورة الإسراء: ٨٨.

وقد تحدّى بالنبيّ الأمّي... بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكمْ وَلَا أَدْرَاكم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1] فقد كان صلى الله عليه وآله بينهم وهو أحدهم لا يتسامى في فضلٍ ولا ينطق بعلمٍ، حتى لم يأتِ بشيءٍ من شعرٍ أو نثرٍ نحواً من أربعين سنة ـ وهو ثلثا عمره ـ... ثمّ أتى به دفعةً، فأتى بما عجزت عنه فحولهم، وكلّت دونه ألسنة بُلغائهم، ثم بثّه إلى أقطار الأرض، فلم يجترئ على معارضته معارضٌ، من عالمٍ أو فاضلٍ أو ذي لُبٍّ وفطانةٍ»[2].

وفي (**تفسير الفخر الرازي**): «الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾، إلى ماذا يعود؟ فيه وجهان:

أحدهما: أنّه عائدٌ إلى (ما) في قوله: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾، أي: فأتوا بسورة ممّا هو على صفته في الفصاحة وحسن النظم.

والثاني: أنّه عائدٌ إلى ﴿عَبْدِنَا﴾، أي: فأتوا ممّن هو على حاله من كونه بشراً أميّاً لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء.

والأول منهما مرويٌّ عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن وأكثر المحققين، ويدلّ على الترجيح، له وجوه»[3]. ثم ذكر وجوهاً خمسة للترجيح فراجع.

وفي (**تفسير المنار**): «رجوعه إلى ﴿عَبْدِنَا﴾ أرجح بدليل (من)

---

(١) سورة يونس: ١٦.

(٢) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١، ص٥٧ ـ ٦٣.

(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٢، ص١١٨.

الداخلة على مثله الدالة على النشوء، أي: فإن كان أحدٌ ممّن يماثل الرسول بالأميّة يقدر على الإتيان بسورةٍ فليفعل»[1].

وقال **سيد قطب** في قوله تعالى: ﴿**عَبْدِنَا**﴾: «يصف الرسول ﷺ بالعبوّدية لله تعالى... ولهذا الوصف في هذا الموضع دلالات منوّعة متكاملة: فهو أوّلاً: تشريفٌ للنبي وتقريبٌ بإضافة عبوديته لله تعالى دلالة على أن مقام العبودية لله هو أسمى مقام يدعى إليه بشر ويدعى به كذلك. وهو ثانياً تقرير لمعنى العبودية، في مقام دعوة الناس كافة إلى عبادة ربهم وحده، وإطراح الأنداد كلّها من دونه. فها هو ذا النبيّ في الوحي -وهو أعلى مقام- يُدعى بالعبودية لله ويشرّف بهذه النسبة في هذا المقام... والتحدّي هنا عجيب والجزم بعدم إمكانه أعجب، ولو كان في الطاقة تكذيبه لما توانوا عنه لحظة... ولقد كان المجال أمامهم مفتوحاً، فلو أنّهم جاءوا بما ينقض هذا [التحدّي][2] لانهارت حجيّة القرآن، ولكنّ هذا لم يقع ولن يقع كذلك»[3].

وفي (**تفسير أبي الفداء**): في قوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُوا**﴾: «في نفي التأييد معجزةٌ أخرى وهو أنّه أخبر خبراً جازماً قاطعاً مقدماً غير خائفٍ ولا مشفقٍ أنّ هذا القرآن لا يُعارَض بمثله أبد الآبدين ودهر الداهرين، وكذلك وقع الأمر لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا، ولا يمكن وأنّى يتأتّى ذلك لأحدٍ والقرآن كلام الله خالق كلّ شيءٍ، وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين،

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج١، ص١٦٠.

(٢) ما بين المعقوفتين إضافة من المؤلّف رحمه الله، وعبارة المصدر: (التقرير القاطع).

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب: ج١، ص٤٨.

ومن تدبّر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنوناً ظاهرةً وخفيّةً من حيث اللفظ ومن جهة المعنى... فجميعه فصيحٌ في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك... فإنّك إن تأمّلت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواءً كانت مبسوطةً أو وجيزةً، وسواءُ تكررت أم لا... لا يخلق عن كثرة الردّ ولا يملّ منه العلماء، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعرّ منه الجبال الصمّ الراسيات فما ظنّك بالقلوب الفاهمات، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان ويشوّق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن. كما قال في الترغيب: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ وقال: ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ**﴾[1]. وقال في الترهيب: ﴿**أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ...**﴾[2] و ﴿**ءَامِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**﴾[3]... وكذلك الكلام في سائر المقاصد مثل بيان الأحكام وبيان المعاد وتوصيف الأهوال وبيان وصف الجنة والنار»[4].

أقول: أتى محمّدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الكتاب وأنّى لغيره أن يأتي بمثله، وصلّى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

---

(١) سورة السجدة: ١٧.

(٢) سورة الإسراء: ٦٨.

(٣) سورة الملك: ١٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي: ج١، ص٦٣.

الخصيصة الثانية

اختصاصه صلى الله عليه وآله بالقبلة التي يرضاها

وهي المستفادة من قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ وهذه الجملة وقعت في الآية التي تضمّنت تغيير القبلة، وإليك الآية الكريمة: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[1].

قال العلاّمة الطباطبائي في (تفسير الميزان): «الآية الكريمة تدلّ على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبل نزول هذه الآية كان يقلّب وجهه في آفاق السماء، وأنّ ذلك كان انتظاراً منه، أو توقّعاً لنزول الوحي في أمر القبلة، لما كان يحبّ أن يكرّمه الله بقبلة تختص به، لا أنّه كان لا يرتضي بيت المقدس قبلةً، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك، فإنّ الرضا بشيءٍ لا يوجب السخط بخلافه، بل اليهود ـ على ما في الروايات الواردة في شأن نزول الآية ـ كانوا يُعيّرون المسلمين في تبعيّة قبلتهم، ويتفاخرون بذلك عليهم؛ فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج في سواد الليل يقلّب وجهه إلى السماء ينتظر الوحي من الله سبحانه وكشف همّه، فنزلت الآية الكريمة، ولو نزلت على البقاء بالقبلة السابقة لكانت حجّة له صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة البقرة: ١٤٤.

على اليهود، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا للمسلمين عار في استقبال قبلتهم. إذ ليس للعبد إلاّ الإطاعة والقبول، لكن نزلت بقبلةٍ جديدةٍ فقطع تعييرهم وتفاخرهم، مضافاً إلى تعيين التكليف، فكانت حجّةً ورضىً»[1].

وفي (مجمع البيان): «اختلف في سبب إرادته تحويل القِبلة إلى الكعبة، فقيل: لأنّ الكعبة كانت قِبلة أبيه إبراهيم عليه السلام وقِبلة آبائِه، عن ابن عباس. وقيل: لأنّ اليهود قالوا: يخالفنا محمد في ديننا ويتّبع قِبلتنا... وقيل: كانت العرب يحبّون الكعبة ويعظّمونها غاية التعظيم، فكان في التوجه إليها استمالةً لقلوبهم؛ ليكونوا أحرص على الصلاة إليها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله حريصًا على استدعائهم إلى الدين. ويحتمل جميع الوجوه، إذ لا تنافي بينها، وإنّما قال: ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ أراد به محبّة الطباع، لا أنّه كان يسخط القبلة الأولى»[2].

وفيه: عن ابن عباس أنّه قال: «البيت كلّه قِبلة، وقِبلة البيت الباب، والبيت قِبلة أهل المسجد، والمسجد قِبلة أهل الحرم، والحرم قِبلة أهل الأرض كلّها. وهذا موافق لما قاله أصحابنا: أنّ الحرم قِبلة من نأى عن الحرم من أهل الآفاق»[3].

وفي (تفسير المنار): «قال بعض المحقّقين: من كمال أدب الرسول صلى الله عليه وآله أنّه انتظر ولم يسأل. وهذا التوّجه هو الذي يحبّه الله تعالى ويهدي قلب صاحبه إلى ما يرجوه ويطلبه»[4].

---

(١)تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١، ص٣٢٥.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج١، ص٤٢٢.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج١، ص٤٢٣.

(٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج٢، ص١٣.

ونقل في (تفسير المنار) عن أستاذه **محمد عبده** أنّه قال: «ولا بُعد في تشوُّفه إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، وقد جاء بإحياء ملّته، وتجديد دعوته، ولا يُعدُّ هذا من الرغبة عن أمر الله إلى هوى نفسه، كلا إنّ هوى الأنبياء لا يعدُو أمر الله ـ تعالى ـ وموافقةَ رضوانه... إلى قوله: بل المقامُ أدقُّ والسرُّ أخفى، إنّ روحَ النبي صلى الله عليه وآله منطويةٌ على الدِّين في جُملتهِ قَبل أنْ ينزل عليه الوحيُ بتفصيل مسائله»[1].

وفي (تفسير الكشاف): «وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوقّع من ربّه أن يحوّله إلى الكعبة؛ لأنّها قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وادعى للعرب إلى الإيمان؛ لأنّها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم؛ ولمخالفة اليهود، فكان يراعي نزول جبرائيل عليه السلام والوحي بالتحويل) [فأعطاه الله ذلك][2]... وقيل: كان ذلك التحويل في رجب بعد زوال الشمس، ورسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد بني سلمة وقد صلّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحوّل في الصلاة واستقبل الميزاب، وحوّل الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال، فسمّى المسجد مسجد القبلتين»[3].

وعن الطبرسي عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «تحوّلت القبلة إلى الكعبة بعدما صلّى النبي صلى الله عليه وآله بمكّة ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس، وبعد مهاجرته إلى المدينة صلّى إلى بيت المقدس سبعة أشهر. قال: ثم وجّهه الله إلى الكعبة؛ وذلك أنّ اليهود كانوا يعيّرون رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقولون: أنت تابعٌ لنا، تصلّي إلى قبلتنا فاغتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك غمّاً شديداً، وخرج في جوف الليل

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج٢، ص١٢.

(٢)ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٣) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج١، ص٢٢٨.

ينظر إلى آفاق السماء، ينتظر من الله في ذلك أمراً. فلمّا أصبح وحضر وقت صلاة الظهر، كان في مسجد بني سالم قد صلّى من الظهر ركعتين، فنزل جبرئيل وأخذ بعضديه وحوّله إلى الكعبة، وأنزل عليه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1] وكان قد صلّى ركعتين إلى بيت المقدس، وركعتين إلى الكعبة، فقالت اليهود والسفهاء: ﴿...مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا...﴾[2]»[3].

وعن الإمام العسكري عليه السلام: «جاء قومٌ من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: يا محمد! هذه القبلة بيت المقدس قد صلّيت إليها أربع عشرة سنة ثم تركتها الآن، أفحقّاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل؟ أو باطلاً كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدّة، فما يؤمننا أن تكون الآن على الباطل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل ذلك كان حقاً، وهذا حق، يقول الله تعالى: ﴿...قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4]، إذا عرف صلاحكم في استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله في عباده، وقصده إلى مصالحكم»[5].

---

(١) سورة البقرة: ١٤٤.

(٢) سورة البقرة: ١٤٢.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج١، ص٤١٤؛ وعنه: تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني: ج١، ص٣٤٠.

(٤) سورة البقرة: ١٤٢.

(٥) الاحتجاج، الطبرسي: ج١، ص٤٤؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج١، ص١٣٣.

الحكمة في تحويل القبلة

قيل لأبي محمدٍ العسكري عليه السلام: يابن رسول الله، فلِمَ أمر بالقبلة الأولى؟ قال عليه السلام: «لما قال الله تعالى: ﴿...وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كنتَ عَلَيْهَا...﴾ البيت المقدس، ﴿...إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ...﴾[1] إلاّ لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد، وذلك أنّ هوى أهل مكّة كان في الكعبة، فأراد الله أن يبيّن متّبعي محمّد ممّن خالفه باتّباع القبلة التي كرهها، ومحمّد يأمر بها، ولمّا كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجّه إلى الكعبة؛ ليبيّن من يوافق محمداً فيما يكرهه، فهو مصدّقه وموافقه، ثم قال: ﴿...وَإِن كانَتْ لَكبِيرَةً إِلاَّ عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ...﴾[2] إن كان التوجه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت كبيرة إلاّ على من يهدي الله، فعرف أنّ لله أن يتعبد بخلاف ما يريده المرء؛ ليبتلي طاعته في مخالفة هواه...»[3].

رأي سيد قطب في حكمة التحويل

قال **سيد قطب**: «كلمة في حكمة تحويل القبلة واختصاص المسلمين بقبلةٍ خاصّةٍ بهم يتوجهون إليها. فقد كان هذا حادثاً عظيماً في تاريخ الجماعة المسلمة، وكانت له آثار ضخمة في حياتها. لقد كان تحويل القبلة أولاً عن الكعبة إلى المسجد الأقصى؛ لحكمة تربوّية أشارت إليها آية: ﴿...وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) الاحتجاج، الطبرسي: ج١، ص٤٦؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج١، ص١٣٦.

﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ...﴾[1]، فقد كان العرب يعظّمون البيت الحرام في جاهليتهم، ويعدّونه عنوان مجدهم القومي. ولمّا كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله، وتجريدها من التعلُّق بغيره، وتخليصها من كلّ نَعرةٍ وكلّ عصبيّة لغير المنهج الإسلامي المرتبط بالله، فقد نزعهم نزعاً من الاتجاه إلى البيت الحرام، واختار لهم الاتجاه ـ فترة ـ إلى المسجد الأقصى؛ لتخليص نفوسهم من رواسب الجاهلية، ومن كلّ ما كانت تتعلق به في الجاهلية؛ وليظهر من يتّبع الرسول اتّباعاً مجرداً من كلّ إيحاءٍ آخر، اتّباع الطاعة الواثقة المستسلمة، ممّن ينقلب على عقبيه اعتزازاً بنعرةٍ جاهليةٍ تتعلق بالجنس والقوم والأرض والتاريخ.

إلى أن قال: حتى إذا استسلم المسلمون، واتجهوا إلى القبلة التي وجّههم إليها الرسول صلى الله عليه وآله، وفي الوقت ذاته بدأ اليهود يتخذون من هذا الوضع حجّة لهم، صدر الأمر الإلهي الكريم بالاتجاه إلى المسجد الحرام. ولكنّه ربط قلوب المسلمين بحقيقةٍ أخرى بشأنه، هي: حقيقة الإسلام، حقيقة أنّ هذا البيت بناه إبراهيم وإسماعيل ليكون خالصاً لله، وليكون تراثاً للأمّة المسلمة التي نشأت تلبية لدعوة إبراهيم ربّه أن يبعث في بنيه رسولاً منهم بالإسلام الذي كان عليه هو وبنوه وحفدته... فتحويل قبلة المسلمين إلى المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم وإسماعيل، ودعوا عنده ذلك الدعاء الطويل [تحويل مندوب إليه][2] يبدو في هذا السياق هو الاتجاه الطبيعي

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

المنطقي مع وراثة المسلمين لدين إبراهيم وعهده مع ربه. فهو الاتجاه الحِسي المتساوق مع الاتجاه الشعوري، الذي يُنشئه ذلك التاريخ.

إلى أن قال: فإذا اتجه المسلمون فترة من الزمان إلى المسجد الأقصى، الذي يتجه إليه اليهود والنصارى، فقد كان هذا التوجه لحكمة خاصة هي التي أشار إليها السياق [﴿لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾][1]. فالآن وقد شاء الله أن يعهد بالوراثة إلى الأمّة المسلمة... الآن يجيء تحويل القبلة في أوانه.. تحويلها إلى بيت الله الأوّل الذي بناه إبراهيم، لتتميّز للمسلمين كلّ خصائص الوراثة حسيّها وشعوريها، وراثة الدين، ووراثة القبلة، ووراثة الفضل من الله جميعاً. إنّ الاختصاص والتميّز ضروريان للجماعة المسلمة»[2].

أقول: نسأل الله تعالى التسليم لأوامره ونواهيه وصلّى الله على محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) ما بين المعقوفتين إضافة من المؤلّف رحمه الله.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج١، ص١٢٧.

الخصيصة الثالثة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بإيمانٍ خاصٍ حيث تلقّى قلبه النقي للوحي العليّ

وهي المستفادة من قوله تعالى: ﴿آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أنزل إليه مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلائِكتِهِ وَكتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَك رَبَّنَا وَإِلَيْك ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

إيمانٌ في أعلى مراتبه ودرجاته، مرتبةٌ من الإيمان لا مجال لوصفها، فلا يصفها إلاّ من ذاقها، ولا يدركها من الوصف ـ على حقيقتها ـ إلاّ من ذاقها كذلك! فهذا الإيمان ـ إيمان الرسول صلى الله عليه وآله ـ... الإيمان الشامل الذي جاء به هذا الدين[2].

وفي (**تفسير البيضاوي**): «إفراد الرسول بالحكم إمّا لتعظيمه، أو لأنّ إيمانه عن مشاهدةٍ وعيانٍ، وإيمانهم [(المؤمنين)][3] عن نظرٍ واستدلالٍ»[4].

وفي الآية قال **الفخر الرازي**: «دلّت الآية على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله آمن بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته ورسله، وإنّما خصّ الرسول صلى الله عليه وآله بذلك؛ لأنّ الذي أُنزل إليه من ربه قد يكون كلاماً متلوًّا يَسمَعهُ

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢)انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ج١، ص٣٤٠.

(٣) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٤) تفسير البيضاوي، البيضاوي: ج١، ص٥٨٥.

الغير ويعرفه ويمكنه أن يؤمن به؛ وقد يكون وحياً لا يعلمه سواه، فيكون هو صلى الله عليه وآله مختصّاً بالإيمان به، ولايتمكّن غيره من الإيمان به؛ فلهذا السبب كان الرسول مختصّاً في باب الإيمان بما لا يمكن حصوله في غيره»[1].

أقول: تفسير الفخر لايخلو من تأمل.

وفي (**كنز الدقائق**) قوله تعالى: ﴿**آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أنزل إليه مِن رَّبِّهِ**﴾: «شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة إيمانه والإعتداد به، وأنّه جازم في أمره غير شاكٍّ فيه»[2].

وفي (**تفسير روح البيان**) في قوله تعالى: ﴿**آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أنزل إليه مِن رَّبِّهِ**﴾ أي: «صدّق النبي صلى الله عليه وآله... بكلّ ما أنزل إليه من ربّه من آيات القرآن إيماناً تفصيلياً متعلقاً بجميع ما فيه من الشرايع و الأحكام والقصص والمواعظ وأحوال الرسل والكتب وغير ذلك، من حيث أنّه منزلٌ منه تعالى... ولم يرد به حدوث الإيمان فيه بعد أن لم يكن كذلك؛ لأنّه عليه السلام كان مؤمناً بالله وبوحدانيته قبل الرسالة منه ولا يجوز أن يوصف بغير ذلك. لكن أراد به الإيمان بالقرآن، فإنّه قبل إنزال القرآن إليه لم يكن عليه الإيمان به، وهو معنى قوله: ﴿...**مَا كنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ...**﴾[3] أي: ولا الإيمان بالكتاب، فإنّه قال: ﴿**وَمَا كنتَ تَرْجُواْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابُ...**﴾[4]»[1].

---

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٧، ص١٣٨ ـ ١٣٩.

(٢) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي: ج٢، ص٤٧٤.

(٣) سورة الشورى: ٥٢.

(٤) سورة القصص: ٨٦.

أقول: حيث أنّ هذه الآية الكريمة والآية التي بعدها تُختم بهما سورة البقرة ـ ولها شأنٌ خاصٌ حسب الروايات ـ لا بأس بالإشارة إلى تتمّة الآية الأولى والتعرّض للآية الثانية.

قوله تعالى: ﴿...وَٱلْمُؤْمِنُونَ كلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلائِكتِهِ وَكتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَك رَبَّنَا وَإِلَيْك ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ معناه: يقولون ذلك على الحكاية، أي: لا نفرّق بين أحدٍ من رسل الله في الإيمان. بأن نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ، كما فعله أهل الكتاب من اليهود والنصارى. ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ معناه: سَمِعنَا قولك، وأطعنا أمرك، ثم سألوه المغفرة، وقالوا: ربّنا نسألك المغفرة ﴿وَإِلَيْك ٱلْمَصِيرُ﴾. إقرارهم بالبعث والنشور، وأنّ إليه المصير.

وعليك بالتأمّل في الآية الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿لَا يُكلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكافِرِينَ﴾[٣].

هذا ختام السورة الكبيرة... في آيتين اثنتين... ولكنهما تمثّلان بذاتهما

---

(١) تفسير روح البيان، اسماعيل حقي الخلوتي: ج١، ص٤٤٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.

تلخيصاً وافياً لأعظم قطاعات السورة يصلح ختاماً لها. ختاماً متناسقاً مع موضوعاتها وجوّها وأهدافها... وهو ختام يتناسق مع البدء كأنّهما دفّتا كتاب! وفي هاتين الآيتين كلّ كلمة لها موضعها ولها دورها[1].

إليك بعض الروايات التي وردت في شأن الآيتين

عن قتادة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قرأ هذه الآية: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أنزل إليه مِن رَّبِّهِ**﴾ قال: «وحقّ الله إنّ لله كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي سنة، فوضعه عنده فوق العرش، فأنزل آيتين، فختم بهما البقرة، فأيّما بيت قرئتا فيه لم يدخله شيطان»[2].

عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل يقول صلى الله عليه وآله فيه: «قال لي الله تعالى: وأعطيت لك ولأمّتك كنزاً من كنوز عرشي: فاتحة الكتاب، وخاتمة سورة البقرة»[3].

وفي (**مجمع البيان**) في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه قيام ليلته»[4].

عن ابن عباس، قال: «بينا رسول الله إذ سمع نقيضاً، يعني: صوتاً، فرفع رأسه فإذا باب من السماء قد فُتح، فنزل عليه ملك، وقال: إنّ الله يبشّرك بنورين لم يعطهما نبيّاً قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لا

(١) انظر: تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج١، ص٣٣٩.

(٢) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج١، ص٣٠٤.

(٣) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج١، ص٣٠٨؛ و انظر: معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص٥١.

(٤) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٢، ص٢٣١.

يقرأهما أحدٌ إلاّ أعطيته حاجته»[1].

عن علي عليه السلام، قال: «لا أرى أحداً عقل الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، فإنّها من كنز عطيّة نبيّكم صلى الله عليه وآله من تحت العرش»[2].

وعن ابن عباس، قال: «كان رسول صلى الله عليه وآله إذا قرأ آخر سورة البقرة وآية الكرسي ضحك، وقال: «إنّهما من كنز الرحمن تحت العرش». وإذا قرأ: ﴿...مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ...﴾[3]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ ٱلْجَزَاءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾[4] استرجع واسْتَكان»[5].

وعن حمزة بن حمران قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ قلت: أصلحك الله فإنّي أقول إنّ الله تبارك وتعالى لم يكلّف العباد إلاّ ما يستطيعون، وإلاّ ما يطيقون، فإنّهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلاّ بإرادة الله تعالى ومشيئته وقضائه وقدره. قال عليه السلام: هذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي»[6].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «رفع عن أمتي أربع خصال: خطاؤها، ونسيانها، وما

---

(١)تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٢، ص٢٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٢، ص٣٤٩.

(٣) سورة النساء: ١٢٣.

(٤) سورة النجم: ٣٩ ـ ٤١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج١، ص٧٣٥.

(٦) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج١، ص٣٠٥.

أُكرهوا عليه، وما لم يطيقوا. وذلك قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[1]، وقوله: ﴿...إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[2]»[3].

وعن **احتجاج الطبرسي**: عن النبي صلى الله عليه وآله في حديثٍ طويلٍ، وفيه خطبة الغدير، وفيها: «معاشر الناس قولوا الذي قلت لكم، وسلّموا على علي بإمرة المؤمنين، وقولوا: ﴿...سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَك رَبَّنَا وَإِلَيْك الْمَصِيرُ﴾[4]»[5].

وعن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «إنّ الله سبحانه قال عند كلّ فصلٍ من هذا الدعاء: فَعلَتُ واستجبتُ»؛ ولهذا استحبّ الإكثار من هذا الدعاء[6].

وعنه صلى الله عليه وآله، قال: «في آخر سورة البقرة آياتٌ إنّهن قرآنٌ، وإنّهن دعاءٌ، وإنّهن يُرضين الرحمن»[7].

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٢) سورة النحل: ١٠٦.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١٥، ص٣٦٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٥) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج١، ص٨٣ وعنه: تفسر كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن رضا القمي: ج٢، ص٤٧٦.

(٦) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٢، ص٢٣١.

(٧) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٢، ص٢٣١.

الخصيصة الرابعة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بالمباهلة القاطعة لدعوى نصارى نجران مع خاصة أهله

وهي المستفادة من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ﴾[1].

قال الزمخشري في (**تفسير الكشاف**): «البهلة بالفتح والضم اللعنة، وبَهَله الله: لعنه وأبعده من رحمته ... إلى أن قال: روي أنّهم لمّا دعاهم إلى المباهلة، قالوا: حتى نرجع وننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أنّ محمداً نبيٌّ مرسل، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيّاً قطّ فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكنّ، فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه وعليٌّ خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أنْ يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا

---

(١) سورة آل عمران: ٦١.

القاسم رأينا أن لا نباهلك، وأن نقرّك على دينك ونثبت على ديننا، قال صلى الله عليه وآله: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا. قال صلى الله عليه وآله: فإنّي أناجزكم، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا ترددنا عن ديننا على أن نؤدّي إليك كلّ عام ألفي حلّة، ألف في صفر، وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد. فصالحهم على ذلك وقال صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتى يهلكوا»[1].

السبب في إقدامه صلى الله عليه وآله على المباهلة

في **(مجمع البيان)**: «قيل: نزلت الآيات في وفد نجران: العاقب والسيد ومن معهما، قالوا لرسول صلى الله عليه وآله: هل رأيت ولداً من غير ذكر؟ فنزل: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**﴾[2] فقراءها عليهم، عن ابن عباس»[3].

وعن **الفخر الرازي**: «اعلم أنّ الله تعالى بيّن في أوّل هذه السورة وجوهاً من الدلائل القاطعة على فساد قول النصارى بالزوجة والولد... وختم الكلام بهذه النكتة القاطعة لفساد كلامهم، وهو أنّه لمّا لم يلزم من عدم الأب والأمّ البشريين لآدم عليه السلام أن يكون ابناً لله تعالى لم يلزم من عدم الأب

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج١، ص٣٦٨.

(٢) سورة آل عمران: ٥٩.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٢، ص٣٠٩.

البشري لعيسى عليه السلام أن يكون ابناً لله، تعالى عن ذلك، ولمّا لم يَبعُد انخلاق آدم عليه السلام من التراب لم يَبعُد أيضاً انخلاق عيسى عليه السلام من الدم الذي كان يجتمع في رحم أُمّ عيسى عليه السلام. ومَن أنصف وطلب الحقّ علِمَ أنّ البيان قد بلغ إلى الغاية القصوى، فعند ذلك قال تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ**﴾ بعد هذه الدلائل الواضحة... فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند، وهو أن تدعوهم إلى الملاعنة»[1].

الحسنان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله

وعن **الفخر الرازي** أيضاً قال: «هذه الآية دالّة على أنّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله صلى الله عليه وآله، وعَد أن يدعو أبناءه، فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا ابنيه، وممّا يؤكّد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿...**ومن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ**﴾[2] إلى قوله: ﴿...**وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ**...﴾[3] ومعلوم أن عيسى عليه السلام إنما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأمّ لا بالأب، فثبت أنّ ابن البنت قد يسمّى ابناً»[4].

وفي (**تفسير الميزان**): «وقد أطبق المفسّرون واتفقت الرواية وأيّده التاريخ: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حضر للمباهلة ولم يحضر معه إلاّ علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام... وقد كثر في القرآن الحكم أو الوعد والوعيد للجماعة،

---

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٨، ص٨٢.

(٢) سورة الأنعام:٨٤.

(٣) سورة الأنعام:٨٥.

(٤) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٨، ص٨٦.

ومصداقه بحسب شأن النزول واحد، كقوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ...**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ...**﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي وردت بلفظ الجمع ومصداقها بحسب شأن النزول مفرد»[3].

وفي (**تفسير الميزان**) كذلك، عن صحيح مسلم: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟ قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبَّه...[الثالث][4]: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ**﴾[5]، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي»... ورواه الترمذي في صحيحه، ورواه أبو المؤيد الموفق بن أحمد في كتاب **فضائل علي**، ورواه أيضاً أبو نعيم في **الحلية**، ورواه الحموينى في كتاب **فرائد السمطين**»[6].

وعن (**الدر المنثور**) عن ابن عباس: «إنّ وفد نجران من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم. منهم السيد

---

(١) سورة المجادلة: ٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٨١.

(٣) تفسر الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٣، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٤) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٥) سورة آل عمران:٦١.

(٦) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٣، ص٢٣٣، انظر: صحيح مسلم؛ مسلم النيسابوري؛ ج٧، ص١٢٠، وسنن الترمذي: ج٥، ص٣٠١.

وهو الكبير، والعاقب وهو الذي يكون بعده وصاحب رأيهم. ثم ساق القصّة نحواً ممّا مرّ»[1].

وفي (**تفسير الكشاف**) عن عائشة، قالت: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرطٌ مُرجَّل من شعرٍ أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة،ثم علي، ثم قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ**﴾ إلى أن قال: وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام»[2]. المرط ثوب غير مخيط[3]، المرجّل المنسوج[4].

كلام في قوله: ﴿**وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكمْ**﴾.

قال **الفخر الرازي** في تفسيره: «كان في الريّ رجلٌ يقال له محمود بن الحسن الحمصي... وكان يزعم أنّ علياً عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد عليه السلام، قال: والذي يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكمْ**﴾ وليس المراد بقوله: ﴿**وَأَنفُسَنَا**﴾ نفس محمد صلى الله عليه وآله؛ لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد به غيره، وأجمعوا على أنّ ذلك الغير كان علي بن أبي طالب عليه السلام،

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٣، ص٢٣٣؛ انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٢، ص٣٩.

(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج١، ص٣٦٩ ـ ٣٧٠.

(٣) لسان العرب، ابن منظور: ج٧، ص٤٠٢.

(٤) ورد في لسان العرب (مرط مرحَّل): الذي قد نُقِش فيه تصاوير الرحال. لسان العرب، ابن منظور: ج١١، ص٢٧٨. وورد في مجمع البحرين: (مرط مرحل) بالحاء المهملة وهو الموشى المنقوش عليه صورة رحال الإبل، وروي مرجل بالجيم عليه صورة المراجل والقدور. انظر: مجمع البحرين، الطريحي: ج٥، ص٢١٥.

فدلّت الآية على أنّ نفس عليّ هي نفس محمّد صلى الله عليه وآله، ولا يمكن أن يراد منه أنّ هذه النفس عين تلك النفس، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي الإستواء في جميع الوجوه، ترك العمل بهذا العموم في حقّ النبوّة، وفي حقّ الفضل؛ لقيام الدلائل على أنّ محمداً صلى الله عليه وآله كان نبيّاً وما كان عليّ كذلك؛ ولانعقاد الإجماع على أنّ محمداً صلى الله عليه وآله كان أفضل من علي عليه السلام، فيبقى فيما وراءه معمولاً به. ثم الإجماع دلّ على أنّ محمداً كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء، فهذا وجه الاستدال بظاهر هذه الآية، ثم قال: ويؤيد الاستدال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق والمخالف، وهو قوله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خِلّته، وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

فالحديث دلّ على أنّه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم، وذلك يدل على أنّ علياً عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه وآله، وأما سائر الشيعة فقد كانوا قديماً وحديثاً يستدلون بهذه الآية على أنّ علياً عليه السلام [أفضل من سائر الصحابة؛ وذلك لأنّ الآية لمّا دلّت على أنّ نفس علي عليه السلام][2] مثل نفس محمد صلى الله عليه وآله إلا فيما خصّه الدليل، وكان نفس محمد صلى الله عليه وآله أفضل من الصحابة، فوجب أن يكون نفس علي عليه السلام أفضل أيضاً من سائر الصحابة.

---

(١) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص ٢٦، مع اختلاف في الألفاظ. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني: ج١، ص١٠٠.

(٢) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

هذا تقدير كلام الشيعة.

[قال الفخر في ردّ استدلال الحِمصيّ:][1] والجواب: أنّه كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أنّ محمداً صلى الله عليه وآله أفضل من عليٍّ، فكذلك انعقد الإجماع بينهم قبل ظهور هذا الإنسان على أنّ النبي صلى الله عليه وآله أفضل ممّن ليس بنبيّ، وأجمعوا على أنّ علياً عليه السلام ما كان نبيّاً، فلزم القطع بأنّ ظاهر الآية كما أنّه مخصوص في حقّ محمد صلى الله عليه وآله، فكذلك مخصوص في حق سائر الأنبياء عليهم السلام»[2].

يقول العبد الكاتب: انظر أيّها القارئ الكريم هل يليق هذا الجواب بالاستدلال المذكور، وهل يرتبط هذا الجواب بما أفاده الحِمصيّ وسائر علماء الشيعة؟

وفي الختام أقول اللهم ارزقنا حسن النية وصفاء القلب.

(١) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٨ ص٨٦.

الخصيصة الخامسة

أنه صلى الله عليه وآله أعظم نِعَم الله على الخلق

وإنّه النعمة التي منّ الله تعالى بها على خلقه، عظيمٌ في نفسه وعظيمٌ في مبعثه، ولذا منّ الله تعالى على الخلق ببعثه وإرساله صلى الله عليه وآله.

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[1].

وخصّ المؤمنين بالذكر ـ وإن كان مبعوثاً إلى جميع الخلق ـ لأنّ النعمة عليهم أعظم، لاهتدائهم به وانتفاعهم ببيانه[2].

وفي **تفسير الفخر الرازي**: «إعلم أنّ بعثة الرسول صلى الله عليه وآله إحسانٌ من الله إلى الخلق... وبعثة محمد صلى الله عليه وآله كانت مشتملة على أمرين:

أحدهما: المنافع الحاصلة من أصل البعثة، والثاني: المنافع الحاصلة بسبب ما فيه من الخصال التي ما كانت موجودة في غيره.

أما المنفعة بسبب أصل البعثة فهي التي ذكرها في [نفس الآية ﴿**يَتْلُواْ**

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٢) انظر: تفسير مجمع البيان: ج٢، ص٤٣٥.

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ونظائرها مثل][1] قوله: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[2].

وأما المنافع الحاصلة بسبب ما كان في شخص محمّد ﷺ من الصفات فأمورٌ ذكرها الله تعالى في هذه الآية... (منها): قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ... أنّه ﷺ وُلد في بلدهم ونشأ فيما بينهم وهم كانوا عارفين بأحواله وأفعاله وأقواله، فما شاهدوا منه من أوّل عمره إلى آخره إلاّ الصدق والعفاف، وعدم الإلتفات إلى الدنيا، والبعد عن الكذب والملازمة على الصدق... (ومنها): أنّهم كانوا عالِمين بأنّه لم يتّلمذ لأحدٍ ولم يقرأ كتاباً ولم يمارس درساً... ثمّ أنّه بعد إظهار النبوّة ... أنّه ظهر على لسانه من العلوم ما لم يظهر على أحدٍ من العالمين، ثمّ أنّه يذكر قصص المتقدمين وأحوال الأنبياء الماضين... فإذا شرّفه الله تعالى وخصّه بمزايا الفضل والإحسان من جميع العالمين، حصل لكم شرفٌ عظيمٌ بسبب كونه فيكم»[3].

وهذه هي الجهات والخصوصيات التي منّ الله تعالى بها على عباده ببعث هذا الإنسان الكامل.

وقال **سيد قطب**: «إنّها المنّة العظمى أن يبعث الله فيهم رسولاً وأن يكون هذا الرسول من أنفسهم، إنّ العناية من الله الجليل بإرسال هذا

(١) ما بين المعقوفتين إضافة من المؤلّف رحمه الله.

(٢) سورة النساء: ١٦٥.

(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٩، ص٧٨ ـ ٧٩.

الرسول هي المنّة التي لا تنبثق إلا من فيض الكرم الإلهي، المنّة الخالصة التي لا يقابلها شيء من جانب البشر، وإلاّ فمَن هؤلاء الناس ومَن هم هؤلاء الخلق حتى يذكرهم الله هذا الذكر ويُعنى بهم هذه العناية؟... يرسل إليهم رسولاً من عنده يحدّثهم بآياته ـ سبحانه ـ وكلماته، لولا أنّ كرم الله يفيض بلا حساب، ويغمر خلائقه بلا سبب منهم ولا مقابل، وتتضاعف هذه المنّة بأن يكون الرسول ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾... فإنّ الصلة بين المؤمنين والرسول هي صلة النفس بالنفس... ثم أنّهم بالإيمان يرتفعون إلى هذه الصّلة بالرسول، ويصلون إلى هذا الأفق من الكرامة على الله. فهو منّة على المؤمنين...

ثم تتجلّى هذه المنّة العلوية في آثارها العملية.. في نفوسهم وحياتهم وتاريخهم الإنساني: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكمَةَ﴾...

ولو تأمّل الإنسان هذه المنّة وحدها لراعته وهزّته حتى ما يتمالك أن ينصب قامته أمام الله تعالى، حتى وهو يقف أمامه للشكر والصلاة.

فيا للكرم! ويا للمنّة! ويا للفضل والعطاء الذي لا كفاء له من الشكر والوفاء!

﴿وَيُزَكِيهِمْ﴾: يطهّرهم... يطهّر قلوبهم وتصوراتهم ومشاعرهم، ويطهّر بيوتهم وأعراضهم وصلاتهم، ويطهّر حياتهم ومجتمعهم وأنظمتهم.. يطهّرهم من أرجاس الشرك والوثنية والخرافة والأسطورة... ويطهّرهم من

دنس الحياة الجاهلية»[1].

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: «كان المخاطبون بهذه الآية أميّين جهّالاً، أميّة التعلّم وأميّة العقل سواء. وما كان لهم من المعرفة شيءٌ ذو قيمةٍ بالمقاييس العالمية للمعرفة، في أيّ بابٍ من الأبواب. فإذاً هذه الرسالة تحيلهم أساتذة الدنيا وحكماء العالم وأصحاب المنهج العقيدي والفكري والاجتماعي والتنظيمي الذي ينقذ البشرية كلّها من جاهليتها في ذلك الزمان...

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: ضلالٌ في التصور والاعتقاد، وضلالٌ في مفهومات الحياة، وضلالٌ في الغاية والاتجاه، وضلالٌ في العادات والسلوك، وضلالٌ في الأنظمة والأوضاع، في المجتمع والأخلاق»[2].

يقول المؤلف المحتاج: شرّفنا الله وإياكم برعاية سنن نبيّه صلى الله عليه وآله وآدابه والاقتفاء بآثاره وآثار أهل بيته عليهم السلام.

محال است سعدي كه راه صفا توان رفت جز در بى مصطفا[3]

والسلام على محمد وآل محمد

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج١،ص٥٠٧.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج١،ص٥١١.

(٣) الشعر باللغة الفارسية للشاعر الإيراني سعدي، وترجمته: من المستحيل أن يسلك سعدي طريق الحق دون أن يكون مع المصطفى صلى الله عليه وآله.

الخصيصة السادسة

إنّ قبول حكمه وقضائه صلى الله عليه وآله شرط الإيمان وحدّ الإسلام

ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّك لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوك فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾[1].

في (تفسير الكشاف): «﴿فَلَا وَرَبِّك﴾ معناه فوربّك، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّك لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾[2]، و(لا): مزيدةٌ لتأكيد معنى القسم.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوك فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ من الإختلاف.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً﴾ ضيقاً في أنفسهم، أي: لا تضيق صدورهم من حكمك.

﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضوه بشيء...

﴿تَسْلِيماً﴾ تأكيدٌ للفعل بمنزلة تكريره، كأنّه قيل: وينقادوا لحكمه انقياداً لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم»[3].

---

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) سورة الحجر: ٩٢.

(٣) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج١، ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩.

وفي **مجمع البيان**: «المعنى: ثمّ بيّن الله [في الآية][1] أنّ الإيمان إنّما هو بالتزام حكم رسول الله والرضا به، فقال: (فلا) أي: ليس كما تزعمون أنّهم يؤمنون مع محاكمتهم إلى الطاغوت.

﴿**وَرَبِّك لَا يُؤْمِنُونَ**﴾: أقسم الله تعالى أنّ هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين ولا يدخلون في الإيمان﴿**حَتَّىٰ يُحَكِّمُوك**﴾ أي: حتى يجعلوك حكماً أو حاكماً ﴿**فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ أي: فيما وقع بينهم من الخصومة والتبس عليهم من أحكام الشريعة ﴿**ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً**﴾ وشكّاً في [قضائك][2] ﴿**وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾: ينقادوا [لقضائك][3] إذعاناً لك وخضوعاً لأمرك. وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «لو أنّ قوماً عبدوا الله، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصاموا شهر رمضان، وحجّوا البيت، ثم قالوا: لشيء صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله ألا صنع خلاف ما صنع، أو وجدوا من ذلك حرجاً في أنفسهم لكانوا مشركين، ثم تلى هذه الآية: ﴿**فَلَا وَرَبِّك لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوك**﴾»[4].

وفيه أيضاً في وجه النزول: «قيل: نزلت في الزبير ورجل من الأنصار

---

(١) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٢) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف، وفي المصدر: شكّاً في أنّ ما قلته حق، عن مجاهد. وقيل: إثماً، أي: لا يأثمون بإنكار ذلك، عن الضحاك. وقيل: ضيقاً بشكّ أو إثم، عن أبي علي الجبائي، وهو الوجه.

(٣) في المصدر: (لحكمك).

(٤) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٣، ص١٢١ ـ ١٢٢.

خاصمه إلى النبي صلى الله عليه وآله في شراج من الحَرّة[1] كانا يسقيان بها النخل كلاهما [الشراج: مسيل الماء][2]، فقال النبي صلى الله عليه وآله للزبير: اسقِ ثُمَّ أرسِل إلى جارك. فغضب الأنصاري، وقال: يا رسول الله لئن كان ابن عمتك، فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال للزبير اسْقِ يا زبير ثم احبِس الماء حتى يرجع إلى الجَدر[3]، واستوفِ حقك ثم أرسِل إلى جارك. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله أشار إلى الزبير برأيٍ فيه السعة له ولخصمه، فلمّا أُحفِظ رسول الله [أي: أُغضِب][4]، استوعَبَ للزبير حقّه في صريح الحكم. ويقال: إنّ الرجل كان حاطب ابن أبي بلتعة.

قال الراوي: ثم خرجا فمرّا على المقداد، فقال المقداد: لِمنْ كان القضاء يا أبا بلتعة؟ قال: قضى لابن عَمّته ولَوى شِدْقه ففَطِنَ لذلك يهودي كان مع المقداد، فقال: قاتل الله هؤلاء، يزعمون أنّه رسول الله ثمّ يتّهمونه في قضاءٍ يقضي بينهم»[5].

---

(١) الشراج: مجاري الماء من الحِرار إلى السهل، واحدها شَرج. انظر: لسان العرب، ابن منظور: ج٢، ص٣٠٧.

(٢) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٣) الجدَر: ما رفع من أعضاء المزرعة لتُمسك الماء كالجدار. انظر: لسان العرب، ابن منظور: ج٤، ص١٢٢.

(٤) الحفيظة: الغضب والحميّة، وكذلك الحفظة بالكسر. وقد أحفظته فاحفظ، أي أغضبته فغضب. انظر: الصحاح، الجوهري: ج٣، ص١١٧٢ مادة (حفظ).

(٥) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٣، ص١٢١؛ انظر: صحيح البخاري، البخاري: ج٣، ص٧٧؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢٢، ص١٩.

الفرق بين إيمان حاطب وإيمان ثابت بن قيس

في **تفسير الكشاف**: «قال ثابت بن قيس: أما والله إنّ الله ليعلم مني الصدق، لو أمرني محمّد أن أقتل نفسي لقتلتها. وروي أنّه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر، فقال رسول صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده إنّ من أمتي رجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي»[1].

وروى الصدوق عن السجاد عليه السلام أنه قال: «إنّ دين الله عزّ وجلّ لا يصاب بالعقول الناقصة، والآراء الباطلة، والمقائيس الفاسدة... ومن دان بالقياس[2] والرأي هلك، ومن وجد شيئاً في نفسه مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم»[3].

أقول: الحاصل ممّا ذكرنا من أقوال المفسرين، وقليل من الروايات الكثيرة أنّ الإيمان بمعناه الواقعي لا يتحقق إلاّ بالتسليم والاجتناب في مقامي أوامر الرسول ونواهيه.

ونظير الآية المبحوث عنها (آية التنازع)، وهي قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ**﴾[4] في أنّ الاعتقاد الصحيح بالمبدأ والمعاد لا يتحصل إلا بالرجوع إلى

---

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج١، ص٥٣٠.

(٢) في المصدر: (كان يعمل بالقياس)، انظر: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص٣٢٤.

(٣) تفسير كنز الدقائق، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي: ج٣، ص٤٥٩، عن: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص٣٢٤.

(٤) سورة النساء: ٥٩.

الله والرسول فيما تنازعوا فيه من أمورهم. وإليك جملةً يسيرةً ممّا يناسب المقام:

قال في **(تفسير المنار)**: «فيه [أي في الآية][1] تعريضٌ أو دليلٌ على أنّ من لا يؤثِر اتّباع الكتاب والسنّة على أهوائه وحظوظه ولا سيّما في مسائل المصالح العامة فيه لا يكونُ مؤمناً بالله واليوم الآخر إيماناً يُعتدُّ به.

﴿**ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾: [الرجوع إلى الله والرسول في الأمور][2] ﴿**خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ في نفسه؛ لأنّه أقوى أساس لحكومتكم، والله أعلمُ منكم بما هو خيرٌ لكم، فلم يشرّع في كتابه وعلى لسان رسوله من الأصول والقواعد إلاّ ما هو قيامٌ لمصالحكم ومنافعكم، وهو على كونه خيراً في نفسه أحسن تأويلاً أحسن مآلاً وعاقبة؛ لأنّه يقطع عرق التنازع ويسدّ أبواب المفاسد»[3].

وفي (نهج البلاغة) في قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ**﴾ قال عليه السلام: «ردُّه إلى الله أنْ نحكم بكتابه، وردُّه إلى الرسول أنْ نأخذ بسنّته، فإذا حُكم بالصّدق في كتاب الله فنحن أحقُّ الناس به، وإنْ حكم بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن أحقُّ الناس وأولاهم به»[4].

---

(١) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٢) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله، وفي المصدر: (ذلك الردّ للشيء المتنازع فيه إلى الله ورسوله).

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج٥، ص١٥٦.

(٤) نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام: ج٢، ص٥.

مَن هم أولوا الأمر؟

عن الحسين بن علي عليه السلام في خطبةٍ له: «فأطيعونا، فإنّ طاعتنا مفروضة، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونةٌ، قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾»[1].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكمْ﴾، قال: «الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام إلى أن تقوم الساعة»[2].

وعن حكيم، قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أخبرني عن أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم؟ فقال لي: «أولئك عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر أنا، فاحمدوا الله الذي عرّفكم أئمّتكم وقادتكم حين جحدهم الناس»[3].

وفي (**تفسير الميزان**): «عن ابن بابويه باسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري: لمّا أنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكمْ﴾ قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: هم خلفائي يا جابر وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم: علي بن

---

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج٢، ص٢٣.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص٢٢٢.

(٣) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج١، ص٢٥٢.

أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوارة بالباقر، ستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميّي محمّد وكنيّي حجّة الله في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله ـ تعالى ذكره ـ على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبةً لا يثبت فيه على القول بامامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان. قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته، فقال صلى الله عليه وآله: إي والذي بعثني بالنبّوة، إنّهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاّها سحاب، يا جابر: هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علم الله فاكتمه إلاّ عن أهله»[1].

ختام الفصل في جملتين

قال **محمد رشيد رضا** في **(تفسير المنار)**: «قالت الشيعة: [إنّ المراد بأولي الأمر][2] الأئمّة المعصومون، وهذا مردودٌ إذ، لا دليل على هذه العصمة»[3].أقول: لولا العناد والعصبية يكفيه آية التطهير وأمثالها.

والسلام على من اتَّبع الهدى

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٤، ص٤٠٩.

(٢) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج٥، ص١٤٧.

الخصيصة السابعة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بالفضل العظيم مِن الله تعالى

ويدلّ عليه قوله عزّ من قائل: ﴿وَكانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْك عَظِيماً﴾[1].

وإليك الآية الكريمة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْك وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوك وَمَا يُضِلُّونَ إلاّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَك مِن شَيْءٍ وَأنزل ٱللَّهُ عَلَيْك ٱلْكتَابَ وَٱلْحِكمَةَ وَعَلَّمَك مَا لَمْ تَكنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْك عَظِيماً﴾[2]. صدق الله العلي العظيم.

في (**مجمع البيان**): «قيل: نزلت في وفدٍ من ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله، قالوا: يا محمد جئناك نبايعك على أن لا نكسر أصنامنا بأيدينا، وعلى أن نمتّع بالعزَّى سنة، فلم يجبهم إلى ذلك، وعصمه الله منهم»[3].

وفي (**تفسير الميزان**): «قيل: نزلت هذه الآية وآيات قبلها في سرقة أبي طعمة الأنصاري، ورفع أمرها إلى النبي صلى الله عليه وآله. فَرَمَى السارق غيره [بالسرقة][4] ممن هو بريءٌ منها، ثم ألحّ قوم السارق عليه صلى الله عليه وآله أن يقضي لهم، وبالغوا في أن يغيّروه على المتهم البريء. فأُنزلت الآيات وبرّأه الله مما

---

(١) سورة النساء: ١١٣.

(٢) سورة النساء: ١١٣.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٣، ص١٨٨.

(٤) مابين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

قالوا»[1].أي: من السرقة.

قوله: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْك وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت...**﴾: «السياق يدّل على أنّ المراد بهمّهم بإضلال النبي صلى الله عليه وآله هو: همّهم أن يرضوه بالدفاع عن الخائنين»[2].

وفي (**تفسير الكشاف**): «أي: [لولا][3] عصمته وألطافه وما أوحى إليك من الاطلاع على سرّهم ﴿**لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مُّنْهُمْ**﴾ من بني ظفر ﴿**أَن يُضِلُّوك**﴾ عن القضاء بالحق وتوخّي طريق العدل، مع علمهم بأنّ الجاني هو صاحبهم، فقد روي: أنّ أناساً منهم كانوا يعلمون كنه القصّة»[4].

وقوله: ﴿**وَمَا يُضِلُّونَ إلاّ أَنفُسَهُمْ**﴾ فالمراد بقرينة قوله بعده: ﴿**وَمَا يَضُرُّونَك مِن شَيْءٍ**﴾ أنّ إضلال هؤلاء لا يتعدّى أنفسهم ولا يتجاوزهم إليك، فهم الضالّون بما همّوا به؛ لأنّه معصية وكلّ معصية ضلال... ﴿**وَأنزل ٱللَّهُ عَلَيْك ٱلْكتَابَ وَٱلْحِكمَةَ وَعَلَّمَك مَا لَمْ تَكنْ تَعْلَمُ**﴾ بمنزلة التعليل، فيرجع الكلام إلى أنّ إنزال الكتاب الذي هو القرآن، وإعطاء الحكمة، وتعليم الخفايا، هو المانع من تأثيرهم في الإضلال، وهو الملاك في عصمته صلى الله عليه وآله[5].

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٥، ص٧٠.

(٢) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٥، ص٧٧.

(٣) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٤) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج١، ص٥٦٤.

(٥) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٥، ص٧٧ ـ ٧٨.

وقال قدس سره في فصل معنى العصمة: «وقد أشار الله في خطابه الذي خصّ به نبيه بقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ وهو خطاب خاصّ لا نفقهه حقيقة الفقه؛ إذ لا ذوق لنا في هذا النحو من العلم والشعور»[1].

أقول: ويؤيد نظر الأستاذ قدس سره ما في تفسير قطب.

قال **سيد قطب**: «هذه الآيات تحكي قصة لا تعرف لها الأرض نظيراً، ولا تعرف لها البشرية شبيهاً، وتشهد ـ وحدها ـ بأنّ هذا القرآن وهذا الدين لا بدّ أن يكون من عند الله؛ لأنّ البشر ـ مهما ارتفع تصورهم، ومهما صفت أرواحهم، ومهما استقامت طبائعهم ـ لا يمكن أن يرتفعوا بأنفسهم إلى هذا المستوى الذي تشير إليه هذه الآيات إلاّ بوحي من الله... نزلت هذه الآيات ببراءة رجل يهودي اتُّهم بالسرقة من ناحية طائفةٍ من الأنصار المسلمة.. نزلت هذه الآيات لتبيّن الحق من الباطل، والجارم من البريء... نزلت هذه الآيات لإقامة العدل في حق البريء من السرقة، وإن كان يهودياً مخالفاً للإسلام، وإقامة الحكم على الخائن الجارم، وإن كان مسلماً مدنياً من الأنصار. في أي وقتٍ هذا؟ إنّه في الوقت الذي كان اليهود في المدينة يطلقون كلّ سهامهم المسمومة على الإسلام والمسلمين، في الوقت الذي كانوا ينشرون الأكاذيب، ويشجّعون المنافقين ويرسمون لهم الطريق، ويطلقون الإشاعات، ويضلّلون العقول، ويطعنون في القيادة النبويّة،

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٥، ص٧٩.

ويشككون في الوحي والرسالة، في هذا الوقت الحرج الخطر شديد الخطورة نزلت هذه الآيات على رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى الجماعة المسلمة؛ لتنصف رجلاً يهودياً اتُهم بالسرقة ظلماً؛ ولتدين الذين تآمروا على اتهامه، وهم بيتٌ من الأنصار في المدينة. والحال أنّ الأنصار كانوا يومئذٍ عدّة الرسول صلى الله عليه وآله وجنده.

أيُّ مستوىً هذا من النظافة والعدالة والتسامي؟ ثم أيُ كلامٍ يمكن أن يرتفع ليصف هذا المستوى؟»[1].

أقول: قصة السرقة رويت بطرق مختلفة، منها: ما روي عن **الدّرُ المنثور** عن ابن زيد قال: «كان رجلٌ سرق درعاً من حديد في زمان النبي صلى الله عليه وآله، طرحه على يهودي، فقال اليهودي: والله ما سرقتها يا أبا القاسم ولكن طُرحت عليّ. وكان الرجل الذي سرق له جيران يبرّئونه ويطرحونه على اليهودي، ويقولون: يا رسول الله إنّ هذا اليهودي خبيثٌ يكفر بالله وبما جئت به، حتى مال عليه النبي صلى الله عليه وآله ببعض القول، فعاتبه الله في ذلك، فقال: ﴿**إِنَّا أنزلنَا إِلَيْك ٱلْكتَابَ بِـٱلْحَقِّ لِتحْكمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَاك ٱللَّهُ وَلَا تَكن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً * وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ...**﴾ بما قلت لهذا اليهودي: ﴿**...إِنَّ ٱللَّهَ كانَ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾[2]»[3].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٢، ص٧٥١.

(٢) سورة النساء: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) الدّر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٢، ص٦٧٣؛ وعنه: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٥، ص٩٣.

أيّ فضل أعظم من الكتاب والنبوّة

وفي (**تفسير البرهان**) عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «لا والله ما فوّض الله الكتاب إلى أحدٍ من خلقه إلاّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، و إلى الأئمة عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أنزلنَا إِلَيْك ٱلْكتَابَ بِٱلْحَقِّ لِتحْكمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَاك ٱللَّهُ**﴾، وهي جاريةٌ في الأوصياء عليهم السلام»[1].

وصلّى الله على سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله وعلى أوصيائه الطاهرين.

(١) تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني: ج٢، ص١٦٩.

الخصيصة الثامنة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّ كتابه نور وهدى ويهدي به سُبل السلام

ويدلّ عليه قوله عزّ من قائل: ﴿..قَدْ جَاءَكم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ ٱلظُّلُمَاتِ إلى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

في (**تفسير المنار**): «المتبادر من الكتاب هو: القرآن، وهو مبيّن في نفسه، ومبيّن لما يحتاج إليه الناس لهدايتهم، ولولا عطفه على النور لمّا فسّروا النور إلاّ به، فإنّ الأصل في العطف أن يكون المعطوف غير المعطوف عليه، ولكن العطف قد يرد للتفسير. وهذا هو الذي اختاره صاحب **المنار** في المقام، وقال: (ويوافق هذا المختار ما في سورة النساء (الآية: ٧) ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكمْ وَأَنزلنَا إِلَيْكمْ نُوراً مُّبِيناً﴾. وقد ذكر الله تعالى هنا لهذا النور ثلاث فوائد:

الأولى: أنّه ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ﴾.

الثانية: الإخراج من ظلمات الوثنية والخرافات والأوهام ـ التي أفسد بها الرؤساء جميع الأديان واستعبدوا أهلها ـ إلى نور التوحيد الخالص الذي يحرِّر صاحبه من رقّ رؤساء الدين والدنيا، فيكون بين الخلق حرّاً كريماً، وبين يدي الخالق ـ وحده ـ عبداً خاضعاً.

---

(١) سورة المائدة:١٥ ـ ١٦.

الثالثة: الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق المُوصِل إلى المقصد»[1].

تعريف القرآن بالنور

ولا وصف أدقّ ولا أصدق ولا أدلّ على طبيعة هذا الكتاب (القرآن) من أنّه نور.. إنّها حقيقةٌ يجدها المؤمن في قلبه، وفي كيانه، وفي حياته، وفي رؤيته وتقديره للأشياء والأحداث والأشخاص... نور تشرق به كينونته ويشرق به كلّ شيء أمامه، فيتضح ويتكشف ويستقيم...

﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ وصفان للشيء الواحد، لهذا الذي جاء به الرسول الكريم ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وما أدق هذا التعبير وأصدقه إنّه: (السلاّم) هو ما يسكبه هذا الدين في الحياة كلّها... سلام الفرد، وسلام الجماعة، وسلام العالم... سلام الضمير، وسلام العقل، وسلام الجوارح... سلام البيت، والأسرة، وسلام المجتمع والأمة، وسلام البشر والإنسانية... السلام مع الحياة، والسلام مع السكون، والسلام مع الله ربّ الكون والحياة... السلام الذي لا تجده البشرية ـ ولم تجده يوماً ـ إلاّ في هذا الدين، وإلا في منهجه ونظامه وشريعته، ومجتمعه الذي يقوم على عقيدته وشريعته.

حقاً إنّ الله يهدي بهذا الدين الذي رضيه من يتبع رضوان الله ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَامِ﴾... سبل السلام كلّها، ولا يدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق سبل الحرب في الجاهلية القديمة أو الحديثة، وما أحوجنا نحن الآن

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج٦، ص٢٥١ ـ ٢٥٣.

أن ندرك هذه الحقيقة، والجاهلية من حولنا ومن بيننا تُذيق البشرية الويلات من كلّ ألوان الحرب في الضمائر والمجتمعات قروناً بعد قرون! ما أحوجنا نحن الذين عشنا في هذا السلام فترة من تأريخنا، ثم خرجنا من السلام إلى الحرب التي تحطم أروحنا وقلوبنا، وتحطم أخلاقنا وسلوكنا، وتحطم مجتمعاتنا وشعوبنا[1].

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنِ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾... والجاهلية كلّها ظلمات... ظلمات الشبهات والخرافات... وظلمة الشهوات... وظلمة الحيرة والقلق والانقطاع عن الهدى.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾... مستقيم مع فطرة النفس، مستقيم مع فطرة الكون، مستقيم إلى الله تعالى لا يلتوي ولا تلتبس فيه الحقائق. ذلك هو الصراط المستقيم[2].

الإشارة إلى جملة من الأخبار

عن النبي صلى الله عليه وآله: «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن»[3].

وعن الإمام علي عليه السلام: «تعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فأنّه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فانّه شفاء الصدور»[4].

---

(١) انظر: تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٢، ص٨٦٢.

(٢) انظر: في ضلال القرآن، سيد قطب: ج٢، ص٨٦٣.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٥٩٩.

(٤) نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام: ج١، الخطبة ١١٠، ص٢١٦.

الخصيصة التاسعة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأن منّ الله تعالى به على أهل الكتاب بإرساله على حين فترةٍ من الرسل

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

في (تفسير الكشاف): ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: «قيل: كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما خمسمائة وستون سنة، وقيل: ستمائة، [وقيل: غير ذلك][2]...**والمعنى**: الإمتنان عليهم وأن الرسول بُعث إليهم حين انطمست آثار الوحي وهم أحوج ما يكون إليه... وفتح باب إلى الرحمة، وتلزمهم الحجّة فلا يعتلّوا غداً بأنّه لم يرسل إليهم مَن ينبّههم عن غفلتهم»[3].

وفي (**تفسير الميزان**): «قال الراغب: الفتور سكون بعد حدّة. ولين بعد شدّة وضعف بعد قوّة.

قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: سكون خالٍ عن مجيء رسول الله... والآية الأولى بيّنت لهم

---

(١) سورة المائدة: ١٩.

(٢) ما بين المعقوفتين من المؤلّف رحمه الله.

(٣) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج١، ص٦١٨.

أنّ الله أرسل إليهم رسولاً أيّده بكتاب مبين يهدي بإذن الله إلى كلّ خير وسعادة، وهذه الآية تبيّن أنّ ذلك البيان الإلهي إنّما هو لإتمام الحجة عليهم»[1].

وفي (**تفسير مجمع البيان**): «قوله تعالى: ﴿**يُبَيِّنُ لَكُمْ**﴾ أي: يوضّح لكم أعلام الدين، وفيه دلالة على أنّه سبحانه اختصّه من العلم بما ليس مع غيره، ﴿**عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ**﴾ أي: على انقطاعٍ من الرسل، ودروسٍ من الدين والكتب، وفيه دلالةٌ على أنّ زمان الفترة لم يكن فيه نبيّ، وكان الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله. وكانت النبوّة متّصلة قبل ذلك في بني إسرائيل.

وروي عن ابن عباس أنّه لم يكن بينهما إلاّ أربعة من الرسل، واختلفوا في هذه الفترة بينهما، فقيل: ستمائة سنة، [وقيل: غير ذلك][2]، وقيل: كان بعد عيسى أربعة من الرسل، وهو قوله تعالى ﴿**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ**﴾ و لا أدري مَن الرابع»[3].

في (**تفسير الكشاف**): عرّف النبيّ الرابع فإنّه ذكر فيه عن الكلبي: «كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبيّ، وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله أربعة أنبياء، ثلاث من بني إسرائيل وواحد من العرب: خالد بن سنان العبسي»[4].

وفي (**تفسير المنار**): «قد جاءكم رسولنا المبشّر به في كتبكم،

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٥، ص٢٥٢.

(٢) ما بين المعقوفتين من المؤلّف رحمه الله.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٣، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(٤) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج١، ص٦١٩.

المنتظر في اعتقادكم، فإنّ الله أخبركم على لسان موسى أنه سيقيم نبياً من بني إسماعيل إخوتكم ـ وعلى لسان عيسى ابن مريم ـ بأنّه سيجيء بعده (البار قليط) روح الحق، الذي يعلّمكم كل شيء، ولا تزال هذه البشارات في كتبكم وإن حرّفتموها بسوء فهمٍ أو بسوء قصدٍ منكم وهو منكم، وهو النبيّ الكامل المعهود الذي سأل عنه أجدادكم»[1].

وفي (**تفسير روح البيان**): «وقيل: لم يكن بعد عيسى عليه السلام إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الأنسب بما في تنوين (فترة) من التفخيم اللائق بمقام الإمتنان»[2].

وصلّى الله على محمدٍ وآله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

(١) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا: ج٦، ص٢٦٣

(٢) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٢، ص٣٧٤.

الخصيصة العاشرة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّ الله تعالى عصمه من الناس

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُك مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الواقع في آية التبليغ، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أنزل إِلَيْك مِن رَّبِّك وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُك مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكافِرِينَ﴾[1].

معنى الآية: نودي رسول الله صلى الله عليه وآله بوصف الرسالة، وأمر بتبليغ ما أمر الله به في صورة التهديد، ووعده بالعصمة من الناس، وأنّه يحفظه ويحرسه ممّا يخاف منه. والتدبّر في الآية يقضي بأنّ الحكم المأمور به لتبليغه كان أمراً عظيماً، بحيث لو لم يبلّغ هذا الحكم كان بمنزلة عدم تبليغ الرسالة، وقد وعده الله أن يعصمه من المخالفين لهذا الحكم ويبطل مكرهم ولا يهديهم في كيدهم.

ولا يستقيم هذا المعنى مع أيِّ حكمٍ نازل، فإنّ المعارف والأحكام الدينية في الإسلام ليست جميعاً في درجة واحدة، ففيها ما هو في حكم عمود الدين، مثل: الصلاة، وفيها حكم الدعاء عند رؤية الهلال، وفيها حكم زنا المحصن. ولا يصحُّ أن يقال كان خوف الرسول مع كلّ حكم منها

---

(١) سورة المائدة: ٦٧.

كيفما كان، بل المقطوع إنّه كان حكماً خاصّاً، لو أهمل أمره كان ذلك في الحقيقة إهمالاً لسائر الأحكام، وتكون الآية كاشفة عن أنّ الله قد أمر رسوله بحكم يتمّ به أمر الدين، ويستوي به على عريشة القرار. وكان من المترقّب أن يخالفه الناس، ويقلبوا الأمر على النبي صلى الله عليه وآله بحيث تنهدم أركان ما بناه من بنيان الدين. وكان النبي صلى الله عليه وآله يتفرّس ذلك ويخافهم على دعوته، فيؤخّر تبليغه إلى حينٍ بعد حين؛ ليجد له ظرفاً صالحاً وجوّاً آمناً... حتى أمره الله بتبليغٍ عاجلٍ، ووعد أن يعصمه من الناس. وهذا الأمر على ما روي عن الفريقين الخاصّة والعامّة كان مسألة الولاية والخلافة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام[1].

وقال في **(تفسير الرازي)**: «ذكر المفسّرون في سبب نزول الآية وجوهاً، الأوّل: أنّها نزلت في قصة الرجم والقصاص، إلى أن قال: العاشر: نزلت الآية في فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمّد بن علي. ثم قال: واعلم أنّ هذه الروايات وإن كثرت إلّا أنّ الأولى حمله على أنّه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى»[2].

أقول: نسأل الفخر عن عدوله عمّا رُويت فيه الأخبار الكثيرة وقال به

(١) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٦، ص٤٢ ـ ٤٦.

(٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج١٢، ص٤٩.

علماء الفريقين، وحمل الآية على ما لا سند له ولا دليل، وليس هذا إلاّ لما في الصدور من وساوس الشيطان والانحراف عن الحق.

وقال في **(تفسير المنار)**: «روى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن أبي سعيدٍ الخدري: أنّها نزلت يوم غدير خُمّ في علي بن أبي طالب عليه السلام. وروت الشيعة عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّ المراد بما أنزل إليه من ربّه النصُّ على خلافة عليّ بعده، وأنّه كان يخاف أنْ يشقّ ذلك على بعض أصحابه، فشجّعه الله تعالى بهذه الآية.

وفي روايةٍ عن ابن عباس: إنّ الله أمره أن يخبر الناس بولاية عليّ عليه السلام فتخوَّف أنْ يقولوا حابى ابن عمِّه وأن يطعنوا في ذلك عليه. فلمّا نزلت الآية عليه في غدير خمّ أخذ بيد عليّ وقال: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه»، ولهم في ذلك رواياتٌ وأقوالٌ في التفسير مختلفة»[1].

ثم نقل بعض الروايات مثل ما ذكره الثعلبي في تفسيره في قصّة الحارث بن النعمان، وبعد نقل القصّة، قال: (وهذه الرواية موضوعة)[2].

أقول: هَبْ أنّ خبر الحارث بن النعمان من الأخبار الموضوعة، فما تقول فيما رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن أبي سعيد الخدري: أنّها نزلت يوم غدير خُمّ في علي بن أبي طالب عليه السلام؟

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج٦، ص٣٨٤.

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج٦، ص٣٨٤

أضف إلى ذلك ما في **تفسير الميزان** من أنّ: حديث الغدير حديثٌ متواتر منقول من طرق الشيعة وأهل السنّة بما يزيد على مائة طريقٍ، ثم ذكر أسماء بعض الصحابة[1].

أقول: إنّما أشرنا إلى قصة الغدير بمناسبة نزول الآية، وإلاّ فالذي كنّا بصدده مسألة اختصاصه صلى الله عليه وآله بالحفظ والحراسة من جانب ربّه تعالى.

(١) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٦، ص٥٩.

الخصيصة الحادية عشرة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنه أوّل المسلمين وأخلص الموحّدين وأخشع العابدين

وهذه الخصيصة تستفاد من آياتٍ في آخر سورة الأنعام، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. وأما صدر الآية وما قبلها، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى ٰصِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إبراهيم حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * لَا شَرِيك لَهُ وَبِذَ ٰلِك أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

في قوله: ﴿وَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ دلالة على أنّه صلى الله عليه وآله أوّل الناس من حيث درجة الإسلام وإنّ قبله صلى الله عليه وآله زماناً كان غيره من المسلمين، وقد حكى الله سبحانه ذلك عن نوح وعن إبراهيم وغيرهما في سورة يونس: ﴿...وَأُمِرْتُ أَنْ أَكونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، وفي سورة البقرة: ﴿...أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[3]. ولم يُنعت في القرآن أحدٌ بـ(أوّل المسلمين) إلاّ ما يوجد في هذه الآية، وفي سورة الزمر من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام:١٦١ ـ ١٦٣.

(٢) سورة يونس:٧٢.

(٣) سورة البقرة:١٣١.

(٤) سورة الزمر:١١ ـ ١٢.

وفي (**تفسير المنار**): «ختم الله هذه السورة بهذه الآيات الكريمة الجامعة، فكانت خير الخواتيم في براعة المقطع. وذلك بأنّنا بيّنا في مواضع من تفسيرها أنّها أجمع السّور لأصول الدِّين وإقامة الحجج عليها، ودفع الشبهة عنها ولإبطال الشرك وتقاليده وخرافات أهله)[1].

قوله تعالى: ﴿...**دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إبراهيم حَنِيفاً**...﴾[2] (هذا الدين دين التوحيد والاستقامة والإخلاص لله وحده في العبادة، هو الدّين الذي بعث الله به جميع رسله وقرّره في جميع كتبه، وإنّما عبَّر عنه بملَّة إبراهيم عليه السلام؛ لأنّه عليه السلام هو النبيُّ المرسل الذي أجمع على الاعتراف بفضله وصحّة دينه وحُسن هديه العرب ومَنْ حولهم من أهل الكتاب اليهود والنصارى، وكلٌّ يدّعي الاهتداء بهداه، وقد كانت قريش ومن وافقها من العرب يسمُّون أنفسهم الحنفاء، مدّعين أنّهم على ملّة إبراهيم عليه السلام؛ ولذا وُصِلَ وصفُه بالحنيف بنفي الشّرك عنه، وكذا فعل أهل الكتاب بادِّعاء اتّباعه واتّباع موسى وعيسى عليهما السلام، وكذا يفعل أهل البِدَع الشّركية المنتمين إلى الإسلام، فحكمة كلٍّ من الإخبار والأمر استمالة العرب ثم أهل الكتاب إلى الإسلام، ببيان أنّ أساس دينه وقواعد عقائده ودعائم فضائله هي ما كان عليه إبراهيم المتّفق على هداه»[3].

قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ**

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج٨، ص٢١٠.

(٢) سورة الأنعام:١٦١.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج٨، ص٢١٢.

﴿ٱلْعَالَمِينَ﴾.

«أمَرَهُ الله ثانياً أن يخبرهم بأنّه عامل بما هداه الله إليه، متلبّس به كما أنّه مأمور بذلك؛ ليكون أبعد من التهمة عندهم وأقرب إلى تلقّيهم بالقبول، فإنّ أمارة الصدق أن يعمل الإنسان بما يندب إليه، ويطابق فعله قوله. فقال: قل: إنّي جعلت صلاتي ومطلق عبادتي ومحياي بجميع ما له من الشؤون الراجعة إليّ، ومماتي بجميع ما يعود إليّ من أموره، جعلتها كلّها لله ربّ العالمين من غير أن أشرك به فيها أحداً، فإنّه ربّ العالمين، وقد أُمِرت بهذا النحو من العبودية، وأنا أوّل المسلمين لله فيما أراده من العبودية التامة في كلّ بابٍ وجهة»[1].

قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبّاً﴾ يحكمني ويصرف أمري ويهمين عليَّ ويقوّمني ويوجّهني وأنا مأخوذ بنيّتي وعملي، محاسب على ما أكسبه من طاعة ومعصيةٍ.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبّاً﴾ وهذا الكون كلّه في قبضته، وأنا وأنتم في ربوبيته؟

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبّاً﴾ وكلّ فرد يُجزى بذنبه لا يحمله عنه غيره؟ ﴿...وَلَا تَكسِبُ كلُّ نَفْسٍ إلاّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ...﴾[2].

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبّاً﴾ وإليه مرجعكم جميعاً فيحاسبكم على ما كنتم تختلفون فيه؟

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٧، ص٣٩٤.

(٢) سورة الأنعام:١٦٤.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبّاً﴾ وهو الذي استخلف الناس في الأرض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات في العقل والجسم والرزق، ليبتليهم أيشكرون أم يكفرون؟

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبّاً﴾ وهو سريع العقاب، وغفور رحيم. كلّ هذه شاهدة وهادية إلى أنّ الله وحده هو الرب الواحد المتفرد لا اله إلاّ هو لا شريك له[1].

جملة من الروايات الواردة في الباب

قوله: ﴿حَنِيفاً مُّسْلِماً﴾، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «خالصاً مخلصاً. لا يشوبه شيء»[2].

وعن محمد بن علي عليهما السلام، قال: «ما من أحدٍ من هذه الأمّة يدين بدين إبراهيم عليه السلام غيرنا وشيعتنا»[3].

وعن الحسين بن علي عليهما السلام: «ما أحدٌ على ملّة إبراهيم عليه السلام إلاّ نحن وشيعتنا، وسائر الناس منها براء»[4].

---

(١) انظر: تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٣، ص١٢٤١.

(٢) المحاسن، البرقي: ج١، ص٢٥١؛ وعنه: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٢، ص٥٠٧.

(٣) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج١، ص٣٨٨، وعنه: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٢، ص٥٠٧.

(٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج١، ص٣٨٨، وعنه: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٢، ص٥٠٨.

دفع شبهة

عن **(ابن كثير الدمشقي)** في تفسيره، في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[1] قال: «وليس يلزم من كونه صلى الله عليه وآله أُمِرَ باتّباع ملّة إبراهيم الحنيفة أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ لأنّه صلى الله عليه وآله قام بها قياماً عظيماً، وأكمل له إكمالاً تامّاً لم يسبقه أحدٌ إلى هذا الكمال؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء وسيّد ولد آدم على الإطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل عليه السلام. وقد قال ابن مردويه: ورد الحديث أنّه كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصبح، قال: «أصبحنا على ملّة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وملّة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»»[2].

قوله تعالى: ﴿**أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفاً**﴾ في التوحيد والدعوة إليه بالرفق وإيراد الدلائل، ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ بل كان قدوة الموحّدين.

عن **(مصباح الشريعة)**، قال الصادق عليه السلام: «ولا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الإقتداء؛ لأنه المنهج الأوضح والمقصد الأصحّ، قال الله عزّ وجلّ لأعزّ خلقه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[3]. وقال عزّ وجلّ: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفاً**﴾[4].فلو كان لدين الله تعالى مسلكٌ أقوم من الإقتداء لندب أولياءه وأنبياءه إليه)[5].

---

(١) سورة النحل: ١٢٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٢، ص٢٠٦.

(٣) سورة الأنعام:٩٠.

(٤) سورة النحل: ١٢٣.

(٥) انظر: تفسير كنز الدقائق، محمد بن محمد رضا القمي: ج٧، ص٢٨٩.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين، والحمد لله ربّ العالمين

الخصيصة الثانية عشرة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنه مبعوث إلى الخلائق من الجنّ والإنس كافة

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكمْ جَمِيعاً ٱلَّذِي لَهُ مُلْك ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلاّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

في تفسير **سيد قطب**: «هذه الرسالة رسالةٌ شاملةٌ لجميع الأمم، الرسالة التي لا تختص بقومٍ ولا أرضٍ ولا جيل، ولقد كانت الرسالات قبلها رسالات محليّة قومية محدودة بفترةٍ من الزمان، وكانت البشرية تخطو على هدى هذه الرسالات خطواتٍ محدودة؛ تأهيلاً لها للرسالة الأخيرة... التي جاءت كاملةً في أصولها... وجاءت للبشر جميعاً... وجاءت وفق الفطرة الإنسانية التي يلتقي عندها الناس جميعاً. ومن ثمّ حملها النبي الأمّي الذي لم يدخل على فطرته الصافية ـ كما خرجت من يد الله ـ إلا تعليم الله، فلم تشب هذه الفطرة شائبةٌ من تعليم الأرض ومن أفكار الناس، ليحمل رسالة الفطرة إلى فطرة الناس جميعا، فقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكمْ جَمِيعاً﴾[2].

بعد تكليف الرسول بأن يعلن رسالته للناس جميعاً، فنجد بقيّة التكليف

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٨.

في تعريف الناس جميعاً بربّهم الحق سبحانه: ﴿**ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ**﴾[1]... إنّه صلى الله عليه وآله رسول للناس جميعاً من ربّهم الذي يملك هذا الوجود كلّه... والذي يتفرّد بالألوهية وحده، فالكلّ له عبيد، والذي تتجلى قدرته وألوهيته في أنّه الذي يحيي ويميت... والذي يملك الحياة والموت للناس جميعاً. هو الذي يستحق أن يدين الناس بدينه، [ويهتدون بهدايته][2]، ﴿**فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾»[3].

وفي (**تفسير الفخر الرازي**): «هذه الآية وإن دلّت على أنّ محمداً صلى الله عليه وآله مبعوثٌ إلى كلّ الخلق، فليس فيها دلالة على أنّ غيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان مبعوثاً إلى كلّ الخلق، بل يجب الرجوع إلى سائر الأدلّة. فنقول: تمسّك جمع من العلماء [باختصاصه بذلك][4]، بقوله صلى الله عليه وآله: «أعطيت خمساً لم يُعطهنّ أحدٌ قبلي أرسلت إلى الأحمر والأسود، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونُصرت على عدوي بالرعب... وأطعمت الغنيمة دون مَنْ قبلي، وقيل لي سَلْ تُعطَه فاختبأتها شفاعةً لأمّتي»[5]»[6].

---

[1] سورة الأعراف: ١٥٨.

(٢) ما بين المعقوفتين إضافة من المؤلّف رحمه الله.

(٣) انظر: تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٣، ص١٣٧٩ ـ ١٣٨٠.

(٤) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف، وفي المصدر: (إنّ أحداً غيره ما كان مبعوثاً إلى كلّ الخلق).

(٥) انظر: المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٢، ص٤٢٤.

(٦) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج١٥، ص ٢٧.

وعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، قال: «جاء نفرٌ من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: يا محمّد، أنت الذي تزعم أنّك رسول الله، وأنّك الذي يوحى إليك كما أوحي إلى موسى بن عمران عليه السلام؟ فسكت النبي صلى الله عليه وآله ساعةً، ثمّ قال: نعم، أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النّبيين، وإمام المتقين، ورسول ربّ العالمين. قالوا: إلى مَن، إلى العرب، أم إلى العجم، أم إلينا؟ فأنزل الله تعالى عزّ وجلّ هذه الآية»[1] لتبيّن أنّه صلى الله عليه وآله مبعوث إلى الخلق كافة.

وفي (**تفسير المنار**): (وفي هذا المعنى [المبعوث إلى البشر كافة][2] أحاديثٌ صحيحةٌ ناطقة باختصاصه صلى الله عليه وآله بالرسالة العامة، كحديث جابر في الصحيحين وغيرهما، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعطيت خَمساً لم يُعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي، نُصرتُ بالرُّعب وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً... وأحُلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحدٍ قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبيّ يُبعث إلى قومه خاصةً، وبُعثت إلى الناس عامّة» وفي رواية: كافّة»[3].

وفي (**تفسير الميزان**): (لمّا لاح من الأوصاف التي وصف بها نبيه صلى الله عليه وآله [في آية (١٥٧) قبل الآية المبحوث عنها: ﴿**ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ**﴾[4]][5] أنّ عنده كمال الدين الذي به حياة الناس الطيّبة في أيّ مكان فرضوا، وفي أيّ زمان قُدّر وجودهم، وأنّه يأمرهم

(١) تفسير كنز الدقائق، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي: ج٥، ص٢٠٩.

(٢) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج٩، ص٢٥٦.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٥) سورة الأعراف: ١٥٧.ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحلّل لهم الطيبات، ويحرّم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي عليهم، أمر نبيّه أن يعلن بنبوته الناس جميعاً من غير أن تختصّ بقومٍ دون قوم، فقال: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكمْ جَمِيعاً**﴾[1].

أقول: ويؤيّد رسالته لعامّة البشر، قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاك إلاّ كافَّةً لِّلنَّاسِ**﴾[2].

على أحد الوجهين في المراد من كلمة (كافّة): وأنّها حال للمجرور ـ أعني للناس ـ حيث قدّم الحال، أو حال عن المفعول في قوله: ﴿**أَرْسَلْنَاك**﴾.

ولا بأس بما ذكره **أبو الفداء** في تفسيره عن عكرمة، قال: «سمعت ابن عباس يقول: إنّ الله فضّل محمداً على أهل السماء وعلى الأنبياء. قالوا: يا ابن عباس فبم فضّله الله على الأنبياء؟ قال (رضي الله عنه): إنّ الله تعالى قال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[3]، وقال للنبي صلى الله عليه وآله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاّ كافَّةً لِّلنَّاسِ**﴾[4] فأرسله إلى الجنّ

(١) انظر: تفسير الميزان ، العلامة الطباطبائي: ج٨، ص٢٨٣ (مع تصرف ببعض العبارات من قبل المؤلّف رحمه الله).

(٢) سورة سبأ: ٢٨.

(٣) سورة إبراهيم: ٤.

(٤) سورة سبأ: ٢٨.

والإنس»[1].

وهذا الذي قاله ابن عباس قد ثبت في الصحيحين، ثم ذكر رواية جابر (رضي الله عنه) أنّه أعطي خمساً لم يعطهنّ أحدٌ غيره، ثم قال: وفي الصحيح أنّه صلى الله عليه وآله قال: «إنّي بعثت إلى الأسود والأحمر»، أي: الجن والإنس[2].

وفي **(مجمع البيان)**: (أرسلناك إلى عامّة الناس كلّهم العرب والعجم وسائر الأمم ويؤيده الحديث المروي عن ابن عباس: «أعطيت خمساً ولا أقول فخراً». الحديث.

وقال العلاّمة الطباطبائي: هذه الرواية متعارضة لما ورد مستفيضاً من أنّ نوحاً كان مبعوثاً إلى الناس كافة[3] فراجع. وصلّى الله على محمّد وآل محمّد

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي: ج٣، ص٥٤٧.

(٢) ورد في المصدر هذا المعنى عن مجاهد، وذكر عن غيره كذلك في معنى (الأسود والأحمر): العرب والعجم، ومن ثمّ ذكر أنّ كلاهما صحيح. انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي: ج٣، ص٥٤٧.

(٣) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣٧٨.

الخصيصة الثالثة عشرة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بالأنفال من بين الناس

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

الأنفال على ما في (تفسير الميزان): (هي الأشياء من الأموال التي لا مالك لها من الناس كرؤوس الجبال، وبطون الأودية، والديار الخربة، والقرى التي باد أهلها، وتركة من لا وراث له، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ بعد قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾.

والذي يترائى من سياق الآيات وقوع الخصومة والتخاصم بين المسلمين في الغنائم وفي حكم الأنفال، فإنّ كلّ طائفة منهم يأخذ بما تهوى إليه أنفسهم، وزعموا أنّهم مالكون للأنفال والغنائم، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لحلّ الاختلاف، فأجابهم بأنّ: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وفرّع على ذلك التمسك بتقوى الله، وإصلاح ذات البين، والتجنّب عن المشاجرة والاختلاف، ونبّههم بأنّ الملك كلّه لله تعالى وللرسول إلاّ ما شرّع لهم من الأملاك. والظاهر أن الآيات نزلت في قصة بدر، حتى كان ابن

---

(١) سورة الأنفال: ١.

عباس ـ على المنقول منه ـ يسميها سورة بدر)[1].

وقال ابن العربي في **(آيات الأحكام)**: «قال علماؤنا: ها هنا ثلاثة أسماء: الأنفال، الغنائم، الفيء. فالنفل: الزيادة، وتدخل فيه الغنيمة، فإنها زيادة الحلال لهذه الأمّة. والغنيمة: ما أخذ من أموال الكفار بقتال. والفيء: ما أخذ بغير قتال»[2].

وفي **(تفسير الكشاف)**: «عن سعد بن أبي وقاص: قتل أخي عمير يوم بدر، فقتلت به سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأعجبني، فجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: إنّ الله قد شفى صدري من المشركين، فهب لي هذا السيف، فقال: «ليس هذا لي ولا لك، اطرحه في القبض» (المال المقبوض)، فطرحته وبي ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى من قتل أخي وأخذ سلبي، فما جاوزت إلاّ قليلاً حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أُنزلت سورة الأنفال، فقال: «يا سعد، إنّك سألتني السيف وليس لي، وإنّه قد صار لي فاذهب فخذه».

وعن عبادة بن الصامت كما في **(الكشاف)**: نزلت الآيات فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وآله، فقسّمه بين المسلمين على السواء، وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين.

وبهذا الخبر يظهر وجه الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله: ﴿**قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ**﴾ فإنّ معناه: أنّ حكمها مختصّ بالله ورسوله، يأمر الله

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٩، ص٧ ـ ٨.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي: ج٢، ص٣٧٧.

بقسمتها على ما تقضي الحكمة، ويمتثل الرسول أمر الله تعالى فيها، وليس الأمر في قسمتها مفوّضاً إلى أحدٍ. والمراد أنّ الذي اقتضته حكمة الله، وأمر به رسوله أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل [حين الأمر بالجهاد][1] الشيوخ الذين كانوا عند الرايات، فيقاسموهم على السويّة»[2].

وقال ابن العربي في **(آيات الأحكام)**: «قال علماؤنا: قوله تعالى استفتاح كلام، وابتداء بالحق الذي ليس وراءه مرمى، الكلّ لله تعالى، وقوله بعد ذلك: ﴿**لِلرَّسُولِ**﴾ قيل: أراد به مُلكاً، وقيل: أراد ولاية قسم وبيان حكم. والأوّل أصحّ»[3].

وفي تفسير **(الحافظ أبي الفداء)**: (عن ابن عباس أنّه قال: الأنفال: الغنائم، كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله خالصةً ليس لأحدٍ منها شيءٌ... وفيه أيضاً: عن عطاء بن أبي رباح في الآية: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ**﴾ قال: يسألونك فيما شذّ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابّةٍ أو عبدٍ أو أمةٍ أو متاعٍ، فهو نفلٌ للنبي صلى الله عليه وآله يصنع به ما يشاء)[4].

وفي **(تفسير التبيان)**: روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «إنّ الأنفال كلّ ما أُخذ من دار الحرب بغير قتالٍ إذا انجلى عنها أهلها»، ويسمّيه الفقهاء: فيئاً، وميراث من لا وراث له، وقطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب،

---

(١) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٢) انظر: تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٢، ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي: ج٢، ص٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٢، ص٢٩٤.

والآجام، وبطون الأودية والموات، وغير ذلك ممّا ذكرناه في كتب الفقه.

وقالا عليهما السلام: «هو لله وللرسول، وبعده للقائم مقامه يصرفه حيث يشاء من مصالح نفسه، ومن يلزمه مؤنته ليس لأحدٍ فيه شيء». وقالا عليهما السلام: «إن غنائم بدر كانت للنبيّ صلى الله عليه وآله خاصّة، فسألوه أن يعطيهم»[1].

الحاصل من ذكر أقوال المفسرين والروايات في شأن نزول الآيات أمور:

الأول: أنّ الآيات نزلت في قصة غزوة بدر.

الثاني: وقوع الخلاف والمشاجرة بينهم بعد الفتح وجمع الغنائم. إنّ الشبان المقاتلين يزعمون أن الغنائم كلّها لهم؛ لأنّ الفتح وقع بأيديهم. والشيوخ الواقفين تحت الرايات يرون أنفسهم أصحاب الحقّ؛ لأنّهم المرابطون والملازمون لرسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّهم المرجع والمأوى عند الانهزام والرجوع.

الثالث: أنهم رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وآله سألوا عن الحكم وفصل الخصومة، فنزلت الآيات تخصّ الأنفال التي لم تؤخذ بالحرب لله ولرسوله في الآية الأولى. وحكم بتقسيم غنائم الحرب بأن جعل خمس الغنائم في المصارف التي وصفت في الآية ٤١[2] يرجع أربعة أخماسها إلى المجاهدين يأكلونها ويمتلكونها ويتمتعون بها.

وأمّا الأنفال: فلها حكمها الخاصّ وهو اختصاصها بالله وبرسوله، وجعل إليه اختيارها في الصرف بيد رسوله كيف شاء في مصالح نفسه، ومصالح

(١) انظر: تفسير التبيان، الشيخ الطوسي: ج٥، ص٧٢.

(٢) ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ...﴾ الأنفال: ٤١.

من يعول به من القريب والبعيد من المسلمين، وهذه هي الخصيصة التي جعلناها عنوان الفصل.

الأنفال بعد النبي صلى الله عليه وآله

قال الشيخ في **(التبيان)**: «اختلفوا [في النفل][1] هل لأحدٍ بعد النبي أن ينفل أحداً؟ ثم قال: وعندنا وعند جماعة من الفقهاء، واختاره الطبري: أنّ للأئمة عليهم السلام أن يتأسّوا بالنبي صلى الله عليه وآله في ذلك»[2].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «نحن قومٌ فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال، ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ...**﴾[3].

وعن بشير الدهان، عن الصادق عليه السلام: «إن الله فرض طاعتنا في كتابه، فلا يسع الناس جهلنا، ولنا صفو المال، ولنا الأنفال، ولنا كرائم القرآن»[4].

أقول: الروايات في تعريف الأنفال ـ ولمن هي ـ كثيرةٌ، ذكرنا نموذجاً منها، فراجع **(تفسير البرهان)**[5].

---

(١) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٢) انظر: تفسير التبيان، الشيخ الطوسي: ج٥، ص٧٤.

(٣) سورة النساء: ٥٤ ـ تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج٤، ص١٣٢.

(٤) تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني: ج١، ص٣٧.

(٥) تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني: ج٢، ص٦٤٠ ـ ٦٤٧.

الخصيصة الرابعة عشرة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بخمس الغنائم

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِٱللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

في (**تفسير جوامع الجامع**) للطبرسي: «قال أصحابنا: إنّ الخمس يقسّم على ستّة أسهم، كما في الآية: سهمٌ لله، وسهمٌ للرسول صلى الله عليه وآله، وسهمٌ لذوي القربى، فهذه الأسهم الثلاثة اليوم للإمام القائم مقام الرسول صلى الله عليه وآله، وسهمٌ ليتامى آل محمد، وسهمٌ لمساكينهم، وسهمٌ لأبناء سبيلهم، لا يشركهم في ذلك غيرهم؛ لأنّ الله سبحانه حرّم عليهم الصدقة لكونها أوساخ الناس وعوّضهم عن ذلك الخمس. روى ذلك الطبري عن علي بن الحسين زين العابدين، ومحمد بن علي الباقر صلوات الله عليهما، ورووا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قيل له: إنّ الله تعالى قال: ﴿وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ﴾، فقال: أيتامنا ومساكيننا»[2].

---

(١) سورة الأنفال: ٤١.

(٢) تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ج٢، ص٢٥.

وفي (**تفسير الصافي**): في قوله تعالى: ﴿**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ**﴾ (قيل: أي: الذي أخذتموه من الكفار قهراً. وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: «هي والله الإفادة يوماً بيوم»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن والله عنى بذي القربى الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، فقال: ﴿**مَّا أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ...**﴾[2] [منّا][3] خاصةً»[4].

وفيه أيضاً: عن القمّي: «فمن الغنيمة يخرج الخمس ويقسّم على ستّة أسهم: سهم لله، وسهم لرسول صلى الله عليه وآله، وسهم للإمام، فسهم الله وسهم الرسول يرثه الإمام، فيكون للإمام ثلاثة أسهم من ستة، وثلاثة أسهم لأيتام آل الرسول صلوات الله عليهم، ومساكينهم وأبناء سبيلهم، وإنّما صارت للإمام وحده من الخمس ثلاثة أسهم لأنّ الله تعالى قد ألزمه بما ألزم النبي صلى الله عليه وآله من تربية الأيتام، ومؤن المسلمين، وقضاء ديونهم، وحملهم في الحج والجهاد، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله لما أنزل عليه: ﴿**ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...**﴾[5]. وهو أبٌ لهم، فلمّا جعله الله أباً للمؤمنين لزمهم ما يلزم الوالد للولد، فقال عند ذلك: «من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك

---

(١) الكافي، الكليني: ج١، ص٥٤٤.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) في الكافي: وردت (فينا)، انظر: الكافي، الشيخ الكليني: ج٨، ص٦٣.

(٤) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٢، ص٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٥) سورة الأحزاب: ٦.

ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ»، فلزم الإمام ما لزم الرسول صلى الله عليه وآله؛ فلذلك صار له من الخمس ثلاثة أسهم»[1].

وفي (**تفسير الميزان**): عن سماعة، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس، فقال: «في كلّ ما أفاد الناس من قليلٍ أو كثيرٍ»[2].

وقال العلاّمة الطباطبائي: «والأخبار عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام متواترةٌ في اختصاص الخمس بالله، ورسوله، والإمام من أهل بيته، ويتامى قرابته ومساكينهم وأبناء سبيلهم لا يتعدّاهم إلى غيرهم، وأنّه يقسّم ستة أسهم، وأنّه لا يختصّ بغنائم الحرب، بل يعمّ كلّ ما يسمّى غنيمةً لغةً، من أرباح المكاسب، والكنوز، والغوص، والمعادن، والملاحة.

وفي الروايات: أنّ ذلك موهبة من الله تعالى لأهل البيت بما حرّم عليهم الزكوات والصدقات»[3].

أقول: في الآية الشريفة مجالٌ لأبحاث متعددةٍ فقهيةٍ وكلاميةٍ واجتماعيةٍ لسنا بصددها، وإنّما غرضنا من البحث في هذه الآية الشريفة حول اختصاص النبي صلى الله عليه وآله بخمس الغنائم في الجملة.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

---

(١) تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني: ج٢، ص٣٠٤.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج١، ص٥٤٥؛ وعنه: تفسير الميزان ، العلامة الطباطبائي: ج٩، ص١٠٣

(٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٩، ص١٠٤.

الخصيصة الخامسة عشرة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بعنايةٍ إلهية

العناية الإلهية في حفظه وحراسته أبطلت كلّ ما عقده الكفار من المكر والحِيَل والمشاورة في هلاك النبي صلى الله عليه وآله. ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ﴾[1].

ومحصّل معنى الآية: واذكر يا محمد إذ يمكر بك الذين كفروا من قريش؛ لإبطال دعوتك أن يوقعوا بك أحد أمورٍ ثلاثة: إمّا أن يحبسوك، وإمّا أن يقتلوك، وإمّا أن يخرجوك، والترديد في الآية ـ على ما في تفسير الميزان ـ بين الأمور الثلاثة يدلّ على أنّ لهم مجلس شورى ومشاورة في أمر النبي صلى الله عليه وآله[2].

ويؤيّد ذلك ما قيل في شأن نزول الآية الشريفة، كما في تفسير الكشّاف[3]، وأبي الفداء[4]، وتبيان الشيخ الطوسي[5]، ومجمع البيان[6].

---

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

(٢) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٩، ص٦٦.

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري: ج٢، ص٢١٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٢، ص٣١٥.

(٥) انظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ج٥، ص١٠٩.

(٦) انظر: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٤، ص٤٥٧.

ونحن نذكر ما روي عن (**الدُّر المنثور**): عن ابن عباس رحمه الله في أنّ جماعة قريش تشاورت [في دار الندوة][1] بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأوثقوه بالوثاق. وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيّه على ذلك، فبات عليٌّ عليه السلام على فراش النبيّ صلى الله عليه وآله، وخرج النبيّ صلى الله عليه وآله حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليّاً يحسبونه النبي صلى الله عليه وآله، فلمّا أصبحوا ثاروا عليه فلمّا رأوه عليّاً عليه السلام ردّ الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري. فاقتصّوا أثره، فلمّا بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث عليه السلام ثلاث ليال. ثم خرج إلى المدينة[2].

ونقل العلاّمة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان شأن نزول الآية عن تفسير القمّي بوجهٍ أبسط، من أراد التفصيل فليراجع[3].

وعن عبيد الله بن أبي رافع: أنّ عليّ بن أبي طالب يذكر مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله في أبيات:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصا ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمّد لمّا خاف أن يمكروا به ... فوقاه ربي ذو الجلال من المكر
وبتُّ أراعيهم متى ينشرونني ... وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر

---

(١) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٩، ص٧٧، والدر المنثور في تفسير المأثور، جلال الدين السيوطي: ج٣، ص١٧٩.

(٣) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٩، ص٧٧.

وبات رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار آمناً هناك وفي حفظ الإله وفي ستر[1]

وقال العلامة رحمه الله: وقد روى الأبيات عنه عليه السلام بتفاوت يسير في **(الدر المنثور)** عن الحاكم عن علي بن الحسين عليه السلام[2].

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٩، ص٨٢.

(٢) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي: ج٣، ص١٨٠.

الخصيصة السادسة عشرة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنه أمانٌ من عذاب الاستئصال ما دام فيهم

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

في (تفسير مجمع البيان): «وما كان الله يعذّب أهل مكّة بعذاب الاستئصال وأنت مقيمٌ بين أظهرهم؛ لفضلك وحرمتك يا محمّد، فإنّ الله بعثك رحمةً للعالمين، فلا يعذّبهم إلا بعد أن يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة بإخراجك عنهم. قال ابن عباس: إن الله سبحانه لم يعذّب قومه حتى أخرجوه منها»[2].

أقول: الآية مسوقة لبيان الجواب عمّا اقترحوا على النبي صلى الله عليه وآله وأنكروا كتابه ونبوّته في الآيات السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَا إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3] فأجيبوا بهذا الجواب.

---

(١) سورة الأنفال: ٣٣.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٤، ص٤٦٠ ـ ٤٦١.

(٣) سورة الأنفال: ٣١ ـ ٣٢.

قيل: القائل بهذا أبو جهل بن هشام، وقيل: هو النضر بن الحارث بن كلدة. والمنسوب إلى أبي جهل مرويٌ عن البخاري، والمنسوب إلى النضر بن الحارث نُقل عن مجاهد وعطا وسعيد بن جبير والسدّي.[1]

قال (**البيضاوي**): «قوله تعالى: ﴿**وَمَا كانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم»[2].

وفي (**تفسير المنار**): «ما كان من شأن الله تعالى وسنّته، ولا من مقتضى رحمته ولا حكمته أن يعذبهم وأنت أيها الرسول فيهم، وهو إنّما أرسلك رحمةً للعالمين، ونعمةً لا عذاباً ونقمةً، بل لم يكن من سنّته أيضاً أن يعذب أمثالهم من مكذّبي الرسل وهم فيهم، بل كان يخرجهم منهم أوّلاً، كما قال ابن عباس: وما كان الله معذّبهم هذا النوع من العذاب السماوي الذي عذّب بمثله الأمم فاستأصلهم، أو مطلقاً. وهم يستغفرون، أي: في حال هم يتلبّسون فيها باستغفاره تعالى بالاستمرار»[3].

وفي (**تفسير الصافي**) قال الفيض رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿**وَمَا كانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ**﴾ بيانٌ لموجب إمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم.

قوله: ﴿**وَمَا لَهُمْ إلاّ يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ**﴾ فإنهم ألجأوا رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين إلى الهجرة، وأحصروا

(١) انظر: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٤، ص٤٦٠.
(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التاويل، البيضاوي: ج٣، ص١٠٥.
(٣) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا: ج٩، ص٥٤٥.

عام الحديبيّة ﴿وَمَا كانُواْ أَوْلِيَاءهُ﴾ مستحقين ولاية أمره مع شركهم، وهو ردّ لقولهم: نحن ولاة البيت، ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاّ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ المتقون من الشرك»[1].

وفيه عن **(الكافي)** عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنّ لكم في حياتي خيراً، وفي مماتي خيراً» فقيل له: يا رسول الله! أمّا حياتك فقد علمنا، فما لنا في وفاتك؟ فقال: «أمّا في حياتي فإن الله يقول ﴿وَمَا كانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ وأمّا في مماتي فتعرض عليّ أعمالكم فاستغفر لكم»[2].

وعن الباقر عليه السلام ما يقرب منه، وقال في آخر الخبر: «فإنّ أعمالكم تعرض عليّ كلّ خميس وإثنين فما كان من حسنةٍ حمدت الله عليها، وما كان من سيئة استغفرت الله لكم»[3].

وعن **(نهج البلاغة)**: «كان في الأرض أمانان من عذاب الله، وقد رُفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسّكوا به. أمّا الأمان الذي رفع، فهو رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّا الأمان الباقي، فالاستغفار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[4].

---

(١) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٢، ص٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج٨، ص٢٥٤؛ وعنه: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٢، ص٣٠٠.

(٣) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٢، ص٣٠٠.

(٤) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ج٤، ص١٩؛ وعنه: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٢، ص٣٠٠.

وفي **(الكشاف)** أنه نقل عن معاوية: «أنّه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك! قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله حين دعائهم إلى الحق: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة، ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا له»[1].

وفي **(مجمع البيان)**: كان قائل هذا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، وقد أُسرا يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي عليّ بالنضر أبغيه» فأخذ عليّ بشعره، وكان رجلاً جميلاً له شعر، فجاء به إلى النبي، فقال: يا محمد! أسألك بالرحم بيني وبينك إلا أجريتني كرجلٍ من قريش، إن قتلتهم قتلتني، وإن فاديتهم فاديتني، فقال صلى الله عليه وآله: «لا رحم بيني وبينك قطع الله الرحم بالإسلام، قدّمه يا عليّ فاضرب عنقه» ثم قال: «يا علي! عليّ بعقبة» فأحضر، فقال: يا محمد! ألم تقل لا تصبّر قريش؟ أي: لا يقتلون صبرا، فقال: «وأنت من قريش! إنما أنت من علجٌ من أهل صفورية، والله لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له» فأمر بقتله[2].

وفي **(سفينة البحار)**: كان عقبة بن أبي معيط ممّن جاهر بعداوة رسول الله صلى الله عليه وآله ونزلت فيه وفي أُبي بن خلف ﴿**يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**﴾[3][4].

---

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٢، ص٢١٧.

٢) انظر: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٤، ص٤٦٠.

(٣) سورة الفرقان: ٢٧.

(٤) انظر: مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ج٧، ص٢٧.

وفيه: «كان النبي صلى الله عليه وآله يطوف فشتمه عقبة بن أبي معيط وألقى عمامته في عنقه وجرّه من المسجد فأخذوه من يده. وكان يوماً جالساً على الصفا فشتمه أبو جهل ثم شجّ رأسه»[1].

وقتل أبو جهل يوم بدر كافراً، وقال النبي صلى الله عليه وآله في حقه لمّا قتل: «إنّ هذا أعتى على الله من فرعون إن فرعون لما أيقن بالهلاك وحّد الله وإن هذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزّى»[2].

أقول: إنّ الذي كنّا بصدده هو أنّ محمداً صلى الله عليه وآله أمانٌ من العذاب ما دام فيهم (في الجملة)، وأمّا نفي العذاب مع وجوده هل هو نفي عن الجميع، أو عن غير المعاندين فقط، ففيه اختلافٌ كثيرٌ في تفاسير العامّة والخاصّة.

---

١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١، ص٥٢؛ وعنه: مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ج١، ١٠٢.

٢) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ج٢، ص١٤٩؛ وانظر: المعجم الكبير، الطبراني: ج١١، ص٣٠٢.

الخصيصة السابعة عشرة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بدينٍ فطريٍ كاملٍ يفوق على جميع الأديان

وهي المستفادة من قوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كلِّهِ وَلَوْ كرِهَ ٱلْمُشْرِكونَ**﴾[1].

والمعنى: أنّ الله تعالى هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وآله بالهداية، أو الآيات والبيّنات؛ ليظهر وينصر دينه الذي هو دين الحق على كلّ الأديان ولو كره المشركون ذلك[2].

وعن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ...**﴾ أنّه قال: «والله ما نزل تأويلها بعدُ ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم لم يبقَ كافر بالله العظيم، ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه، حتى لو كان كافراً أو مشركاً في بطن صخرة، لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله»[3].

وعن (**الدّر المنثور**): «عن جابر في قوله تعالى: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كلِّهِ**﴾ قال: لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهوديّ ولا نصرانيّ صاحب ملّة إلا

---

(١) سورة التوبة: ٣٣.

(٢) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٩، ص٢٤٧ .

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ٦٧٠.

الإسلام حتى تأمن الشاة الذئب والبقرة الأسد والإنسان الحيّة، وحتى لا تقرض فأرة جراباً، وحتى يوضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، وذلك إذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام»[1].

وفي (**مجمع البيان**): «عن المقداد بن الأسود، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَرٍ ولا بَرٍ إلاّ أدخله الله كلمة الإسلام إمّا بعزّ عزيز، وإما بذلّ ذليل، إما يعزّهم فيجعلهم الله من أهله فيعزّوا، وإما يذلّهم فيدينون له». ذيل الآية»[2]. وكذلك في تفسير أبي الفداء[3].

وعن الحسين بن علي عليهما السلام، قال: «منّا إثنا عشر مهديّاً أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم التاسع من ولدي وهو الإمام القائم بالحقّ، يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين[4] الحقّ على الدين كلّه ولو كره المشركون»[5].

وعن محمّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: «القائم منّا منصور بالرُّعب، مؤيّد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله به دينه على الدِّين كله

---

(١) الدر المنثور في تفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٣، ص٢٣١؛ وعنه: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٩، ص٢٥٥.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٥، ص٤٥

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٢، ص٣٦٣.

(٤) في المصدر: كمال الدين.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة؛ الشيخ الصدوق: ص٣١٧؛ وعنه تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي: ج٥، ص٤٤٥.

ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلاّ قد عُمّر، وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه»[1].

وفي (**تفسير المنار**): «ومن العلماء من يقول: إنّ بعض هذه البشارات لا تتمُّ إلاّ في آخر الزمان عند ظهور المهديّ، وما يتلوه من نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء وإقامته لدين الإسلام الذي جاء به محمّد صلى الله عليه وآله، وإظهاره بالحكم والعمل به...

الى أن يقول: [ولا يصح الاحتجاج بأحاديث المهدي][2]؛ لأنها متعارضة ومصدرها نزعة سياسية شيعية معروفة، وللشيعة فيها خرافات...»[3] إلى آخر أباطيله.

وقال (**الفخر في تفسيره**) في وجه ظهور هذا الدين على الأديان: «الوجه الثاني: أن نقول: روي عن أبي هريرة أنّه قال: هذا وعدٌ من الله تعالى يجعل الإسلام عالياً على جميع الأديان. وتمام هذا إنّما يحصل عند خروج عيسى. وقال السدّي: ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحدٌ إلا دخل في الإسلام أو أدّى الخراج»[4].

وصلّى الله على محمّد وآل محمّد

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص٣٣١؛ وعنه: تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد رضا القمي: ج٥، ص٤٤٥.

(٢) في المصدر: (ولا يصح منها شيء يحتجّ به).

(٣) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج١٠، ص٣٤٢.

(٤) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج١٦، ص٤٠.

الخصيصة الثامنة عشرة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنه مؤيّد بنصر الله تعالى

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] ونظيرها الآية ٦٢ و٦٣ من سورة الأنفال[2].

ويقع البحث في هذه الآية من جهات:

الأولى: في معنى الآية، ومحصّل المعنى: أنّه إن لم تنصروا النبي صلى الله عليه وآله على قتال الأعداء فإنّ الله ناصره ومؤيّده وحافظه، كما تولّى نصره حين الخروج من مكّة، إذ أخرجه الكفّار من مكّة المكرّمة، وهاجر إلى المدينة المنوّرة مع أبي بكر، وهو قوله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ يعني: الرسول صلى الله عليه وآله وأبو بكر، واختفيا في الغار ـ وهو غار ثور ـ وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ ليس معهما ثالث، وهو أحد إثنين، فقد نصره الله تعالى في تلك

---

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣.

الحال، حيث قال الرسول ﷺ لصاحبه وهو أبو بكر: لا تحزن ولا تخف إنّ الله معنا، وهو مطّلعٌ علينا و عالمٌ بحالنا، يحفظنا وينصرنا، فأنزل الله سكينته على رسوله ﷺ وأيّده بجنودٍ غائبة عن أبصاركم، وحفِظَ رسوله ونصره في وقتٍ لم يكن له أحد ينصره ويدفع عنه، وقد تظاهرت الأعداء وأحاطوا به من كل جانبٍ، وذلك إذ همّ المشركون به وعزموا على قتله أو حبسه أو تبعيده، فاضطر إلى الخروج من مكّة. في حالٍ لم يكن إلا أحد رجلين إثنين، هو محمّد ﷺ وأبو بكر.

الجهة الثانية: في مرجع ضمير (السكينة)، فالظاهر الذي لا ريب فيه أنّ الضمير في قوله: ﴿**فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ**﴾ راجع إلى النبي ﷺ؛ لأنّ الضمائر قبله وبعده كلّها ترجع إليه،مثل قوله: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ**﴾، وقوله: ﴿**فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ**﴾، وقوله: ﴿**أَخْرَجَهُ**﴾، وقوله: ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ**﴾، وقوله: ﴿**أَيَّدَهُۥ**﴾، فلا مجال لرجوع الضمير في (السكينة) من بينها وحده إلى غيره من غير قرينة قطعية.

مع أنّ الكلام في الآية مسوق لبيان نصر الله تعالى لنبيّه، حيث لم يكن معه أحدٌ ممّن تمكّن من نصرته، فتكون تلك السكينة والتأييد له خاصّة.

وفي (**تفسير أبي الفداء**): قوله تعالى: ﴿**فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ**﴾، أي: تأييده ونصره، ﴿**عَلَيْهِ**﴾، أي: على الرسول ﷺ في أشهر القولين... ولا ينافي تجدّد سكينة خاصة بتلك الحال مع كونه ﷺ ذا سكينة؛ ولهذا قال: ﴿**وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾، أي: الملائكة[1].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٢، ص٣٧٣.

وفي (**تفسير روح البيان**): «وقال سعدي جلبي المفتي في حواشيه: بل الأوّل هو الأظهر المناسب للمقام، وإنزال السكينة لايلزم أن يكون لرفع الانزعاج، بل قد يكون لدفعه كما سبق في قصة حنين والفاء للتعقيب الذكري»[1].

أقول: قوله: بل الأوّل أظهر: هو إنزال السكينة على النبي صلى الله عليه وآله.

وهذا هو الظاهر من (سيد قطب) من قوله: «الرسول صلى الله عليه وآله وقد أنزل الله سكينته على قلبه، يهدئ من روعه ويطمئن من قلبه، فيقول له: يا أبا بكر ما ظنّك بإثنين الله ثالثهما»[2].

أضف إلى ذلك أنّ الآية تجري في سياق واحد، وهي مقام تكريم النبيّ وتعظيمه وحفظه من الأعداء.

وفي (**المجمع**): «عن الزهري: لمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر الغار أرسل الله زوجاً من حمام حتى باضا في أسفل الثقب، والعنكبوت حتى تنسج بيتاً، فلمّا جاء سراقة بن مالك في طلبهما فرأى بيض الحمام وبيت العنكبوت، قال: لو دخله أحد لانكسر البيض، وتفسخ بيت العنكبوت، فانصرف. وقال النبي صلى الله عليه وآله: «اللّهم أعم أبصارهم»، فعمّيت أبصارهم عن دخوله، وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار. وقال أبو بكر: لو نظروا إلى أقدامهم لرأونا...

وأيضاً روي عن علي بن إبراهيم بن هاشم، قال: كان رجل من خزاعة

---

(١) تفسير روح البيان، اسماعيل حقي الخلوتي: ج٣، ص٤٣٥.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٣، ص١٦٥٦.

فيهم يقال له أبو كرز، فما زال يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وقف بهم باب الغار، فقال لهم: هذه قدم محمد صلى الله عليه وآله، هي والله أخت القدم التي في المقام. وقال: هذه قدم أبي قحافة أو ابنه. وقال: ما جاوزا هذا المكان، إمّا أن يكونوا قد صعدوا في السماء، أو دخلوا في الأرض. فأنزل الله سكينته عليه وأيّده وصرف عنه وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه، وأخبر الله تعالى أنّه صرف عنه كيد أعدائه وهو في الغار، ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر. عن مجاهد والكلبي»[1].

الجهة الثالثة: وللعامّة في هذه الآية كلامٌ كثير ـ خصوصاً في تفسير الفخر ـ في فضيلة أبي بكر الذي صاحَب رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار، وأكثروا البحث والنقض والإيراد في هذه الدعوى.

وقال الشيخ الطوسي في **(التبيان)**: «ليس في الآية ما يدلّ على تفضيل أبي بكر؛ لأنّ الضمائر في الآية كلّها ترجع إلى النبي صلى الله عليه وآله، ومجرد كونه صاحباً لرسول الله صلى الله عليه وآله في الغار لا تفيد فضيلةً. ألا ترى أنّ الله تعالى قال في صفة المؤمن والكافر: ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ...**﴾[2]، وكقول يوسف عليه السلام: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[3]، فليس في الآية ما يظهر منه الفضيلة. ثم قال الشيخ: ولم نذكر هذا للطعن على أبي بكر، بل بيّنا أنّ

(١) انظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ج٥، ص٥٧.

(٢) سورة الكهف: ٣٧.

(٣) سورة يوسف: ٣٩.

الاستدلال بالآية على الفضل غير صحيح»[1].

أقول: تحصّل من جميع ما ذكرنا عن التفاسير ـ وقد أضربنا عن كثير الكلام في الآية الشريفة ـ أنّ النصر مختصّ بالرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه هو الذي اختصّه بنصره.

والسلام عليه وعلى ذريته الطاهرين

تذنيب:

وفي (**تفسير البرهان**) في ذيل الآية الشريفة: قال الزمخشري في (**ربيع الأبرار**): «قال سراقة بن مالك الذي تبع رسول الله صلى الله عليه وآله في مهاجره، فرسخت قوائم فرسه في الأرض، فدعا له فتخلّص، يخاطب أبا جهل:

أبا حكمٍ والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمتَ ولم تشكُك بأنّ محمداً ... رسولٌ ببرهانٍ فمَن ذا يقاومه»[2]

والحمد لله أوّلاً وآخراً

---

(١) انظر: تفسير التبيان، الشيخ الطوسي: ج٥، ص٢٢٢.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري: ج٢، ص٢٥٨؛ وعنه: تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني: ج٢، ص٧٧٨.

الخصيصة التاسعة عشرة

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنه أذنُ خيرٍ للجميع

وتستفاد هذه الخصيصة من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

في **(الكشاف)**: «الأُذُنُ: الرجل الذي يصدّق كلّ ما يسمع، ويقبل قول كلّ أحد، سُمّي بالجارحة التي هي آلة السماع، كأنّ جملته أذُنٌ سامعة، ونظيره قولهم للربيئة عين. [في الصحاح: الربيئة الطليعة][2]»[3].

وفي **(تفسير التبيان)** للشيخ الطوسي: «عن ابن اسحاق نزلت هذه الآية في نبتل بن الحارث كان يقول: إني لأنال من محمد ما شئت، ثم آتيه أعتذر إليه وأحلف له فيقبل، فجاء جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: إنه يجلس إليك رجل أدلم ثائر شعر الرأس، أسفع الخدين، أحمر العينين، كأنّهما قدران من صفر، كبده أغلظ من كبد الجمل، ينقل حديثك إلى المنافقين فأحذره، وكان ذلك صفة نبتل بن الحارث من منافقي الأنصار»[4].

---

(١) سورة التوبة: ٦٢.

(٢) ما بين المعقوفتين ورد في هامش المصدر.

(٣) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٢، ص٢٨٤

(٤) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي: ج٥، ص٢٤٨.

وفي **(تفسير القمي)**: «[نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إنّ رجلاً من المنافقين ينمّ عليك، وينقل حديثك إلى المنافقين، فقال صلى الله عليه وآله: من هو؟ فقال][1]: الرجل الأسود الوجه، الكثير شعر الرأس، ينظر بعينين كأنهما قدران، وينطق بلسان شيطان، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره فحلف أنّه لم يفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد قبلت منك [فلا تفعل][2] فرجع إلى أصحابه فقال: إنّ محمداً أذنٌ [أخبره الله أنّي أنمّ عليه وأنقل أخباره فقبل][3] وأخبرته أنّي لم أفعل ذلك فقبل»[4]. وقيل: غير ذلك.

قضية إسماعيل بن جعفر عليه السلام مع شارب الخمر

عن **(الكافي)**: عن حماد بن عيسى عن حريز، قال: كانت لإسماعيل بن أبي عبد الله عليه السلام دنانير، وأراد رجلٌ من قريش أن يخرج إلى اليمن، فقال إسماعيل: يا أبتِ! إنّ فلاناً يريد الخروج إلى اليمن وعندي كذا وكذا، أَفَترى أن أدفعها إليه يبتاع لي بها بضاعة من اليمن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا بني أما بلغك أنّه يشرب الخمر؟» فقال إسماعيل: هكذا يقول الناس، فقال: «يا بني لا تفعل». فعصى إسماعيل أباه ودفع إليه دنانيره، فاستهلكها ولم يأته بشيء منها، فخرج إسماعيل وقضى أنّ أبا عبد الله عليه السلام حجّ، وحجّ إسماعيل تلك السنة، فجعل يطوف بالبيت ويقول: اللهم آجرني واخلف

---

(١) هكذا ورد في المصدر.

(٢) في المصدر: (فلا تقعد).

(٣) كذا في المصدر.

(٤) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٣٠٠.

عليّ، فلحقه أبو عبد الله عليه السلام فهمزه بيده من خلفه، وقال له: «مه يا بني فلا والله ما لك على الله من هذا حجّة، ولا لك أن يؤجرك ولا يخلف عليك، وقد بلغك أنّه يشرب الخمر فائتمنته»، فقال إسماعيل: يا أبت إنّي لم أره يشرب الخمر إنّما سمعت الناس يقولون. فقال: «يا بني إنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] يقول: يصدّق لله ويصدّق للمؤمنين، فإذا شهد عندك المؤمنون فصدّقهم، ولا تأتمن شارب الخمر، فإنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[2] فأيّ سفيه أسفه من شارب الخمر. إنّ شارب الخمر لا يزوّج إذا خطب، ولا يشفّع إذا شفع، ولا يؤتمن على أمانة، فمن أئتمنه على أمانة فاستهلكها لم يكن للذي أئتمنه على الله أن يؤجره ولا يخلف عليه»[3].

في **(الكشاف)**: «فهو أذُنٌ كما قلتم إلا أنّه أذُن خير لكم لا أذُن سوء... يسمع منكم ويقبل إيمانكم الظاهر، ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم»[4].

ونظير ذلك ما في **(تفسير الميزان)**: «إنّه يصدّق الله فيما أخبره به من الوحي، ويصدّق لنفع المؤمنين كلّ من ألقى إليه خبراً بحمل فعله على الصحة، وعدم رميه بالكذب وسوء النيّة من غير أن يرتّب أثراً على كلّ ما يسمعه»[5].

---

(١) سورة التوبة: ٦٢

(٢) سورة النساء: ٥.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٥، ص٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٤) تفسير الكشاف الزمخشري: ج٢، ص٢٨٤.

(٥) تفسير الميزان ، العلامة الطباطبائي: ج٩، ص٣١٥.

الخصيصة العشرون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّ صلاته ودعاءه سكنٌ لقلوب المؤمنين

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

قال (**الفخر في تفسيره**): «وأقول: إنّ روح محمّد صلى الله عليه وآله كانت روحاً قويّةً مشرقةً صافيةً باهرةً، فإذا دعا لهم محمّد صلى الله عليه وآله وذكرهم بالخير فاضت آثارٌ من قوّته الروحانية على أرواحهم، فأشرقت بهذا السبب أرواحهم، وصفت أسرارهم، وانتقلوا من الظلمة إلى النور، ومن الجسمانية إلى الروحانية»[2].

وفي (**مجمع البيان**): «قوله ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ هذا أمرٌ من الله تعالى للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يدعو لمن يأخذ منه الصدقة، ومعناه: ادعُ لهم بقبول صدقاتهم... وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّه إذا أتاه قومٌ بصدقتهم، قال: «اللهم صلّ عليهم».

وفي الخبر أتاه ابن أبي أوفى بصدقته، وهو من أصحاب الشجرة، فقال صلى الله عليه وآله: «اللهم صلّ على آل أبي أوفى» ـ أورده البخاري ومسلم في الصحيح.

---

(١) سورة التوبة: ١٠٣.

(٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج١٦، ص١٨٤.

﴿إِنَّ صَلَاتَك سَكَنٌ لَّهُمْ﴾، أي: إن دعواتك ممّا تسكن نفوسهم إليه. وقيل: رحمةٌ لهم... وقيل: وقارٌ وطمأنينةٌ لهم أنّ الله قد قبِل منهم»[1].

وفي (تفسير ابن كثير): «عن حذيفة: إنّ صلاة النبي صلى الله عليه وآله لَتدرك الرجل وولده وولد ولده»[2].

وفي (تفسير الميزان): «قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَك سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التطهير: إزالة الأوساخ والقذارات من الشيء ليصفى وجوده ويستعد للنشوء والنمو وظهور آثاره وبركاته، والتزكية: إنماؤه وإعطاء الرشد له... والجمع بين التطهير والتزكية في الآية من لطيف التعبير.

فقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ أمرٌ للنبي صلى الله عليه وآله بأخذ الصدقة من أموال الناس، ولم يقل من مالهم؛ ليكون إشارة إلى أنّها مأخوذة من أصناف المال، وهي النقدان: الذهب والفضة، والأنعام الثلاثة: الإبل والبقر والغنم، والغلاّت الأربع: الحنطة والشعير والتمر والزبيب. وقوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ خطابٌ للنبي صلى الله عليه وآله... أي: خذ يا محمّد من أصناف أموالهم صدقة تطهرهم أنت وتزكّيهم بتلك الصدقة... وقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، الصلاة عليهم هي الدعاء لهم، والسياق يفيد أنّه دعاءٌ لهم ولأموالهم بالخير والبركة، وهو المحفوظ من سنّة النبي صلى الله عليه وآله فكان يدعو لمعطي الزكاة ولماله بالخير والبركة.

---

(١) تفسيرمجمع البيان، الشيخ الظبرسي: ج٥، ص١١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٢، ص٤٠٠.

وقوله: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾، السكن ما يسكن إليه الشيء والمراد من أن نفوسهم تسكن إلى دعائك وتثق به، وهو نوع شكرٍ لسعيهم في الله، كما أنّ قوله تعالى في ذيل الآية: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سكنٌ تسكن إليه نفوس المكلّفين ممّن يسمع الآية أو يتلوها، والآية تتضمّن حكم الزكاة المالية التي هي من أركان الشريعة والملّة على ما هو ظاهر الآية في نفسها، وقد فسّرَتها بذلك أخبارٌ متكاثرةٌ من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم»[1].

أقول: لا بأس بالإشارة إلى بعض الروايات الكثيرة، **ومنها:**

عن **(أصول الكافي)** عن الإمام الصادق عليه السلام: «من زعم أنّ الإمام يحتاج إلى ما في أيدي الناس فهو كافر[2]، إنما الناس يحتاجون أن يقبل منهم الإمام، قال الله عزّ وجلّ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾»[3].

ومنها: عن ابن بكير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّي لآخذ من أحدكم الدرهم وإنّي لأكثر أهل المدينة مالاً، ما أريد بذلك إلاّ أن تطهروا»[4].

ومنها: في حديثٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إذا ناولتم السائل شيئاً فاسألوه أن يدعو لكم فإنّه يُجاب فيكم ولا يُجاب في نفسه، لأنهم

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج٩، ص٣٧٧.

(٢) المقصود بالكفر هنا هو الكفر الذي يقابل الإيمان، وليس الكفر الذي يقابل الإسلام، والكافر هنا بمعنى انّه لم يحقق شرائط الايمان الكامل بالإمام المعصوم.(المحقق)

(٣) الكافي، الكليني: ج١، ص٥٣٧.

(٤) علل الشرائع، الصدوق: ج٢، ص٣٧٨.

يكذبون»[1].

ومنها: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «ضمنت على ربّي أنّ الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الربّ وهو قوله: ﴿**هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَاتِ**﴾»[2].

وفي هذه الروايات الكفاية، ولله الحمد أولاً وآخراً.

(١) الخصال، الصدوق: ص٦١٩.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج٢، ص١٠٨.

الخصيصة الحادية والعشرون

اختصاصه صلى الله عليه وآله أنّ اللّه تعالى وصف رسوله في كتابه باسمين من أسمائه أنه

(رؤوف رحيم)

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

في (**تفسير الكشاف**): «لم يجمع الله اسمين لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: ﴿رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾»[2].

وقال (**البيضاوي**): «قدّم الأبلغ منهما وهو الرؤوف؛ لأنّ الرأفة شدّة الرحمة»[3].

وفي (**مجمع البيان**): «قال بعض السلف: لم يجمع الله سبحانه لأحدٍ من أنبيائه بين اسمين من أسمائه إلاّ للنبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّه قال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾»[4].

وفي (**تفسير الفخر الرازي**): «اعلم أنّه تعالى وصف الرسول صلى الله عليه وآله في

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٢، ص٣٢٥.

(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ج٣، ص١٠٣.

(٤) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطوسي: ج٥، ص١٤٩.

هذه الآية بخسمة أنواعٍ من الصفات: الصفة الأولى، قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وفي تفسيره وجوه... الرابع [من الوجوه]: إنّ المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته، كأنّه قيل: هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والأمانة والعفاف ... الصفة الثانية: قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ... أي: يشقّ عليه مكروهكم، وأولى المكاره بالدفع مكروه عقاب الله تعالى، وهو إنّما أُرسل ليدفع هذا المكروه. والصفة الثالثة: قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكم﴾... حريصٌ على إيصال الخيرات إليكم في الدنيا والآخرة. والصفة الرابعة والخامسة: قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قال ابن عباس: سمّاه الله تعالى باسمين من أسمائه»[1].

وفي (**تفسير أبي الفداء**): عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكمْ﴾ قال: «لم يُصبه شيءٌ من ولادة الجاهلية»... وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خرجت من نكاحٍ ولم أخرج من سفاحٍ من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمّي لم يمسّني من سفاح الجاهليّة شيءٌ»[2].

ومن رأفته صلى الله عليه وآله ما رواه (**أبو الفداء**) في تفسيره عن أبي هريرة، وملخّصه: «أنّ أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يستعينه في شيء... فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، ثمّ قال: «أحسنتُ إليك يا أعرابيّ؟»، قال الأعرابي: لا، ولا أجملت، فغضب بعض المسلمين وهمّوا أن يقوموا إليه فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم كفّوا، فلمّا قام رسول الله صلى الله عليه وآله وبلغ إلى منزله دعا الأعرابيّ

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج١٦، ص٢٣٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي: ج٤، ص٢١١.

إلى البيت، فقال: «إنّك إنّما جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت» فزاده رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، وقال له: «أحسنت إليك؟» قال الأعرابيّ: نعم، فجزاك الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً، قال النبي صلى الله عليه وآله: «إنّك جئتنا فسألتنا فأعطيناك، فقلت ما قلت وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يديّ حتى يذهب عن صدورهم» فقال الأعرابي: نعم»[1]. وفعل ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال (**سيد قطب**): «لم يقل: جاءكم رسولٌ منكم، ولكن قال: ﴿**مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ وهي أشدّ حساسية وأعمق صلةً... فهو بضعة من أنفسهم تتصل بهم صلة النفس بالنفس وهي أعمق وأحسّ.

﴿**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾ يشقّ عليه عَنَتَكم ومشقتكم.

﴿**حَرِيصٌ عَلَيْكم**﴾ لا يلقي بكم في المهالك، ولا يدفع بكم إلى المهاوي»[2].

وصلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي: ج٤، ص٢١٢.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٣، ص١٧٤٣.

الخصيصة الثانية والعشرون

اختصاصه صلى الله عليه وآله باتباع الوحي وإنّ ما صدر عنه منشؤه الوحي

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

قال (العلاّمة الطباطبائي): «هؤلاء المذكورون في الآية كانوا قوماً وثنيين يقدّسون الأصنام ويعبدونها، ومن سننهم التوغّل في المظالم والآثام واقتراف المعاصي، والقرآن نهى عن ذلك، كلّه ويدعو إلى توحيد الله ورفض الشركاء، وعبادة الله مع التنزّه عن الظلم والفسق واتباع الشهوات ... فقوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ﴾ جواب عن قولهم: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ ومعناه: قل لا أملك ـ وليس لي بحق ـ أن أبدّله من عند نفسي؛ لأنه ليس بكلامي، وإنما هو وحي إلهي، أمرني ربي أن أتبعه، ولا أتبع غيره»[2].

وفي (الكشّاف) في قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾[3]: «الذي تعجّبوا منه أن

(١) سورة يونس: ١٥.

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٠، ص٢٦ ـ ٢٨.

(٣) سورة يونس: ٢.

يوحي إلى بشرٍ، وأن يكون رجلاً من أفناء رجالهم دون عظيمٍ من عظمائهم، فقد كانوا يقولون: العجب أنّ الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب، وأن يذكر لهم البعث، وينذر بالنار ويبشّر بالجنة، وكلّ واحدٍ من هذه الأمور ليس بعجب؛ لأنّ الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشر مثلهم»[1].

وقال أيضاً الوجه في جوابه صلى الله عليه وآله: إن أتبع إلا ما يوحى إليّ: «غاظهم ما في القرآن من ذمّ عبادة الأوثان والوعيد للمشركين، فقالوا: ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك، أو بدّله، بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة، وتسقط ذكر الآلهة وذمّ عبادتها، فأُمر أن يجيب عن التبديل ... والإتيان بقرآنٍ آخر ... ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾»[2].

وفي (**مجمع البيان**): «قل يا محمد ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي... لأنّه معجزٌ فلا أقدر على الإيتان بمثله ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾»[3].

وقال (**الفخر الرازي**) في تفسيره: «إنّ كفار قريش تعجّبوا من تخصيص الله تعالى محمداً بالرسالة والوحي، فأنكر الله ـ تعالى ـ عليهم ذلك التعجّب، وممّا يشهد على تعجّبهم، قولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهاً وَاحِداً إِنَّ

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٢، ص٣٢٧.

(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٢، ص٣٣٤.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٥، ١٦٧.

﴿هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1] ومن الشواهد: قول أهل مكة: إنّ الله ما وجد رسولاً إلى خلقه إلاّ يتيم أبي طالب. ومن كلامٍ لهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا ٱلْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[2]، فأنكر الله عليهم هذا التعجّب ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ ولا وجه لهذا التعجّب؛ لأن الله تعالى مالك الخلق وملك عليهم والخالق والمالك والملك هو الذي له الأمر والنهي والإذن والمنع فله أن يرسل إلى خلقه من شاء»[3].

وقال أيضاً: «أنّهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وآله أحد أمرين على البدل، فالأوّل: أن يأتيهم بقرآن غير هذا القرآن. والثاني: أن يبدّل هذا القرآن ... ممّا يدل على أنّ كل واحدٍ منهما هو عين الآخر أنّه صلى الله عليه وآله اقتصر في الجواب على نفي أحدهما، وهو قوله: ﴿مَا يَكونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾»[4].

وفي (تفسير المنار) لقوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ قال محمد رشيد رضا: «أي: أكان ايحاؤنا إلى رجلٍ من الناس أمراً نكراً اتخذوه أعجوبة بينهم يتفكهون باستغرابها، كأنّ مشاركتهم له في البشرية يمنع اختصاص الله إيّاه بما شاء من العلم. والمراد بالناس كفّار مكّة ومن تبعهم

---

(١) سورة ص: ٥.

(٢) سورة الزخرف: ٣١.

(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج١٧، ص٥. (مع تلخيص من المؤلّف رحمه الله).

(٤) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج١٧، ص٥٥.

في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله»[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: (أي: ما أتّبع فيه إلاّ تبليغ ما يوحي إليّ والاهتداء به... وما عليّ إلا البلاغ المحض)[2].

وفي (تفسير البيضاوي) في قوله: ﴿ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾: ﴿قُلْ مَا يَكونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي...﴾ وإنّما أكتفي بالجواب عن التبديل؛ لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآنٍ آخر»[3].

وفي الختام **أقول**: رزقنا الله التسليم لأوامره ونواهيه وصلّى الله على محمّدٍ وآل محمّد.

(١) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا: ج١١، ص١١٨.

(٢) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا: ج١١، ص٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ج٣، ص١٠٧.

الخصيصة الثالثة والعشرون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنباء الغيب

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

في (مجمع البيان): «تلك الأنباء ﴿مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ﴾، أي: من أخبار ما غاب عنك معرفته ... ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا﴾، أي: إنّ هذه الأخبار التي أعلمناكها لم تكن تعلمها أنت، ولا قومك من العرب، من قبل إيحائنا إليك... ﴿فَٱصْبِرْ﴾، أي: فاصبر على القيام بأمر الله، وعلى أذى قومك يا محمد، كما صبر نوح على أذى قومه... ﴿إِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي: إنّ العاقبة المحمودة وخاتمة الخير والنصرة للمتقين، كما كانت لنوح عليه السلام»[2].

وفي (تفسير أبي الفداء): «يقول تعالى لنبيّه هذه القصّة وأشباهها ﴿مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ﴾ يعني: من أخبار الغيوب السابقة نوحيها إليك على وجهها كأنك شاهدها ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ أي: نعلمك بها وحياً منّا إليك ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا﴾، أي: لم يكن عندك ولا عند أحدٍ من قومك علمٌ بها حتى يقول من يكذّبك: إنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله بها مطابقةً لما

---

(١) سورة هود: ٤٩.

(٢) تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي: ج٥، ص٢٨٧.

كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على تكذيب مَن كذّبك، فإنا ننصرك ونحوطك بعنايتنا، ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة»[1].

وفي **(تفسير الفخر الرازي)**: ﴿مَا كنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُك﴾، أي: إنك ما كنت تعرف هذه القصة، بل قومك ما كانوا يعرفونها أيضاً ... وكانت تلك غائبة من الخلق وهي من أنباء الغيب نوحيها إليك[2].

أقول: نظير هذه الآية في اختصاص النبي صلى الله عليه وآله بأنباء الغيب قوله تعالى: ﴿ذَٰلِك مِنْ أَنبَاء ٱلْغَيْب نُوحِيهِ إِلَيْك وَمَا كنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكرُونَ﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنبَأَك هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[4]

ويستفاد من كلّ مورد من تلك الموارد نبأ خاص أو يكرّر النبأ مع إشاراتٍ ودقائق خاصةٍ بحسب المورد.

ونختم البحث في هذا الفصل برواية نقلها العلامة الطباطبائي في **(تفسير الميزان)** عن الدّر المنثور:

«عن ابن عباس قال: إنّ نوحاً عليه السلام كان يُضرب، ثم يُلفّ في لبد فيلقي في بيته يرون أنه قد مات، ثم يخرج فيدعوهم حتى إذا أيس من إيمان قومه

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي: ج٢، ص٤٦٥.

(٢) انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج١٨، ص٨ (مع تلخيص وتصرف من المؤلّف رحمه الله).

(٣) سورة يوسف: ١٠٢.

(٤) سورة التحريم: ٣.

جاءه رجلٌ ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصا، فقال: يا بنيّ انظر هذا الشيخ لا يغرّنك، قال: يا أبت! أمكنّي من العصا، ثم أخذ العصا، ثم قال: ضعني في الأرض، فمشى إليه فضربه فشجّه موضّحة في رأسه، وسالت الدماء.

قال: نوح عليه السلام ربّ قد ترى ما يفعل بي عبادك، فإن تكن لك في عبادك حاجةٌ فاهدهم، وإن يكن غير ذلك فصبّرني إلى أن تحكم، وأنت خير الحاكمين.

فأوحى الله إليه وآيسه من إيمان قومه، وأخبره أنّه لم يبقَ في أصلاب الرجال ولا في أرحام النساء مؤمنٌ: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾[1]، يعني لا تحزن عليهم و اصنع الفلك، قال: يا ربّ وما الفلك؟ قال: بيتٌ من خشبٍ يجرى على وجه الماء، فأُغرق أهل معصيتي وأُطهّر أرضي منهم. قال: يا ربّ وأين الماء؟ قال إنّي على ما أشاء قدير»[2].

وصلى الله على محمد وآل محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين

---

(١) سورة هود: ٣٦.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٣، ص٣٢٧؛ وعنه: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٠، ص٢٤١ ـ ٢٤٢.

الخصيصة الرابعة والعشرون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بالسبع المثاني والقرآن العظيم

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[1].

في **(تفسير أبي الفداء)**: عن ابن عباس قال: أوتي النبي صلى الله عليه وآله سبعاً من المثاني الطوال، ولم يُعطهنّ أحدٌ إلا النبي صلى الله عليه وآله، وأعطي موسى منهن ثنتين[2].

وفي **(تفسير الميزان)**: السبع المثاني هي سورة الحمد على ما فسّر في عدةٍ من الروايات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام، فلا يصغى إلى ما ذكروه من الاحتمالات ممّا لا دليل على شيء منها من لفظ الكتاب ومن جهة السنة، وقد كثر اختلافهم في قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمَثَانِي﴾ من جهة كون (من) للتبعيض أو للتبيين، والذي ينبغي أن يقال ـ والله أعلم ـ: أنّ (من) للتبعيض فإنه سبحانه سمّى جميع آيات كتابه مثاني، إذ قال: ﴿كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[3]. وآيات سورة الحمد من جملتها فهي بعض المثاني لا كلّها[4].

---

(١) سورة الحجر: ٨٧.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير: ج٢، ص٥٧٧.

(٣) سورة الزمر: ٢٣.

(٤) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٢، ص١٩١ (مع اختصار وتصرف من المؤلّف رحمه الله).

أقول: وإلى هذا ذهب صاحب (**تفسير روح البيان**)[1].

والظاهر أنّ المثاني ـ جمع مثنية ـ اسم مفعول من الثني بمعنى اللوي والعطف والإعادة، قال تعالى: ﴿...**يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ**...﴾[2]، وسُمّيت الآيات القرآنية مثاني؛ لأنّ بعضها يوضح حال البعض، ويلوي وينعطف عليه، كما يُشعر به قوله: ﴿**كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ**﴾، حيث جمع بين كون الكتاب متشابهاً يشبه بعض آياته بعضاً، وبين كون آياته مثاني، وفي كلام النبي صلى الله عليه وآله في صفة القرآن: «يصدّق بعضه بعضاً»[3]. وعن علي عليه السلام فيه: «ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض»[4]. أو هي جمع مثنى بمعنى التكرير والإعادة كناية عن بيان بعض الآيات ببعض[5].

قال العلامة الطباطبائي: «وفي قوله: ﴿... **سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ**﴾[6] من تعظيم أمر الفاتحة والقرآن ما لا يخفى، أمّا القرآن، فلتوصيفه من ساحة العظمة والكبرياء بالعظيم، وأمّا الفاتحة فلمكان التعبير عنه بالنكرة غير الموصوفة ﴿**سَبْعاً**﴾، وفيه من الدلالة على عظمة قدرها وجلالة شأنها ما لا يخفى»[7].

---

(١) انظر: تفسير روح البيان، اسماعيل حقي الخلوتي: ج٤، ص٤٨٦.

(٢) سورة هود: ٥.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٢، ص٦.

(٤) نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام: ج٢، ص١٧.

(٥) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٢، ص١٩١.

(٦) سورة الحجر: ٨٧

(٧) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٢، ص١٩٢.

وفي (**تفسير أبي الفداء**): عن أبي سعيد بن المعلّى، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا أعلمك أعظم سورةٍ في القرآن قبل أن أخرج من المسجد»، فذهب النبي صلى الله عليه وآله ليخرج فذكرت، فقال صلى الله عليه وآله: «﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ**﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»[1].

وقال صاحب (**تفسير روح البيان**) بعد نقل هذا الخبر: «هذا يدلّ على جواز إطلاق القرآن على بعضه. وأيّد قوله بما في (**فتح القريب**): من أنّ عطف القرآن على السبع المثاني ليس من باب عطف الشيء على نفسه، وإنّما هو من باب ذكر الشيء بوصفين أحدهما معطوف على الآخر، يعني هذا الشيء متّصف بهذين الوصفين. ثم قال: لمّا كانت الفاتحة أعظم أبعاض القرآن من حيث اشتمالها على حقائقه صحّ إطلاق الكلّ عليها، وأمّا كونها مثاني، فباعتبار تكرّر كلّ آية منها في كلّ ركعة، وإن كانت الفاتحة كأنّها كلّ القرآن صحّ اتصافها بما اتصف به الكلّ»[2].

وفي (**مجمع البيان**): «السبع المثاني فاتحة الكتاب. وهو قول: علي عليه السلام، وابن عباس، والحسن، وأبي العالية، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وروي ذلك عن الصادقين عليهما السلام»[3].

وفي (**تفسير التبيان**) للشيخ الطوسي رحمه الله: «روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «السبع المثاني أمّ القرآن». وإنّما سمّيت مثاني في قول الحسن؛ لأنها

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٢، ص٥٧٧.

(٢) تفسير روح البيان، اسماعيل حقي الخلوتي: ج٤، ص٤٨٧.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص١٢٩.

تثنّى في كلّ صلاةٍ وقراءةٍ»[1].

وفي (**تفسير قطب**): «الأرجح أنّ المقصود بها آيات سورة الفاتحة السبعة كما ورد في الأثر»[2].

وفي (**تفسير البرهان**): عن أمير المؤمنين عليه السلام) قال: « ﴿**بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها: ﴿**بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله تعالى قال لي: يا محمد: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ**﴾ فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم»[3].

وعن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام: سألته عن قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِي**﴾ قال: «فاتحة الكتاب يثنّى فيها القول»[4].

ولله الحمد أوّلاً وآخراً، وصلّى الله على محمّدٍ وآل محمّد

---

(١) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي: ج٦، ص٣٥٣.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٤، ص٢١٥٣.

(٣) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ج١، ص٢٧٠، وعنه: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٣، ص٣٨٥.

(٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج٢، ص٢٤٩؛ وعنه: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٣، ص٣٨٦.

الخصيصة الخامسة والعشرون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بالمعراج

ويستدلّ عليه بآية الإسراء في سورة بني إسرائيل، وهي قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِي بَارَكنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ﴾[1].

والروايات في هذه الخصيصة من طرق الشيعة والسنّة كثيرة، مع اشتمالها على الآيات العجيبة والمناظر البديعة، ونحن نكتفي هنا بخلاصة الكلام فيها.

نذكر هنا من (**مجمع البيان**) ملخصاً من الروايات: «إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «أتاني جبرئيل وأنا بمكّة، فقال: قم يا محمّد، فقمت معه وخرجت إلى الباب، فإذا جبرائيل ومعه ميكائيل وإسرافيل، فأتى جبرئيل بالبراق، وكان فوق الحمار ودون البغل، خدّه كخدّ الإنسان، وذنبه كذنب البقر، وعرفه كعرف الفرس، وقوائمه كقوائم الإبل، عليه رحلٌ من الجنّة، وله جناحان من فخذيه، خطوه منتهى طرفه. فقال: إركب، فركبت ومضيت حتى انتهيت إلى بيت المقدس، إذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند ربّ العزّة، وصلّيت في بيت المقدس. إلى قوله: ثم أخذ جبرائيل بيدي إلى الصخرة، فأقعدَني عليها فإذا معراج إلى السماء لم أرَ مثلها حسناً وجمالاً،

---

(١) سورة الإسراء: ١.

فصعدت إلى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوتها، وملائكتها يسلّمون عليّ، ثم صعد بي جبرائيل إلى السماء الثانية فرأيت فيها عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فرأيت فيها إدريس، ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون، ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها خلقٌ كثيرٌ، يموج بعضهم في بعض، وفيها الكروبيّون[1]، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فأبصرت فيها خلقاً وملائكةً».

وفي حديث أبي هريرة: «رأيت في السماء السادسة موسى، ورأيت في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام، قال: ثم جاوزناها متصاعدين إلى أعلى علّيين، ووصف ذلك. إلى أن قال: ثم كلّمني ربّي وكلّمته، ورأيت الجنّة والنار، ورأيت العرش وسدرة المنتهى، ثم رجعت إلى مكّة، فلمّا أصبحت حدّثت الناس، فكذّبني أبو جهل والمشركون»، وقال مطعم بن عدي: أتزعم أنّك سرت مسيرة شهرين في ساعة؟ أشهد أنّك كاذب. قالوا: ثم قالت قريش: أخبِرنا عمّا رأيت؟ فقال: «مررت بِعِير بني فلان وقد أضلّوا بعيراً لهم، وهم في طلبه، وفي رحلهم قعب[2] مملوء من ماء، فشربت الماء ثم غطّيته فاسألوهم هل وجدوا الماء في القدح؟» قالوا: هذه آية واحدة. قال: «ومررت بِعِير بني فلان فنفرت بكرة فلان فانكسرت يدها، فاسألوهم عن

(١) الكروبيون: سادة الملائكة، منهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل، وهم المقربون. انظر: لسان العرب، ابن منظور: ج١، ص٧١٤.

(٢) القعب: القدح الضخم الغليظ. انظر: لسان العرب، ابن منظور: ج١، ص٦٨٣.

ذلك». قالوا: هذه آية أخرى. قالوا: فأخبرنا عن عِيرنا؟ قال: «مررت بها بالتنعيم، وبيّن لهم أجمالها وهيئاتها، وقال: تقدمها جمل أورق عليه قرارتان محيطتان، ويطلع عليكم عند طلوع الشمس». قالوا: هذه آية أخرى. ثم خرجوا يشتدون نحو اليته، وهم يقولون: لقد قضى محمّد بيننا و بينه قضاءً بيِّنا، وجلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذّبوه، فقال قائل: والله إن الشمس قد طلعت. وقال آخر: والله هذه الإبل قد طلعت يقدمها بعير أورق. فبهتوا ولم يؤمنوا»[1]. هذا ملخّص ما نقل عن المجمع.

عن (**الدر المنثور**): «عن أنس: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: ليلة أسري بي مررت بناسٍ يُقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلّما قُرضت عادت كما كانت، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء خطباء أمّتك الذين يقولون ما لا يفعلون»[2].

قال (**العلاّمة الطباطبائي** رحمه الله): «اعلم أنّ ما أوردناه من أخبار الإسراء نبذة يسيرة منها، وهي كثيرة بالغة حدّ التواتر، رواها جمع غفير من الصحابة كأنس بن مالك، وشدّاد بن الأوس، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبد الله بن مسعود، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأُبيّ بن كعب، وسمرة بن جندب، وبريدة، وصهيب بن سنان، وحذيفة بن اليمان، وسهيل بن سعد، وأبو أيوب

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص٢١٦ ـ ٢١٧.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٤، ص١٥٠. وعنه: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٣، ص٣٠.

الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأبو الحمراء، وأبو الدرداء، وعروة، وأمّ هاني، وأمّ سلمة، وعائشة، وأسماء بنت أبي بكر، كلّهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وروتها جماعة كثيرة من رواة الشيعة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

وقد اتفقت أقوال من يُعتنى بقوله من علماء الإسلام على أنّ الإسراء كان بمكّة قبل الهجرة، كما يستفاد من قوله: ﴿**سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ**﴾، ويدلّ عليه ما اشتملت عليه كثير من الروايات من إخباره صلى الله عليه وآله قريشاً بذلك صبيحة ليلته، وإنكارهم ذلك عليه وإخبارهم إياهم بأساطين المسجد الأقصى وما لقيه في الطريق من العِير وغير ذلك.

ثم اختلفوا في السنة التي أُسري به صلى الله عليه وآله فيها... إلى قوله: ولا يهمّنا الغور في البحث عن ذلك، ولاعن الشهر واليوم الذي وقع فيه الإسراء ولا مستند يصحّ التعويل عليه، لكن ينبغي أن يتنبه أنّ من الروايات المأثورة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ما يصّرح بوقوع الإسراء مرّتين، وهو المستفاد من آيات سورة النجم حيث يقول سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**﴾[1].

على هذا، فمن الجائز أن يكون ما وصفه في بعض الروايات من عجيب ما شاهده راجعاً إلى ما شاهده في الإسراء الأوّل، وبعض ما وصفه في بعضٍ آخر راجعاً إلى الإسراء الثاني، وبعضه ممّا شاهده في الإسراءين معاً. ثم اختلفوا في المكان الذي أُسري به صلى الله عليه وآله... والذي يدلّ عليه ظهور الآية الشريفة[2] أنّه أُسري به صلى الله عليه وآله من نفس المسجد الحرام، ولا دليل على

(١) سورة النجم: ١٣.

(٢) سورة الإسراء: ١.

التأويل. ومن الجائز بالنظر إلى ما ذكرنا من كون الإسراء مرّتين أن يكون أحد الإسراءين من المسجد الحرام والآخر من بيت أمّ هاني، كما في بعض الروايات...

وعلى أيّ حال، فالإسراء الذي تعطيه الآية: ﴿**سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إلى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى**﴾ هو الإسراء الذي كان إلى بيت المقدس، كان مبدؤه المسجد الحرام لظهور الآية في ذلك ولا موجب للتأويل.

ثم اختلفوا في كيفية الإسراء، فقيل: كان إسراؤه صلى الله عليه وآله بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، ثم منه إلى السماوات، وعليه الأكثر. وقيل: كان بروحه وجسده من مكّة إلى بيت المقدس، ثم بروحه من بيت المقدس إلى السموات وعليه جمع. وقيل: كان بروحه وهو رؤيا صادقة أراها الله نبيّه، ونسب ذلك إلى بعضهم»[1].

وفيه أيضاً: «قال في المناقب: اختلف الناس في المعراج، فالخوارج ينكرونه، وقالت الجهمية: عرج بروحه دون جسمه على طريق الرؤيا، وقالت الإمامية والزيدية والمعتزلة: بل عرج بروحه وبجسمه إلى بيت المقدس؛ لقوله تعالى: ﴿**إلى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى**﴾، وقال آخرون: بل عرج بروحه وبجسمه إلى السماوات، روي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود

(١) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٣، ص ٣٠ ـ ٣٢.

وجابر وحذيفة وأنس وعائشة وأمّ هاني»[1].

إنه تعالى لا يوصف بمكان

عن ثابت بن دينار: قال: سألت الإمام السجاد عليه السلام عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال عليه السلام: «تعالى الله عن ذلك». قلت: فلم أسرى بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله إلى السماء؟ قال: «ليريه ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه»[2] الحديث.

ثم قال العلاّمة الطباطبائي قدس سره: «أمّا القول بكونه رؤيا صادقة، فيردّه ظاهر الآية الكريمة: ﴿**سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ**﴾ إلى قوله: ﴿**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**﴾[3]، وكذا آيات صدر سورة النجم وفيها مثل قوله: ﴿**مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ**﴾[4]، على أنّ الآيات في سياق الإمتنان، وفيها ثناء على الله تعالى بذكر بديع رحمته وعجيب قدرته، ومن الضروري أنّ ذلك لا يتمّ برؤيا يراها النبي صلى الله عليه وآله، والرؤيا يراها الصالح والطالح، وربّما يرى الفاسق الفاجر ما هو أبدع ممّا يراه المؤمن المتقي. والرؤيا لا تعدّ عند عامّة الناس إلاّ نوعاً من التخيّل لا يستدلّ به على شيء من القدرة والسلطنة، بل

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١، ص١٥٣. وعنه: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٣، ص٣٢.

(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج١، ص١٣١. وعنه: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٣، ص١٩.

(٣) سورة الإسراء:١.

(٤) سورة النجم: ١٧ ـ ١٨.

غاية ما فيها أن يتفاءل بها فيرجى خيرها أو يتطيّر بها فيخاف شرها»[1].

الرابط بين الإسراء والعبودية

قال سيد قطب: «وتذكر صفة العبوديّة: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ لتقريرها وتوكيدها في مقام الإسراء والعروج إلى الدرجات التي لم يبلغها بشر؛ وذلك كي لا تنسى هذه الصفة، ولا يلتبس مقام العبودية بمقام الإلوهيّة، كما التبسا في العقائد المسيحية بعد عيسى عليه السلام»[2].

وقال (**الحافظ أبو الفداء**):«يمجِّد الله تعالى نفسه، ويعظّم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحدٌ سواه، فلا إله غيره ولا ربّ سواه، ﴿**ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ**﴾ يعني: محمّداً ﷺ ﴿**لَيْلاً**﴾ أي: في جنح الليل ﴿**مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ**﴾ وهو مسجد مكّة ﴿**إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى**﴾ وهو بيت المقدس، الذي بإيلياء ومعدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام؛ ولهذا جمعوا له هناك كلّهم، فأمّهم محمد ﷺ في محلّتهم ودارهم، فدلّ على أنّه هو الإمام الأعظم صلوات الله وسلامه عليه»[3].

أقول: لا بأس بالإشارة إلى أنّ المعراج ممكن عقلاً، والكتاب والسنّة يدلاّن على وقوعه.

وإليك ما في تفسير (**الفخر الرازي**):

---

(١) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٣، ص٢٤.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٤، ص٢٢١١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٣.

«اختُلف في كيفية الإسراء، والأكثرون من طوائف المسلمين اتّفقوا على أنّه أسري بجسد رسول الله ﷺ، والأقلّون قالوا: أنه ما أسري إلاّ بروحه...

واعلم أنّ الكلام في هذا الباب يقع في مقامين:

أحدهما: في إثبات الجواز العقلي: في الوقوع.

[وتحقيق القول الأول يحتاج إلى مقدّمتين، ثم أنه بسط الكلام في المقدمة الأولى وأكملها بسبعة وجوه وأوضح المقدمة الثانية واستنتج من المقدمتين الجواز العقلي][1].

وقال: هذا تمام القول في بيان أنّ القول بالمعراج ممكنٌ غير ممتنع .

وأمّا المقام الثاني: في البحث عن وقوع المعراج، قال أهل التحقيق:

يدّل على أنّه تعالى أسرى بروح محمّدٍ وجسده الشريف من مكة إلى المسجد الأقصى القرآن والخبر.

أمّا القرآن: فهو هذه الآية، وتقرير الدليل: أنّ العبد اسمٌ لمجموع الجسد والروح، فوجب أن يكون الإسراء حاصلاً لمجموع الجسد والروح...

وأمّا الخبر: فهو الحديث المرويّ في الصحاح، وهو مشهورٌ، وهو يدلّ على الذهاب من مكّة إلى بيت المقدس، ثم إلى السماوات.

وقال أيضاً: قوله ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ كالدلالة على أنّ فائدة ذلك

(١) ما بين المعقوفتين توضيح واختصار من المؤلّف رحمه الله لكلام الفخر الرازي.

الإسراء مختصة به، وعائدةٌ إليه على التعيين»[1].

وفي (**تفسير الصافي**): «والأخبار في قصّة المعراج كثيرةٌ، مَن أرادها فليطلبها في مواضعها، وفيها أسرارٌ لا يعثر عليها إلاّ الراسخون في العلم»[2].

ولله الحمد أوّلاً وآخراً

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٢٠، ص١٤٧ ـ ١٥٠. (مع تلخيص واختصار من المؤلّف رحمه الله).
(٢) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٣، ص١٧٧.

الخصيصة السادسة والعشرون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بالمقام المحمود

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾[1].

الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله، ومحصّل المعنى والله العالم: اسهر بعض الليل بالقرآن بعد نومتك، يكون زائداً ونافلةً لك على الفرائض؛ ويكون ذلك موجباً لأن يبعثك ربّك مقاماً محموداً مطلقاً، يحمدك فيه الأوّلون والآخرون، وهو مقام الشفاعة.

وفي (**مجمع البيان**): «أجمع المفسرون على أنّ المقام المحمود هو مقام الشفاعة، وهو المقام الذي يشفع فيه للناس، وهو المقام الذي يعطي فيه لواء الحمد فيوضع في كفّه، ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة، فيكون صلى الله عليه وآله أوّل شافع وأوّل مشفّع»[2].

وفي (**تفسير الفخر**) عن الواحدي: «أجمع المفسّرون على أنّه مقام الشفاعة كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله في هذه الآية: «هو المقام الذي أشفع فيه لأمّتي».

ثمّ إنّ الفخر بعد نقل الأقوال والنقض والإبرام يقول: إذا ثبت هذا

---

(١) سورة الإسراء: ٧٩.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص٢٨٤.

وجب أن يكون المراد من قوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ هو الشفاعة في إسقاط العقاب على ما هو في مذهب أهل السنّة»[1].

وفي (**تفسير روح البيان**): مقاماً محموداً عندك وعند جميع الناس، وهو: مقام الشفاعة لأهل المحشر يغبطه الأولون والآخرون؛ لأنّ كلّ من قُصد من الأنبياء للشفاعة يحيد عنها ويُحيل على غيره حتى يأتوا محمداً صلى الله عليه وآله للشفاعة فيقول: أنا لها، ثم يشفع فيشفّع فيمن كان من أهلها. ثم قال: «صاحب فتوحات آورده كه مقام محمود مقاميست مرجع جميع مقامات ومنظر تمام أسماء الهية وآن خاصّه حضرت محمد است وباب شفاعت در اين مقام كشاده ميشود»[2].

ثم قال المفسّر الشيخ إسماعيل حقي: والآية ردّ على المعتزلة المنكرين للشفاعة. ثم أجاب عن شبهاتهم في الشفاعة، فراجع[3].

وفي (**تفسير الكشاف**): «عن ابن عباس: مقام يحمدك فيه الأوّلون والآخرون، وتشرف فيه على جميع الخلق، تسأل فتعطى وتشفع فتشفع، ليس أحد إلا تحت لوائك»[4].

وفي (**التفسير الأمثل**): «المعروفون من المفسّرين قالوا: إنّ آية التهجد

---

(١) انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٢١، ص٣١.

(٢) النصّ منقول من اللغة الفارسية، وترجمته: «ذكر صاحب الفتوحات أنّ المقام المحمود هو مقام ترجع إليه جميع المقامات وهو المنظر لجميع الأسماء، وهذا الأمر مختصّ بالنبي محمد صلى الله عليه وآله، حيث أنّ باب الشفاعة مفتوح لهذا المقام». (المحقق).

(٣) انظر: تفسير روح البيان، اسماعيل حقي الخلوتي: ج٥، ص١٩٢.

(٤) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٢، ص٦٤٢.

إشارة إلى نافلة الليل. وهذا القول وإن لم يكن له دليل صريح في نفس الآية الكريمة إلاّ أنّ التأمّل في القرائن ـ خصوصاً الآيات السابقة عليها ـ يوجب الإطمئنان بهذا القول، ولا سيّما مع النظر في روايات أهل البيت عليهم السلام في هذا المقام»[1].

وفي (**تفسير نور الثقلين**) عن تهذيب الأحكام: عن عمار الساباطي قال: «كنّا جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام بمنى، فقال له رجل: ما تقول في النوافل؟ فقال عليه السلام: «فريضةٌ»، قال: ففزعنا وفزع الرجل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّما أعني صلاة الليل على رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿**وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّك**﴾»[2].

وفي (**تفسير التبيان**): «روي أنّها (صلاة الليل) فرضت عليه، ولم تفرض على غيره. ذكره ابن عباس»[3].

وفي (**مجمع البيان**): «﴿**نَافِلَةً لَّك**﴾، أي: زيادة لك على الفرائض، وذلك أنّ صلاة الليل كانت فريضة على النبي صلى الله عليه وآله، مكتوبة عليه ولم تكتب على غيره، وكانت فضيلة له صلى الله عليه وآله. عن ابن عباس»[4].

وفي (**تفسير روح البيان**): «﴿**نَافِلَةً لَّك**﴾ النفل: في الأصل بمعنى الزيادة، أي: فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصّة بك دون

---

(١) انظر: التفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج٩، ص٨٧

(٢) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج٢، ص٢٤٢؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٣، ص٢٠٤

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ج٦، ص٥١١.

(٤) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص٢٨٣.

الأمّة. كما روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله: «ثلاث عليّ فريضة وهي سنّة لكم: الوتر، والسواك، وقيام الليل»[1].

في فضيلة صلاة الليل

في **(تفسير البرهان)**: «عن علي بن إبراهيم، قال: سبب النور في القيامة الصلاة في جوف الليل»[2].

وفي **(نور الثقلين)**: عن الخصال: فيما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله علياً: «يا علي ثلاث فرحات للمؤمن في الدنيا: لقاء الإخوان، والإفطار من الصيام، والتهجّد في آخر الليل»[3].

الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بصلاة الليل فإنّها سنّة نبيّكم، و دأب الصالحين قبلكم، ومطردة الداء عن أجسادكم»[4].

وعنه عليه السلام: «صلاة الليل تبيّض الوجوه، وصلاة الليل تطيّب الليل، وصلاة الليل تجلب الرزق»[5].

أبو الحسن الرضا عليه السلام، عن جدّه: سئل علي بن الحسين عليه السلام: ما بال المتهجّدين بالليل من أحسن الناس وجهاً؟ قال عليه السلام: «لأنهم خلوا بالله

---

(١) انظر: تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٥، ص١٩١.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٣، ص٥٧٠.

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق: ص١٢٥؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٣، ص٢٠٤.

(٤) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ص٤١؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٣، ص٢٠٤.

(٥) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج٢، ص٣٦٣.

فكساهم الله من نوره»[1].

عن الأمالي للصدوق رحمه الله: عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى بن عمران أن قال: يابن عمران كذب من زعم أنّه يحبّني فإذا جنّه الليل نام عنّي، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه»[2].

وعن ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أشراف أمّتي حَمَلة القرآن، وأصحاب الليل»[3].

وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي عليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل»[4].

وروي عن أبي ذر الغفاري رحمه الله أنّه قام عند الكعبة ووعظ الناس، وفيما وعظهم به صلاة ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور[5].

وعن الإمام العسكري عليه السلام عن آبائه عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ**﴾ قال: «صلاة الليل تذهب بذنوب النهار»[6].

وعن جابر بن عبد الله رحمه الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما اتخذ

---

(١) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ج١، ص٢٥٤؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٣، ص٢٠٤.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج١٣، ص٣٢٩.

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق: ص٧.

(٤) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي: ج٤، ص٩١.

(٥) انظر: الخصال، الشيخ الصدوق: ص٤٠.

(٦) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٢٩٤.

الله إبراهيم خليلاً إلا لإطعامه الطعام وصلاته بالليل والناس نيام»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبيتنّ إلاّ بوتر»[2].

المحروم من صلاة الليل

في **(تفسير نور الثقلين)**: «جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين إنّي قد حُرمت الصلاة بالليل. قال: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنت رجلٌ قد قيّدتك ذنوبك»»[3].

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الرجل لَيكذب الكذبة فيُحرم بها صلاة الليل، فإذا حُرم بها صلاة الليل حُرم بها الرزق»[4].

ثواب صلاة الليل قرّة الأعين

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما مِنْ عملٍ حسنٍ يعمله العبد إلا له ثوابٌ في القرآن إلاّ صلاة الليل، فإنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ لم يبيّن ثوابها لعظم خطرها عنده. فقال جلّ ذكره: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ إلى قوله: ﴿**يَعْلَمُونَ**﴾[5]»[6] [﴿**فَلَا**

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج١ن ص٣٥.

(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج٢، ص٣٣٠.

(٣) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج٢، ص٣٦٢؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٣، ٢٠٤.

(٤) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج٢، ص٣٦٢.

(٥) سورة السجدة: ١٦ ـ ١٧.

(٦) تفسير كنز الدقائق، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي: ج١٠، ص٢٩٦.

﴿تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ ـ لا ملَكٌ ولا نبيٌّ مرسل ـ ﴿مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ مما تقرّ به عيونهم][1].

وفي الحديث: «إنّ في الجنة غرَفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله تعالى لِمَن ألَان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلّى بالليل والناس نيام»[2].

وفي المصدر السابق: في الحديث: «إذا جمع الله الأوّلين والآخرين جاء منادٍ بصوتٍ يُسمع الخلائق كلّهم: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، ثم يرجع فينادي: ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل، فيسرّحون إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس»[3].

وفي المصدر السابق: «ظهر إبليس ليحيى عليه السلام، فقال له يحيى عليه السلام: هل قدرت منّي على شيء؟ قال: لا إلا مرّة واحدة فإنّك قدّمت طعاماً لتأكله، فلم أزل أشهّيه إليك حتى أكلت منه أكثر مما تريد، فنمت تلك الليلة، فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها، فقال له يحيى: لا جرم لاشبعت من طعامٍ أبداً. قال له الخبيث: لا جرم لا نصحت آدمياً بعدك»[4].

اللهمّ إنّا نعوذ بك من وساوس الشيطان ومن مكره وكيده،

وصلّى الله على محمّدٍ وآل محمّد.

---

(١) ما بين المعقوفتين لم نجده في تفسير كنز الدقائق، وربما هو مقتبس من زبدة التفاسير. انظر: زبدة التفاسير، الملّا فتح الله الكاشاني: ج٥، ص٣٢٣.

(٢) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٧، ص١٢٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

الخصيصة السابعة والعشرون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بالعصمة

ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً**﴾[1]

قال (**العلاّمة الطباطبائي**) في (**تفسير الميزان**): «والمعنى: لولا أن ثبّتناك بعصمتنا دنوت من أن تميل إليهم قليلاً، لكنّا ثبّتناك فلم تدنُ من أدنى الميل إليهم، فضلاً من أن تجيبهم إلى ما سألوا. فهو صلى الله عليه وآله لم يجبهم إلى ما سألوا، ولا مال إليهم شيئاً قليلاً، ولا كاد أن يميل»[2].

وقال (**الطبرسي**) في (**مجمع البيان**): «أي: لولا أن ثبّتنا قلبك على الحقّ والرشد بالنبوّة والعصمة والمعجزات، وقيل: بالألطاف الخفيّة، ﴿**لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً**﴾ ... قال ابن عباس: رسول الله صلى الله عليه وآله معصومٌ، ولكنّ هذا تخويفٌ لأمّته لئلّا يركن أحدٌ من المؤمنين إلى أحدٍ من المشركين في شيءٍ من أحكام الله وشرائعه»[3].

وقال (**الفخر الرازي**): «﴿**وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ**﴾ على الحقّ بعصمتنا إيّاك لقد كدت تركن إليهم أي: تميل إليهم شيئاً قليلاً ...

---

(١) سورة الإسراء: ٧٤.

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٢، ص١٧٣.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص٢٧٩.

المسالة الثالثة: احتج الطاعنون في عصمة الأنبياء عليهم السلام بهذه الآية، فقالوا: هذه الآية تدلّ على صدور الذنب العظيم عنهم من وجوه:

الأوّل: أنّ الآية دلّت على أنّه ﷺ قرب من أن يفتري على الله، والفرية على الله من أعظم الذنوب.

الثاني: أنّها تدلّ على أنّه لولا أنّ الله تعالى ثبّته وعصمه لقرب من أن يركن إلى دينهم ويميل إلى مذهبهم.

الثالث: أنّه لولا سبق جرم وجناية وإلا فلا حاجة إلى ذكر هذا الوعيد الشديد [﴿إِذاً لأَذَقْنَاك ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾][1].

والجواب عن الأوّل: إنّ (كاد) معناه: المقاربة، فكان معنى الآية: أنّه قرب وقوعه في الفتنة. وهذا القدر لا يدلّ على الوقوع في تلك الفتنة، فإنّا إذا قلنا كاد الأمير أن يضرب فلاناً لا يُفهم منه أنّه ضربه.

والجواب عن الثاني: إنّ كلمة (لولا) تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره، تقول: لولا عليّ لهلك عمر، معناه: إنّ وجود عليّ منع من حصول الهلاك لعمر، فكذلك ها هنا قوله: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاك لَقَدْ كدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ معناه: أنّه حصل تثبيت الله تعالى لمحمّدٍ ﷺ، فكان حصول ذلك التثبيت مانعاً من حصول ذلك الركون.

والجواب عن الثالث: أنّ ذلك التهديد على المعصية لا يدلّ على الإقدام عليها، والدليل عليه آياتٌ، منها:

---

(١) ما بين المعقوفتين إضافة من المؤلف .

قوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[1].

ومنها: قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُك﴾[2].

ومنها: قوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ﴾[3]»[4].

وقال (**سيد قطب**): «يعدّد السياق محاولات المشركين مع الرسول ﷺ، وأوّلها محاولة فتنته عمّا أوحي إليه؛ ليفتري عليه غيره، وهو الصادق الأمين.

لقد حاولوا هذه المحاولة في صورٍ شتى:

منها: مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم وما كان عليه آباؤهم.

ومنها: مساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حراماً كالبيت العتيق الذي حرّمه الله.

ومنها: طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلساً غير مجلس الفقراء.

والنصّ يشير إلى هذه المحاولات ولا يفصلها؛ ليذكر فضل الله على الرسول في تنبيهه على الحق، وعصمته من الفتنة، ولو تخلّى عنه تثبيت الله وعصمته لركن إليهم، فاتخذوه خليلاً.

---

(١) سورة الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦.

(٢) سورة الزمر: ٦٥.

(٣) سورة الأحزاب: ٤.

(٤) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٢١، ص٢١ ـ ٢٢.

إلى أن يقول: لذلك امتنّ الله على رسوله صلى الله عليه وآله أن ثبّته على ما أوحى إليه، وعصمه من فتنة المشركين، ووقاه من الركون إليهم، ولو قليلاً، ورحمه من عاقبة هذا الركون، وهي عذاب الدنيا والآخرة»[1].

شأن نزول الآية

قيل: فيه وجوه، منها: ما في **(مجمع البيان)**: «إنّهم [المشركين][2] قالوا له: يا محمد! كفّ عن شتم آلهتنا، وتسفيه أحلامنا، واطرد هؤلاء العبيد والسقاط الذين رائحتهم رائحة الصُنان حتى نجالسك ونسمع منك! فطمع في إسلامهم، فنزلت الآية»[3]. الصُنان بالضم الرائحة المنتنة.

وفي **(تفسير الميزان)** في البحث الروائي: عن أبي الحسن عليه السلام: مما سأله المأمون فقال له أخبرني عن قوله الله تعالى: ﴿**عَفَا ٱللَّهُ عَنك لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾، قال الرضا عليه السلام: «هذا ممّا نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة. خاطب الله بذلك نبيّه، وأراد به أمّته. وكذلك قوله: لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين[4] وقوله: ﴿**وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاك لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً**﴾»[5].

وفي **(تفسير كنز الدقائق)**: عن أصول الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام

---

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٤، ص٢٢٤٥ ـ ٢٢٤٦.

(٢) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلف.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص٢٧٧.

(٤) سورة الزمر : ٦٥.

(٥) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٢، ص١٧٨.

قال: «**نزل القرآن بـإياك أعني واسمعي يا جارة**»[1].

وفي (**تفسير العياشي**): عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «لمّا كان يوم الفتح أخرج رسول الله أصناماً من المسجد، وكان منها صنمٌ على المروة، وطلبت منه قريش أن يتركه، وكان مستحياً فهمّ بتركه، ثم أمر بكسره، فنزلت الآية»[2].

والحاصل: أنّ الله تعالى عصم النبيّ صلى الله عليه وآله من فتنة المشركين، والصلاة والسلام عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٦٣١؛ وعنه: تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي: ج٧، ص٤٦٧.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج٢، ص٣٠٦.

الخصيصة الثامنة والعشرون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بالوحي

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـٰهُكمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[1].

في **(مجمع البيان)**: عن ابن عباس: «علّم الله نبيّه التواضع؛ لئلا يزهي على خلقه، فأمره أن يقرّ على نفسه بأنّه آدميٌّ كغيره إلا أنّه أُكرم بالوحي، وهو قوله تعالى: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾»[2].

وفي **(تفسير الفخر الرازي)**: «لا امتياز بيني وبينكم في شيء من الصفات إلاّ أنّ الله أوحى إليّ...»[3].

وعن الإمام العسكري عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله: «يعني قل لهم: أنا في البشرية مثلكم، ولكن خصّني ربي بالنبوّة دونكم»[4].

وفي **(تفسير الميزان)**: عن الدر المنثور: عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لو

---

(١) سورة الكهف: ١١٠.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص٣٩٥.

(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٢١، ص١٧٦.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٣، ص٦٨٩

لم ينزل على أمّتي إلا خاتمة سورة الكهف لكفتهم»[1].

ووجه الكفاية: هو ما بيّنه الأستاذ قدس سره في ذيل البحث عن الآية الشريفة، وأنّه قال:

«الآية خاتمة السورة، وتلخّص غرض البيان فيها، وقد جَمعت أصول الدين الثلاثة، وهي: التوحيد، والنبوّة، والمعاد، فالتوحيد ما في قوله: ﴿**إِنَّ إِلَهَكمْ لَوَاحِدٌ**﴾، والنبوّة ما في قوله: ﴿**إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكمْ يُوحَىٰ إِلَـيَّ**﴾، والمعاد ما في قوله: ﴿**فَمَن كانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ**﴾.

ثم في الآية قصران: القصر الأول: قصره صلى الله عليه وآله في البشرية المماثلة لبشرية الناس، لا يزيد عليهم بشيء ولا يدّعيه لنفسه قبال ما كانوا يزعمون أنّه إذا ادّعى النبوّة فقد ادّعى كينونةً إلهيةً وقدرةً غيبيةً، ولكنّه نفى ذلك كلّه بأمر الله عن نفسه، ولم يثبت لنفسه إلاّ أنّه يوحى إليه.

والقصر الثاني: قصر الإله ـ الذي هو إلههم ـ في إله واحد، وهو التوحيد الناطق بأنّ إله الكلّ إله واحد.

وقوله: ﴿**فَمَن كانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـالِحاً**﴾ مشتمل على إجمال الدعوة الدينيّة، وهو العمل الصالح لوجه الله وحده لا شريك له، وقد فرّعه على رجاء لقاء الربّ تعالى وهو الرجوع إليه، إذ لولا الحساب والجزاء لم يكن للأخذ بالدين والتلبّس بالإعتقاد والعمل موجب يدعو إليه. وقد رتّب على الإعتقاد بالمعاد العمل الصالح، وعدم الإشراك بعبادة الربّ؛

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٤، ص٢٥٨. وعنه: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٣، ص٤٠٧.

لأنّ الإعتقاد بالوحدانيّة مع الإشراك في العمل متناقضان لا يجتمعان، فالإله تعالى لو كان واحداً فهو واحد في جميع صفاته، ومنها: المعبودية، لا شريك له فيها.

وقد رتّب الأخذ بالدين على رجاء المعاد دون القطع به؛ لأنّ احتماله كافٍ في وجوب التحذّر منه لوجوب دفع الضرر المحتمل)[1].

وفي **(تفسير روح البيان)**: «﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكمْ﴾ يعني: إنّي معترف ببشريّتي، ولكنّ الله منّ عليّ من بينكم بالنبوّة والرسالة»[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا﴾ في الحديث: «إنّ أخوف ما أخاف على أمّتي الشرك الخفيّ، فإيّاكم وشرك السرائر، فإنّ الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء»[3].

وفيه: «الآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل، وهو: التوحيد والإخلاص في العمل»[4].

وفي **(تفسير قطب)**: «﴿قُلْ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾: بشرٌ يتلقّى من ذلك الأفق الأسمى، بشرٌ يستمدّ من ذلك المعين الذي لا ينضب، بشرٌ لا يتجاوز الهدى الذي يتلقّاه من مولاه، بشرٌ يتعلّم فيَعلَم فيُعلّم»[5].

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٣، ص٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٢) تفسير روح البيان، اسماعيل حقي الخلوتي: ج٥، ص٣٠٩.

(٣) تفسير روح البيان، اسماعيل حقي الخلوتي: ج٥، ص٣١٠.

(٤) تفسير روح البيان، اسماعيل حقي الخلوتي: ج٥، ص٣٠٩.

(٥) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٤، ص٢٢٩٧.

وفي (**تفسير البيضاوي**): «﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾ إنّما تميّزت عنكم بذلك [أي: بأنّه يوحى إليّ]»[(١)(٢)].

وفي (**تفسير العياشي**): عن الصادق عليه السلام: «قال: قال الله تبارك وتعالى: أنا خير شريك، من أشرك بي في عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً»[(٣)].

وعن (**الكافي**): عن الحسن بن علي الوشاء، قال: «دخلت على الرضا عليه السلام وبين يديه إبريق يريد أن يتهيأ منه للصلاة، فدنوت منه لأصبّ عليه فأبى ذلك، وقال: مه يا حسن، فقلت له: لم تنهاني أن أصبّ على يدك تكره أن أؤجر؟ قال عليه السلام: تؤجر أنت وأوزر أنا، قلت له: وكيف ذلك؟ فقال: أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ وها أنا ذا أتوضّأ للصلاة وهي العبادة، فأكره أن يشركني فيها أحد»[(٤)].

قراءة الآية الأخيرة من سورة الكهف عند النوم

عن أُبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «وإن قرأ الآية التي في آخر سورة الكهف: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ حين يأخذ مضجعه كان له نور يتلألأ إلى الكعبة، حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتى يقوم من مضجعه، فإن كان في مكّة تلاها كان له نور يتلألأ إلى البيت المعمور،

---

(١) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التاويل، البيضاوي: ج٣، ص٥٢٧.

(٣) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج٢، ص٣٥٣.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني: ج٣، ص٦٩، وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٣، ص٣١٦.

حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتى يستيقظ»[1].

وفي (**مجمع البيان**): عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما مِنْ أحدٍ يقرأ آخر الكهف عند النوم إلا يتيقّظ في الساعة التي يريدها»[2].

وفي (**تفسير روح البيان**): عن التأويلات النجمية[3]: «العمل الصالح متابعة النبي صلى الله عليه وآله، والتأسّي بسنّته ظاهراً وباطناً»[4].

وفي (**تفسير نور الثقلين**): عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «العمل الصالح المعرفة بالأئمة عليهم السلام...»[5].

أقول: قد مضى الكلام في اتباع الوحي في الخصيصة الثانية والعشرين، والكلام هنا في هذه الخصيصة يدور حول أصل إعطاء الوحي له صلى الله عليه وآله.

وبعبارة أخرى: أنّ الفارق بين المقامين تعدّد جهة البحث، ففي الأول يتناول البحث عمل النبي صلى الله عليه وآله وأنّه لم يتّبع في مقام العمل إلاّ ما أُوحي إليه، وفي الثاني يتناول البحث أصل إعطاء الوحي له صلى الله عليه وآله واختصاصه به، فتأمّل.

ولله الحمد أوّلاً وآخراً

---

(١) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٣، ص٣١٧.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص٣٩٦.

(٣) تفسير التأويلات النجمية لنجم الدين دايه، وهو الشيخ نجم الدين أبو بكر بن عبد الله الأسدي الرازي المعروف بـ(دايه) والمتوفى سنة ٦٥٤ للهجرة. كان من خيار الصوفية، ومات قبل أن يتمّ تفسيره هذا، فأكمله من بعده علاء الدولة السمناني المولود سنة ٦٥٩ للهجرة، وقال عنه الذهبي: كان إماماً جامعاً. انظر: التفسير والمفسرون، الدكتور الذهبي: ج٢، ص٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٤) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٥، ص٣٠٩.

(٥) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٣، ص٣١٧.

الخصيصة التاسعة والعشرون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنه رحمةً للعالمين

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

قال (**الفخر في تفسيره**): «إنّه صلى الله عليه وآله كان رحمة في الدّين والدُّنيا، أمّا في الدّين، فلأنّه صلى الله عليه وآله بُعث والناس في جاهليةٍ وضلالةٍ، وأهل الكتابين كانوا في حيرةٍ من أمر دينهم؛ لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم، فبعث الله محمداً حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب، فدعاهم إلى الحقّ وبيّن لهم سبيل الثواب... وأمّا في الدُّنيا، فلأنّهم تخلّصوا بسببه من كثيرٍ من الذُّل والقتال والحروب ونُصروا ببركة دينه»[2].

وقال (**سيد قطب**): «لقد أرسل الله رسوله رحمةً للناس كافّة؛ ليأخذ بأيديهم إلى الهدى، وما يهتدي إلاّ أولئك المتهيّئون المستعدون، وإن كانت الرحمة تتحقق للمؤمنين ولغير المؤمنين ... ولقد جاءت هذه الرسالة للبشرية حينما بلغت سن الرشد العقلي، جاءت كتاباً مفتوحاً للعقول في مقبل الأجيال، شاملاً لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدّل ... ولقد كانت

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٢٢، ص٢٣٠.

رسالة محمد صلى الله عليه وآله رحمةً لقومه ورحمةً للبشرية كلّها من بعده ... ولقد جاء الإسلام ليسوّي بين جميع الناس أمام القضاء والقانون، في الوقت الذي كانت البشرية تفرّق الناس طبقاتٍ، وتجعل لكل طبقةٍ قانوناً، بل تجعل إرادة السيّد هي القانون... وغير هذا وذلك كثير يشهد بأنّ الرسالة المحمّدية كانت رحمةً للبشرية وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله أرسل رحمةً للعالمين، مَن آمن به ومَن لم يؤمن به على السواء»[1].

وقال (**الطبرسي**): «قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ أي: نعمةً عليهم، قال ابن عباس: رحمةً للبرّ والفاجر والمؤمن والكافر، فهو رحمةً للمؤمن في الدنيا والآخرة، ورحمةً للكافر بأن عوفي ممّا أصاب الأمم من الخسف والمسخ»[2].

وفي (**تفسير الميزان**): «قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ أي: أنّك رحمةٌ مرسلةٌ إلى الجماعات البشرية كلّهم ـ والدليل عليه الجمع المحلّى باللاّم ـ... وهو صلى الله عليه وآله رحمةٌ لأهل الدّنيا من جهة إتيانه بدينٍ في الأخذ به سعادة أهل الدّنيا في دنياهم وأُخراهم، وهو صلى الله عليه وآله رحمةٌ لأهل الدنيا من حيث الآثار الحسنة التي سرت من قيامه بالدعوة الحقّة في مجتمعاتهم مما يظهر ظهوراً بالغاً بقياس الحياة العامة البشرية اليوم إلى ما قبل بعثه صلى الله عليه وآله وتطبيق إحدى الحياتين على الأخرى»[3].

---

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٤، ص٢٤٠١ ـ ٢٤٠٢.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٧، ص١٢١.

(٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٤، ص٣٣١.

وفي (**تفسير أبي الفداء**): «إنّ الله تعالى جعل محمداً رحمةً للعالمين ... فمَن قِبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردّها وجحدها خسر الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ**﴾[1]، وقال في صفة القرآن ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَاءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَـٰئِك يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾[2]...

عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله أدعُ على المشركين، قال: «إنّي لم أبعث لعّاناً وإنما بعثت رحمة»»[3].

وفي (**تفسير روح البيان**): «وما أرسلناك يا محمد ... إلاّ حال كونك رحمةً للعالمين، فإنّ ما بُعثت به سببٌ لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن أعرض عنه واستكبر فإنّما وقع في المحنة من قِبل نفسه فلا يُرحم»[4].

وقال كذلك: «اعلم أنّه لمّا تعلّقت إرادة الحق بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة الأحمدية من كمون الحضرة الأحديّة فميّزه بميم الإمكان وجعله رحمة

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) سورة فصلت: ٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي: ج٣ن ص٢١١.

(٤) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٥، ص٥٢٧.

للعالمين وشرّف به نوع الإنسان»[1].

وفي (**تفسير أبي الفداء**): «قال أبو جهل «لعنه الله»: يا معشر قريش إنّ محمّداً نزل يثرب فاحذروا أن تمرّوا طريقه أو تقاربوه فإنّه كالأسد الضاري، إنّه حنق عليكم لأنّكم نفيتموه نفي القردان عن المناسم... وإنّكم عرفتم عداوة ابني قيلة ـ يعني الأوس والخزرج ـ فهو عدوٌّ استعان بعدوّ، فقال له مطعم بن عدي: يا أبا الحكم والله ما رأيت أحداً أصدق لساناً ولا أصدق موعداً من أخيكم الذي طردتم، وإذا فعلتم الذي فعلتم فكونوا أكفّ الناس عنه، قال أبو سفيان بن الحارث: كونوا أشدّ ما كنتم عليه ... أو تخرجوا محمّداً من بين ظهرانيهم فيكون وحيداً مطروداً... فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «والذي نفسي بيده لأقتلنّهم ولا صلبنّهم ولا هدينّهم وهم كارهون إنّي رحمة بعثني الله ولا يتوفاني حتى يظهر الله دينه، لي خمسة أسماء أنا محمّد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»)[2].

أقول: أسأل الله لي ولكم هذه الرحمة في الدنيا والآخرة، وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطاهرين

---

(١) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٥، ص٥٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي: ج٣، ص٢١١.

الخصيصة الثلاثون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بالتعظيم الخاصّ عند النداء

وهو المستفاد من قوله تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلُواْ دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[1].

في (**مجمع البيان**): «اختلف في تأويله على وجوه، أحدها: أنّه سبحانه علّمهم تفخيم النبي صلى الله عليه وآله في المخاطبة، وأعلمهم فضله فيه على سائر البريّة. والمعنى: لا تقولوا عند دعائه: يا محمّد، أو يا ابن عبد الله. ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبيّ الله، في لين وتواضع وخفض صوت. عن ابن عباس ومجاهد وقتادة»[2].

وفي (**تفسير أبي الفداء**): «عن ابن عباس: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم، فنهاهم الله عزّ وجلّ عن ذلك إعظاماً لنبيّه صلى الله عليه وآله، وأن يبجّل وأن يعظَّم وأن يسود... وعن مالك: أمرهم الله أن يشرِّفوه، وهو الظاهر من السياق كقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا...**﴾[3]، وكقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُ**

---

(١) سورة النور: ٦٣.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٧، ص ٢٧٦.

(٣) سورة البقرة:١٠٤.

بِـٱلْقَوْلِ كجَهْرِ بَعْضِكمْ لِبَعْضٍ أن تَحْبَطَ أَعْمَالُكمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْـعُرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّـذِينَ يُنَادُونَـك مِـن وَرَاءِ ٱلْحُجُـرَاتِ أَكثَـرُهُمْ لَـا يَعْقِلُونَ﴾[1]، فهذا كلّه من باب الأدب في مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله والكلام معه وعنده، كما أُمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته»[2].

أقول: نحن اخترنا الوجه الظاهر من الوجوه، وعليك بالتأمّل في سائر الوجوه.

ويؤيّد ما استظهرناه ما في **(تفسير البرهان)** من رواية الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، قالت فاطمة عليها السلام: «[هبتُ][3] النبي صلى الله عليه وآله [بعد نزول الآية][4] أن أقول له: يا أباه، فجعلت أقول: يا رسول الله. فأقبل عليّ، وقال: يا بنيّة لم تنزل فيك ولا في أهلك من قبل. قال: أنت مني وأنا منك، وإنّما نزلت في أهل الجفاء، وإن قولك: يا أباه أحب إلى قلبي، وأرضى للرب، ثم قال: أنت نِعم الولد، وقبّل وجهي، ومسحني من ريقه، فما احتجت إلى طيب بعده»[5].

وفي **(تفسير كنز الدقائق)**: «قولي: يا أبة فإنّها أحيى للقلب، وأرضى

---

(١) سورة الحجرات: ٢ ـ ٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٣١٨.

(٣) في المصدر: (فجئت). انظر: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٤، ص١٠٤.

(٤) مابين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٥) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٤، ص١٠٤.

للربّ»[1].

وما رواه علي ابن إبراهيم عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَا تَجْعَلُواْ دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ قال: «يقول: لا تقولوا يا محمّد، ولا يا أبا القاسم. ولكن قولوا يا نبيّ الله، ويا رسول الله»[2].

وأمّا العلاّمة الطباطبائي اختار وجهاً آخر من قوله: ﴿لَا تَجْعَلُواْ دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ فإنّه قال: «دعاء الرسول هو دعوته الناس إلى أمرٍ من الأمور كدعوتهم إلى الإيمان و العمل الصالح، ودعوتهم ليشاورهم في أمرٍ جامع، ودعوتهم إلى الصلاة جامعة، وأمرهم بشيء في أمر دنياهم أو أخراهم، فكلّ ذلك دعاء ودعوة منه صلى الله عليه وآله. ثمّ قال: ويشهد بهذا المعنى قوله ذيلاً: ﴿...قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً...﴾[3] وما يتلوه من تهديد مخالفي أمره وقال رحمه الله: وهو أنسب لسياق الآية السابقة»[4].

أقول: طبقًا لتفسير الكشاف هذا الوجه أوّل الوجوه المختصّة، فراجع[5].

أقول: وعلى أيّ وجه من الوجهين اللذين ذكرناهما، وسائر الوجوه التي تركنا ذكرها يستفاد أنّ النبي صلى الله عليه وآله له اختصاص بالإطاعة في دعوته،

---

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي: ج٩، ص٣٥٦.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٤، ص١٠٤.

(٣) سورة النور ٦٣.

(٤) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٥، ص١٦٦.

(٥) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٣، ص٢٦٠.

وأدب خاصّ في مخاطبته وندائه، وهذا هو مرادنا من الخصوصية.

أضف إلى ذلك ما في (**تفسير روح البيان**): «عن أبي الليث في تفسيره، قال: و في الآية بيان توقير معلّم الخير، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان معلّم الخير فأمر الله بتوقيره وتعظيمه، وفيه معرفة حقّ الأستاذ، وفيه معرفة أهل الفضل. وقال في (**حقائق البقلي**)[1]: احترام الرسول من احترام الله، ومعرفته معرفة الله والأدب في متابعته من الأدب مع الله. وعن التأويلات النجميّة: يشير إلى تعظيم المشايخ فإنّ الشيخ في قومه كالنبيّ في أمّته، أي: عظّموا حرمة الشيوخ في الخطاب، واحفظوا في خدمتهم الأدب، وعلّقوا طاعتهم على مراعاة الهيبة والتوقير»[2].

وأقول: اللهم ارفع درجته وقرّب وسيلته وارزقنا شفاعته وصلّ عليه وعلى أهل بيته الكرام.

---

(١) كتاب (عرائس البيان في حقائق القرآن): تفسير صوفي للشيخ روز بهان البقلي الشيرازي الصوفي والمتوفى سنة ٦٠٦ للهجرة، انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة: ج٢، ص١١٣١؛ الذريعة إلى تصانيف الشيعة آغا بزرگ الطهراني: ج١٥، ص٢٤٢؛ التفسير والمفسّرون، الدكتور الذهبي: ج٢، ص٢٨٨.

(٢)تفسير روح البيان، اسماعيل حقي الخلوتي: ج٦، ص١٨٥.

الخصيصة الحادية والثلاثون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأمين الوحي جبرئيل (الروح الأمين)

يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِك لِتَكونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[1].

وفي (تفسير الميزان): «المراد بالروح الأمين هو جبرئيل ملَك الوحي؛ بدليل قوله: ﴿قُلْ مَن كانَ عَدُوّاً لجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِك بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقد سمّاه في موضعٍ آخر بروح القدس ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّك بِٱلْحَقِّ﴾[3]... وقد وصف الروح بالأمين للدلالة على أنّه مأمون في رسالته منه تعالى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله لا يغيّر شيئاً من كلامه تعالى بتبديلٍ أو تحريفٍ بعمدٍ أو سهوٍ أو نسيانٍ، كما أنّ توصيفه في آية أخرى بالقدس يشير إلى ذلك...

والمراد بـ (القلب) المنسوب إليه الإدراك والشعور في كلامه تعالى، هو النفس الإنسانية التي لها الادراك وإليها تنتهي أنواع الشعور والإرادة دون اللحم الصنوبري المعلّق على يسار الصدر الذي هو أحد الأعضاء

---

(١) سورة الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٦.

(٢) سورة البقرة: ٩٧.

(٣) سورة النحل: ١٠٢.

الرئيسية...

ولعّل الوجه في قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ دون أن يقول (عليك)، هو الإشارة إلى كيفية تلقّيه صلى الله عليه وآله القرآن النازل عليه، وأن الذي كان يتلقّاه من الروح هو نفسه الشريفة من غير مشاركة الحواس الظاهرة ـ التي هي الأدوات المستعملة في إدارك الأمور الجزئية ـ فكان يرى ويسمع حينما كان يوحى إليه، من غير أن يستعمل حاستي البصر والسمع، كما روي أنّه كان يأخذه شبه إغماء يسمى برحاء الوحي. فكان صلى الله عليه وآله يرى الشخص ويسمع الصوت مثل ما نرى الشخص ونسمع الصوت، غير أنّه ما كان يستخدم حاستي بصره وسمعه الماديّين في ذلك كما نستخدمهما. ولو كان رؤيته وسمعه بالبصر والسمع الماديّين لكان ما يجده مشتركاً بينه وبين غيره، فكان سائر الناس يرون ما يراه ويسمعون ما يسمعه، والنقل القطعي يكذّب ذلك، فكثيراً ما كان يأخذه برحاء الوحي وهو بين الناس، فيوحى إليه ومن حوله لا يشعرون بشيء، ولا يشاهدون شخصاً يكلمه، ولا كلاماً يلقي إليه»[1].

وفي (**مجمع البيان**): «﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ يعني: جبرائيل عليه السلام وهو أمين الله لا يغيّره ولا يبدّله، وسمّاه روحاً لأنّه يحيي به الدين، وقيل: لأنّه يحيي به الأرواح بما ينزل من البركات»[2].

وفي (**تفسير قطب**): «والروح الأمين جبرئيل عليه السلام... نزل بهذا القرآن

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٥، ص٣١٦ ـ ٣١٨.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٧، ص٣٥٣.

على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو أمين على ما نزل به، حفيظ عليه، نزل به على قلبه فتلقاه مباشراً، ووعاه وعياً مباشراً. نزل به على قلبه ليكون من المنذرين ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1] هو لسان قومه الذي يدعوهم به»[2].

وفي (تفسير أبي الفداء): «نزل به الروح الأمين وهو جبرئيل عليه السلام ... قوله: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: نزل به ملك كريم أمين ذو مكانة عند الله مطاع في الملأ الأعلى ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يا محمّد سالماً من الدنس والزيادة والنقص ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه وتبشر المؤمنين المتبعين له»[3].

وفي (تفسير التبيان): «و﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ جبرائيل عليه السلام في قول ابن عباس وقتادة والضحّاك وابن جريح. ووُصف بأنّه روحٌ من ثلاثة وجوه:

أحدها: أنّه تحيا به الأرواح بما ينزّل من البركات.

الثاني: لأنّ جسمه روحاني.

الثالث: إنّ الحياة عليه أغلب، فكأنّه روح كلّه»[4].

وفي (تفسير الصافي): في العلل عن الصادق عن أبيه عليهما السلام في قوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾، قال: «ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحياً إلا بالعربية فكان يقع مسامع الأنبياء بألسنة قومهم وكان يقع في مسامع نبينا صلى الله عليه وآله بالعربية فإذا كلّم به قومه كلّمهم بالعربية، فيقع في مسامعهم

---

(١) سورة الشعراء: ١٩٥.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٥، ص٢٦١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي: ج٣، ص٣٦٠.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ج١٢، ص٦٢.

بلسانهم. وكان أحدٌ لا يخاطب رسول الله بأيّ لسانٍ خاطبه إلاّ وقع في مسامعه بالعربية، كلّ ذلك يترجم جبرئيل عنه تشريفاً من الله تعالى له»[1].

وفيه: «قوله: ﴿عَلَىٰ قَلْبِك لِتَكونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ في الكافي والبصائر عن الباقر عليه السلام هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام»[2].

وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطيبين الطاهرين

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج١، ص١٢٦؛ وعنه: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٤، ص٥١.

(٢) الكافي: الشيخ الكليني: ج١، ص٤١٢؛ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ص٩٣؛ وعنه: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٤، ص٥٠.

الخصيصة الثانية والثلاثون

إشفاقه صلى الله عليه وآله على أمّته وبخوع نفسه بعدم إيمانهم

يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّك بَاخِعٌ نَّفْسَك إلاّ يَكونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

في (**تفسير الكشاف**): «البخع: أن يبلغ بالذبح البخاع بـ(الباء)، وهو عرق مستبطن الفقار، وذلك أقصى حدّ الذبح. ولعل للإشفاق، يعني: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك»[2].

وفي (**تفسير أبي الفداء**): «﴿لَعَلَّك بَاخِعٌ﴾ أي:مهلك ﴿نَّفْسَك﴾ أي: ممّا تحرص وتحزن عليهم ﴿إلاّ يَكونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ وهذه تسليةٌ من الله لرسوله صلى الله عليه وآله في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُك عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾، كقوله ﴿فَلَعَلَّك بَاخِعٌ نَّفْسَك عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾... ثم قال تعالى: ﴿إن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن ٱلسَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾، أي: لو نشاء لأنزلنا آية تضطرّهم إلى الإيمان قهراً، ولكن لا نفعل ذلك؛ لأنّا لا نريد من أحدٍ إلا الإيمان الاختياري. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّك لآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ

---

(١) سورة الشعراء: ٣.

(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص٢٩٨.

(٣) سورة يونس: ٩٩.

شَاءَ رَبُّك لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[1]»[2].

وفي (**تفسير سيد قطب**): «يبدأ [الله][3] في مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يهمّه أمر المشركين، ويؤذيه تكذيبهم له وللقرآن الكريم، فيسلّيه ويهوّن عليه الأمر، ويستكثر ما يعانيه من أجلهم، وقد كان الله قادراً على أن يلوي أعناقهم كرهاً إلى الإيمان بآيةٍ قاهرةٍ تقسرهم عليه قسراً ... ويقول له: إنّ إيمانهم ليس مما كُلّفت، ولو شئنا أن نكرههم عليه لأكرهناهم، ولأنزلنا من السماء آيةً قاهرةً لا يملكون معها جدالاً، ولا انصرافاً عن الإيمان ...

ولكنه ـ سبحانه ـ لم يشأ أن يجعل مع هذه الرسالة الأخيرة آيةً قاهرةً، ولقد جعل آيتها القرآن، منهاج حياةٍ كاملةٍ، معجزاً في كل ناحيةٍ:

معجزاً في بنائه التعبيري وتنسيقه الفني ... معجزاً في بنائه الفكري، وتناسق أجزائه وتكاملها ... معجزاً في يسر مداخله إلى القلوب والنفوس، ولمس مفاتيحها، وفتح مغاليقها ...

لقد شاء الله أن يجعل هذا القرآن هو معجزة هذه الرسالة، ولم يشأ أن ينزل آيةً قاهرةً ماديّةً تلوي الأعناق وتضطرّها إلى التسليم؛ ذلك أن هذه الرسالة الأخيرة رسالةٌ مفتوحةٌ للأمم كلّها، وللأجيال كلّها»[4].

وفي (**مجمع البيان**): «أي: لعلّك مهلكٌ نفسك وقاتل نفسك، بأن لا

(١) سورة هود: ١١٨

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي: ج٣، ص٣٤٣.

(٣) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلف.

(٤) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٥، ص٢٥٨٥.

يكونوا مؤمنين، وبأن يقيموا على الكفر. إنّما قال ذلك ـ سبحانه ـ تسليةً لنبيّه، وتخفيفاً عنه بعض ما كان يصيبه من الاغتمام لذلك»[1].

وفي (**تفسير الميزان**): «غرض السورة تسلية النبي صلى الله عليه وآله قبال ما كذّبه قومه، وكذّبوا بكتابه النازل عليه من ربّه ـ على ما يلوّح إليه صدر السورة ﴿**تِلْك آيَاتُ ٱلْكتَابِ ٱلْمُبِينِ**﴾[2]، وقد رموه تارةً بأنّه مجنون، وأخرى بأنّه شاعر، وفيها تهديدهم، مشفعاً ذلك بإيراد قصص جمع من الأنبياء، وهم: موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، وما انتهت إليه عاقبة تكذبيهم؛ لتتسلّى به نفس النبي صلى الله عليه وآله ولا يحزن بتكذيب أكثر قومه، وليعتبر المكذّبون... ﴿**لَعَلَّك بَاخِعٌ نَّفْسَك إلاّ يَكونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾.

والمعنى: لا يرجى منك أن تهلك نفسك بسبب عدم إيمانهم بآيات هذا الكتاب النازل عليك. والكلام مسوق سوق الإنكار والغرض منه تسلية النبي صلى الله عليه وآله»[3].

وفي (**تفسير الصافي**): «﴿**إن نَّشَأ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن ٱلسَّمَاء آيَةً**﴾ دلالة ملجأة إلى الإيمان، وبيّنةً قاسرةً عليه ﴿**فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾.

في الكافي عن الصادق عليه السلام: «إنّ القائم عليه السلام لا يقوم حتى ينادي منادٍ من السماء، تسمع الفتاة في خدرها، ويسمع أهل المشرق والمغرب، وفيه

---

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٧، ص٣٢٠.

(٢) سورة الشعراء: ٢.

(٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٥، ص٢٥٠.

نزلت هذه الآية «﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن ٱلسَّمَاءِ آيَةً﴾»[1].

نسأل الله تعالى الإيمان الثابت بقيامه أرواحنا فداه

(١) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج ٤، ص ٢٩.

الخصيصة الثالثة والثلاثون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بالنصر من الله بعد الطرد من قومه

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1].

قال الطبرسي قدس سره (في تفسيره)، في شأن نزول الآية: «قيل: لمّا نزل النبي صلى الله عليه وآله بالجحفة في مسيره إلى المدينة، لمّا هاجر إليها، اشتاق إلى مكّة فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال: نعم. قال جبرائيل: فإنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ يعني: مكة ظاهراً عليها... وسمّيت مكة معاداً لعوده إليها، عن ابن عباس...»

﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ﴾ خطابٌ للنبي صلى الله عليه وآله، والمعنى: إنّ الذي أوجب عليك الإمتثال بما تضمنّه القرآن وأنزله عليك ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، أي: يردّك إلى مكّة، عن ابن عباس ومجاهد والجبائي.

وعلى هذا فيكون في الآية دلالةٌ على صحّة النبوة؛ لأنّه أخبر به من غير شرطٍ ولا استثناء، وجاء المخبر عنه مطابقاً للخبر. قال القتيبي: معاد الرجل بلده؛ لأنّه يتصرّف في البلاد ثم يعود إليه»[2].

والعلامة الطباطبائي رحمه الله استحسن القول في معنى الآية، أنّ الذي

---

(١) سورة القصص: ٨٥.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٧، ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

أوجب عليك تلاوة القرآن وتبليغة والعمل به ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ مع تغيير جزئي إلى قوله فمعنى الآية: إن الذي فرض عليك القرآن لتقرأه على الناس وتبلغه وتعمل به سيردّك ويصيّرك إلى محل تكون هذه الصيرورة منك إليه عوداً، ويكون هو معاداً لك... ومن المعلوم أنّه صلى الله عليه وآله كان بمكّة على ما فيها من الشدّة والفتنة، ثم هاجر منها، ثم عاد إليها فاتحاً مظفراً، وثبتت قواعد دينه واستحكمت أركان ملّته وكسرت الأصنام وانهدم بنيان الشرك، والمؤمنون هم الوارثون بعد ما كانوا أذلّاء معذَّبين.

وفي تنكير قوله: ﴿مَعَادٍ﴾ إشارةٌ إلى عظمة قدر هذا العَوْد، وأنّه لا يُقاس إلى ما قبله من القطون بها، والتاريخ يصدّقه»[1].

وفي (**تفسير سيد قطب**): «إنّما فرض عليك القرآن لينصرك به في الموعد الذي قدّره، وفي الوقت الذي فرضه، وإنّك اليوم لمُخرجٌ منه مطاردٌ، ولكنّك غداً منصوراً إليه عائد.

وهكذا شاءت حكمة الله أن ينزّل على عبده هذا الوعد الأكيد في ذلك الظرف المكروب؛ ليمضي في طريقه آمناً واثقاً مطمئناً إلى وعد الله، الذي يعلم صدقه ولا يستريب لحظة فيه، وإنّ وعد الله لقائمٌ لكلّ السالكين في الطريق، وإنّه ما مِن أحدٍ يُؤذى في سبيل الله فيصبر ويستيقن إلا نصره الله في وجه الطغيان في النهاية»[2].

وفي (**تفسير الفخر الرازي**): «﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٨٧ ـ ٨٨.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٥، ٢٧١٥.

﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قيل: المراد به مكة، ووجهه: أن يراد بردّه إليها يوم الفتح. ووجه تنكيره: أنّها كانت في ذلك اليوم الذي كان له شأنٌ عظيمٌ؛ لاستيلاء رسول الله صلى الله عليه وآله عليها وقهره لأهلها وإظهار عِزّ الإسلام وإذلال حزب الكفر... يعني إلى مكة ظاهراً عليهم، وهذا أقرب؛ لأنّ ظاهر المعاد أنّه كان فيه، وفارقه وحصل العَوْد، وذلك لا يليق إلا بمكّة. وإن كان سائر الوجوه محتملاً، لكنّ ذلك أقرب.

قال أهل التحقيق: وهذا أحد ما يدلّ على نبوّته ؛ لأنّه أخبر عن الغيب، ووقع كما أخبر، فيكون معجزاً»[1].

أقول: مختار أكثر المفسّرين: أنّ المراد بقوله: ﴿مَعَادٍ﴾ هو مكّة المعظمة، كما استقرّ به (**الكشاف**)[2]. وقيل: فيه وجوه أُخر، فراجع.

وفي (**تفسير الصافي**): «القمي عن السجاد عليه السلام، قال: «يرجع إليكم نبيّكم وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام».

وعن الباقر عليه السلام أنّه ذكر عنده جابر فقال: «رحم الله جابراً لقد بلغ من علمه أنّه كان يعرف تأويل الآية، يعني: الرجعة»»[3].

ثم أورد الفيض الكاشاني رحمه الله رواياتٍ أخرى في تأويل الآية، فراجع.

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

---

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٢٥، ص٢١.

(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٣، ص٤٣٦.

(٣) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج٤، ص١٠٧.

الخصيصة الرابعة والثلاثون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنه كان أميّاً

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ...﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿...فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِك إذا لاَّرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[3].

فيه تصريحٌ أنّه صلى الله عليه وآله لم يكن يقرأ ولا يكتب قبل النبوّة.

في **(الكشاف)**: «وأنت يا محمّد أميّ ما عرفك أحدٌ قطّ بتلاوةِ كتابٍ ولا خطّ، إذ لو كان شيءٌ من ذلك، من التلاوة والخط ﴿لاَّرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ من أهل الكتاب ومشركي مكّة، وقالوا: لعلّه تعلّمه أو كتبه بيده»[4].

وفي **(مجمع البيان)**: «وما كنت يا محمّد تقرأ قبل القرآن كتاباً، والمعنى: أنك لم تكن تحسن القراءة قبل أن يوحى إليك بالقرآن: ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِك﴾، وما كنت أيضاً تكتبه بيدك ﴿إذاً لاَّرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٨.

(٤) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٣، ص٤٥٨.

أي: ولو كنت تقرأ كتاباً، أو تكتبه لوجد المبطلون طريق إلى اكتساب الشكّ في أمرك، وإلقاء الريبة لِضَعَفْة الناس في نبوّتك، ولقالوا: إنّما تقرأ علينا ما جمعته من كتب الأوّلين، فلمّا ساويتهم في المولد والمنشأ، ثم أتيت بما عجزوا عنه [عجز عنه الدهر إلى آخره][1] وجب أن يعلموا أنه من عند الله تعالى، وليس من عندك إذ لم تجر العادة أن ينشأ الإنسان بين قوم يشاهدون أحواله من عند صغره إلى كبره، ويرونه في حضره وسفره لايتعلّم شيئاً من غيره، ثم يأتي من عنده بشيءٍ يعجز الكلّ عنه وعن بعضه، ويقرأ عليهم أقاصيص الأوّلين [وهذا يدلّ على صدقه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ][2].

ثم قال: قال الشريف الأجل المرتضى علم الهدى قُدِّسَ سِرُّهُ: هذه الآية تدلّ على أنّ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة، فأما بعد النبوّة فالذي نعتقده في ذلك التجويز لكونه عالماً بالكتابة والقراءة... وظاهر الآية يقتضي أنّ النفي قد تعلّق بما قبل النبوّة دون ما بعدها؛ ولأنّ التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوّة؛ لأنّ المبطلين إنما يرتابون في نبوّته لو كان يحسن الكتابة قبل النبوّة، فأما بعد النبوّة فلا تعلّق له بالريبة والتهمة، فيجوز أن يكون قد تعلّمها من جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد النبوة»[3].

وقال (**الفخر**): «قوله: ﴿**إذا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ**﴾ فيه معنىً لطيف،

---

(١) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨، ص٣٣. وانظر: رسائل المرتضى، الشريف المرتضى: ج١، ص١٠٧.

وهو: أنّ النبي ﷺ إذا كان قارئاً كاتباً ما كان يوجب كون هذا الكلام كلامه، فإنّ جميع كتبة الأرض وقرّائها لا يقدرون عليه، لكن على ذلك التقدير يكون للمبطل وجه ارتياب، وأمّا على ما هو عليه لا وجه لارتيابه فهو أدخل في الإبطال»[1].

وقال العلامة الطباطبائي في **(تفسير الميزان)**: «والمعنى: وما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن تقرأ كتاباً، ولا كان من عادتك أن تخطّ كتاباً وتكتبه، أي: ما كنت تحسن القراءة والكتابة لكونك أميّاً، ولو كان كذلك لارتاب هؤلاء المبطلون الذين يبطلون الحقّ بدعوى أنّه باطل، لكن لمّا لم تحسن القراءة والكتابة، واستمررت على ذلك وعرفوك على هذه الحال لمخالطتك لهم ومعاشرتك معهم، لم يبق محلّ ريبٍ لهم في أمر القرآن النازل إليك أنّه كلام الله تعالى...الخ»[2].

وفي **(تفسير البرهان)**: عن علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ...**﴾[3]: «وهو معطوف على قوله في سورة الفرقان: ﴿**ٱكتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكرَةً وَأَصِيلاً**﴾[4]، فردّ الله عليهم، فقال: كيف يدّعون أنّ الذي تقرأه وتخبر به تكتبه عن غيرك، وأنت: ﴿**وَمَا كنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِك إذا لاّرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ**﴾ أي:

---

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٢٥، ص٧٧.

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص١٣٩.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٨.

(٤) سورة الفرقان: ٥.

شكّوا»[1].

اللهم ارزقنا معرفة نبيّك صلى الله عليه وآله حقّ المعرفة وصلّ عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين

(١) تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني: ج٤، ص٣٢٥.

الخصيصة الخامسة والثلاثون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بخطاب أقم وجهك للدّين حنيفاً

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

في (**تفسير الميزان**): «الكلام متفرّعٌ على ما تحصّل من الآيات السابقة المثبتة للمبدأ والمعاد، أي: إذا ثبت أنّ الخلق والتدبير لله وحده لا شريك له، وهو سيبعث ويحاسب، ولا نجاة لمن أعرض عنه... فأقم وجهك للدين والزمه، فإنّه الدين الذي تدعو إليه الخِلقة الإلهية... واهتمّ بخاصّة نفسك ومن تبعك من المؤمنين... ففي هذا إشارةٌ إلى أنّ هذا الدين الذي يجب إقامة الوجه له هو الذي تهتف به الخلقة وتهدى إليه الفطرة الإلهية التي لا تبديل لها.

وذلك أنّه ليس الدين إلاّ سنّة الحياة، والسبيل الذي يجب على الإنسان أن يسلكها حتى يسعد في حياته، فلا غاية للإنسان يتّبعها إلا السعادة، وقد هدى كلّ نوعٍ من أنواع الخليقة إلى سعادته ـ التي هي بغية حياته ـ بفطرته ونوع خلقته، وجهّز في وجوده بما يناسب غايته من التجهيز، قال تعالى:

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

﴿رَبُّنَا ٱلَّذِي أَعْطَىٰ كلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1][2].

وله كلامٌ في معنى كون الدين فطرياً، يذكره في فصول.

وفي (**مجمع البيان**): ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله: «كلّ مولودٍ يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه»[3].

وفي (**تفسير الفخر الرازي**): «أي: إذا تبيّن الأمر وظهرت الوحدانية ولم يهتدِ المشرك فلا تلتفت أنت إليهم، وأقم وجهك للدين... أي: أقبل بكلّك على الدين... ﴿حَنِيفاً﴾ أي: مائلاً عن كلّ ما عداه، أي: أقبل على الدين ومِل عن كلّ شيء أي: لا يكون في قلبك شيءٌ آخر»[4].

وقد تكرّر هذا الخطاب في الآية ثلاثة وأربعين، حيث قال: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ**﴾[5].

في (**الكشاف**): «القيّم البليغ في الاستقامة، الذي لا يتأتّى فيه عوج»[6].

وفي (**تفسير البرهان**): «عن عبد الله بن سنان: سألت أبا عبدالله عليه السلام

---

(١) سورة طه: ٥٠.

(٢) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص ١٧٨. وانظر (في هذه المعنى): مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٢، ص٣٤٦.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨، ص٥٩.

(٤) تفسير الرازي، فخر الدين الرازي: ج٢٥، ص١١٩.

(٥) سورة الروم: ٤٣.

(٦) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٣، ص٤٨٣.

[قال: سألته][1] عن قول الله تعالى: ﴿...فِطْرَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا...﴾[2] ما تلك الفطرة؟ قال: «هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ قالوا: بلى، وفيه المؤمن والكافر»[3].

أقول: بهذا المضمون (التوحيد)رواياتٌ كثيرةٌ تقرب من عشرين حديثٍ.

منها: عن زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ**﴾[4]. قال عليه السلام: «أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر، فعرَّفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربَّه». وقال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ مولود يولد على الفطرة، يعني على المعرفة بأنّ الله عزّ وجلّ خالقه...»[5].

وفي (**كشف الغمّة**): «قال أبو هاشم: كنت عند أبي محمّدٍ عليه السلام، فسأله محمد بن صالح الأرمني عن قول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي**

---

(١) كذا في المصدر.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص١٢؛ وعنه: تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني: ج٢، ص٦٠٧.

(٤) الأعراف: ١٧٢.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص١٣؛ وعنه: تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني: ج٢، ص٦٠٦.

﴿ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ قال أبو محمد عليه السلام: «ثبتت المعرفة ونسوا ذلك الموقف وسيذكرونه، لولا ذلك لم يدرِ أحدٌ مَن خالقه، ولا مَن رازقه» قال أبو هاشم: فجعلت أتعجّب في نفسي من عظم ما أعطى الله وليّه، وجزيل ما حمّله، فأقبل أبو محمّد عليه السلام عليّ، فقال: «الأمر أعجب ممّا عجبت منه يا أبا هاشم وأعظم، ما ظنّك بقومٍ مَن عرفهم عرف الله، ومَن أنكرهم أنكر الله، فلا مؤمن إلا وهو بهم مصدّق وبمعرفتهم موقن»»[1].

أقول: وقريب من الآية المبحوث عنها آية الأمر بالاستقامة في سورة هود، وهي قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[2].

وبملاحظة المقاربة ألحقناها بهذه الخصيصة، وإن كان لها مجالٌ آخر يستحق البحث في أن تكون خصيصةٌ مستقلةً. ولا بأس بالإشارة إليها في الجملة، وبالله تعالى أستعين وعليه أتوكّل:

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾.

في **(مجمع البيان)**: «﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ يا محمّد ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي: استقم على الوعظ والإنذار، وتمسّك بالطاعة والأمر بها والدعاء إليها والاستقامة عليها، وهو أداء المأمور به، والانتهاء عن المنهي عنه، كما أمرت في القرآن»[3].

---

(١) كشف الغمّة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الإربلي: ج٣، ص٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) سورة هود: ١١٢.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٥، ص٣٤١.

وبحسب اللغة فإنّ الاستقامة: «الاستمرار في جهةٍ واحدةٍ وأن لا يعدل يميناً وشمالاً»[1].

وقال في سورة الشورى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ...﴾[2]

في (مجمع البيان): «أي: فاثبت على أمر الله، وتمسّك به، واعمل بموجبه، واستقم على تبليغ الرسالة»[3].

قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾: «ذلك إشارة إلى ما وصّى به الأنبياء من التوحيد، ومعناه: فإلى الدين الذي شرعة الله تعالى، ووصّى به أنبياءه فادعُ الخلق يا محمّد»[4].

وفيه عن ابن عباس: «ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله آية كانت أشدّ عليه، ولا أشقّ من هذه الآية، ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له أسرع إليك الشيب يا رسول الله: «شيبتني هود والواقعة»»[5].

وفي (تفسير الكشاف): «﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ استقامةً مثل الاستقامة التي أُمرت بها على جادّة الحقّ، غير عادلٍ عنها ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ ... والمعنى: فاستقم أنت، وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك»[6].

---

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٥، ص٣٤٠.

(٢) سورة الشورى: ١٥.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٩، ص٤٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٥، ص٣٤٢.

(٦) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٢، ص٤٣٢.

وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ قال: «افتقر إلى الله بصحة العزم»[1].

وفي تفسير (**سيد قطب**): «هذا الأمر للرسول صلى الله عليه وآله ومن تاب معه ... والاستقامة: الاعتدال والمضيّ على النهج دون انحراف، وهو في حاجةٍ إلى اليقظة الدائمة، والتدبّر الدائم، والتحرّي الدائم لحدود الطريق، وضبط الإنفعالات البشرية التي تُميل الاتجاه قليلاً أو كثيراً»[2].

نسال الله تعالى الاستقامة في الدين، وصلى الله على محمد وآل محمد

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٢، ص٤٣٣.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٤، ص١٩٣١.

الخصيصة السادسة والثلاثون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم

يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿**ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أنفسهم وَأزواجه أُمَّهَاتُهُمْ**﴾[1].

في (**تفسير الكشاف**): «﴿**ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ في كلّ شيءٍ من أمور الدين والدنيا ﴿**مِنْ أنفسهم**﴾ ولهذا أطلق ولم يقيّد، فيجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقّه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه»[2].

وقال في تفسير قوله: «﴿**وَأزواجه أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ تشبيه لهنّ بالأمهات في بعض الاحكام، وهو وجوب تعظيمهنّ احترامهنّ، وتحريم نكاحهنّ، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا أن تَنكحُواْ أزواجه مِن بَعْدِهِ أَبَداً**﴾[3].

وفي تفسير (**سيد قطب**): «ولاية النبي صلى الله عليه وآله ولاية عامة تشمل رسم منهاج الحياة بحذافيرها، وأمرُ المؤمنين فيها إلى الرسول صلى الله عليه وآله، ليس لهم أن يختاروا إلاّ ما اختاره لهم بوحي من ربّه، وتشمل مشاعرهم، فيكون

---

(١) سورة الأحزاب: ٦.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري: ج٣، ص٥٢٣.

(٣) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٣، ص٥٢٣.

شخصه صلى الله عليه وآله أحبّ إليهم من أنفسهم فلا يرغبون بأنفسهم عنه، جاء في الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين» وفي الصحيح أيضاً أنّ عمر قال: «يا رسول الله، والله لأنت أحبّ إلي من كلّ شيء إلا من نفسي، فقال صلى الله عليه وآله: «لا يا عمر، حتى أكون أحبّ إليك من نفسك»، فقال: يا رسول الله والله لأنت أحبّ إليّ من كلّ شيءٍ حتى من نفسي، فقال صلى الله عليه وآله: «الآن يا عمر»[1].

وقال العلاّمة الطباطبائي قدس سره: «فالمحصّل [من معنى الآية][2] أنّ ما يراه المؤمن لنفسه من الحفظ والكلاءة والمحبة والكرامة واستجابة الدعوة وإنفاذ الإرادة، فالنبيّ صلى الله عليه وآله أولى بذلك من نفسه، ولو دار الأمر بين النبيّ وبين نفسه في شيء من ذلك كان جانب النبي أرجح من جانب نفسه. إلى أن قال: وكذا النبي صلى الله عليه وآله أولى بهم فيما يتعلّق بالأمور الدنيوية أو الدينية؛ كلّ ذلك لمكان الإطلاق في قوله: ﴿**اَلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أنفسهم**﴾»[3].

وقال البيضاوي: «أنّه صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمنين في الأمور كلّها، فإنّه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلاّ بما فيه صلاحهم ونجاحهم»[4]. وقد أخذنا منه موضع الحاجة.

أقول: هذا كلّه متعلّق بما نحن بصدده من إثبات الخصيصة للنبي صلى الله عليه وآله.

---

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب:ج٥، ص٢٨٢٨.

(٢) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٢٧٦.

(٤) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ج٤، ص٢٢٥.

وأما ذيل الآية الشريفة، وهو قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾ فهو متعلّق لما كان بين المسلمين في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والولاية في الدين لا بالقرابة. ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ بالإرث، وجعل التوارث بحقّ القرابة. والحاصل: أنّه لا توارث إلاّ بالولادة والرحم. والمعنى: أنّ ذوي القرابات لبعضهم أولى بميراث بعض من المؤمنين من الأنصار والمهاجرين. هذا إجمال القول في قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾[1].

وفي (تفسير التبيان): «﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ بمعنى: أحقّ بتدبيرهم، وبأن يختاروا ما دعاهم إليه، وأحقّ بأن يحكم فيهم بما لا يحكم به الواحد في نفسه؛ لوجوب طاعته التي هي مقرونةٌ بطاعة الله، وهو أولى في ذلك وأحقّ من نفس الإنسان؛ لأنّها ربّما دعته إلى اتّباع الهوى، ولأنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يدعو إلاّ إلى طاعة الله، وطاعة الله أولى أن تُختار على طاعة غيره»[2].

وفي (تفسير كنز الدقائق): «﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ في الأمور كلها، فإنّه لا يأمرهم ولا يرضى إلا بما فيه مصالحهم ونجاحهم، بخلاف النفس؛ فلذلك أطلق. فيجب أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ فيهم من أمرها، وشفقتهم عليه أتمّ من شفقتهم عليها»[3].

---

(١) انظر: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ج٤، ص٢٢٥.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ج٨، ص٣١٧.

(٣) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي: ج١٠، ص٣١٩.

وفي (**تفسير مجمع البيان**): «روى عن أُبَي، وابن مسعود، وابن عباس: أنّهم كانوا يقرؤون ﴿**اَلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ (**وهو أب لهم**). وكذلك هو في مصحف أُبَي. وروي ذلك عن أبي جعفرٍ، وأبي عبد الله عليهما السلام»[1].

في (**تفسير الصافي**): «﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ منزّلات منزلتهنّ في التحريم مطلقاً، وفي استحقاق التعظيم ما دمن على طاعة الله...

وفي (**الإكمال**): عن القائم عليه السلام أنّه سُئل عن معنى الطلاق الذي فوّض رسول الله صلى الله عليه وآله حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «إنّ الله تقدّس اسمه عظّم شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله، فخصّهن بشرف الأُمّهات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا الحسن إنّ هذا الشرف باقٍ ما دمن على الطاعة، فأيّهنّ عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلقها في الأزواج وأسقطها من تشرف الأمّهات وشرف أُمومة المؤمنين»»[2].

وقد روي هذا الخبر في (**تفسير كنز الدقائق**) مع الإسناد، فراجع[3].

أقول: ولولا خوف الإطالة لوسّعنا الكلام في أحوال أمّهات المؤمنين، وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطاهرين.

---

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨ ص١٢٢.

(٢) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني:ج٤، ص١٦٧؛ نقله عن: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص٤٥٩.

(٣) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي: ج١٠، ص٣٢١.

الخصيصة السابعة والثلاثون

ومن خصائصه صلى الله عليه وآله أنّ وجوده صلى الله عليه وآله بنفسه أسوةٌ وقدوةٌ للبشر

يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ لَكمْ فِي رَسُول ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكرَ ٱللَّهَ كثِيراً﴾[1].

في (تفسير الكشاف): «فإن قلت: فما حقيقة قوله: ﴿لَقَدْ كانَ لَكمْ فِي رَسُول ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؟... قلت: فيه وجهان: أحدهما: أنّه في نفسه أسوةٌ حسنةٌ، أي: قدوة، وهو المؤتسى، أي: المقتدى به... والثاني: أنّ فيه خصلة من حقّها أن يؤتسى بها وتُتّبع، وهي: المواساة بنفسه»[2].

قوله تعالى: ﴿...لِّمَن كانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ...﴾:

في (الميزان): (بدل من ضمير الخطاب في ﴿لَكم﴾ للدلالة على أنّ التأسي برسول الله صلى الله عليه وآله خصلةٌ جميلةٌ زاكيةٌ لا يتّصف بها كلّ من تَسَمّى بالإيمان، وإنّما يتّصف بها جمعٌ ممّن تلبّس بحقيقة الإيمان، فكان يرجو الله واليوم الآخر، أي: تعلّق قلبه بالله فآمن به، وتعلّق قلبه باليوم الآخر فعمل صالحاً، ومع ذلك ذكر الله كثيراً، فكان لا يغفل عن ربّه فتأسّى بالنبيّ في

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٣، ص٥١٣؛ وعنه: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٢٨٨ ـ ٢٨٩.

أفعاله وأعماله»[1].

وفي (**تفسير أبي الفداء**): «هذه الآية الكريمة أصلٌ كبيرٌ في التأسّي برسول الله صلى الله عليه وآله في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر ـ تبارك وتعالى ـ الناس بالتأسّي بالنبيّ صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عزّ وجلّ ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ دائماً إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تضجّروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿**لَقَدْ كانَ لَكمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ أي: هلاّ اقتديتم وتأسّيتم بشمائله... الخ»[2].

وفي (**تفسير سيد قطب**): «وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ـ على الرغم من الهول المرعب والضيق المجهد ـ مثابة الأمان للمسلمين، ومصدر الثقة والرجاء والاطمينان... وفيه أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وتطلب نفسه القدوة الطيّبة، ويذكر الله ولا ينساه.

ويحسن أن نُلمّ بلمحاتٍ من هذا الموقف، على سبيل المثال، إذا كنّا لا نملك هنا أن نتناوله بالتفصيل.

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في الخندق مع المسلمين، يضرب بالفأس، ويجرف التراب بالمسحاة، ويحمل التراب في المكتل، ويرفع صوته مع المرتجزين، وهم يرفعون أصواتهم بالرجز في أثناء العمل...

إلى أن قال: وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب، فقال صلى الله عليه وآله: «أما أنّه

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٢٨٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٤٨٣.

نِعم الغلام» وغلبته عيناه فنام في الخندق. وكان القرّ شديداً، فأخذ عمارة ابن حزم سلاحه، وهو لا يشعر. فلمّا قام فزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا رقاد! نمت حتى ذهب سلاحك»! ثمّ قال: «مَن له علمٌ بسلاح هذا الغلام»؟ فقال عمارة: يا رسول الله هو عندي. فقال صلى الله عليه وآله: «فردّه عليه» ونهى أن يروّع المسلم ويؤخذ متاعه لاعباً...

إلى أن قال: عن سلمان الفارسي أنّه قال: ضربت في ناحيةٍ من الخندق فغلظت عليّ صخرة، ورسول الله صلى الله عليه وآله قريبٌ مني، فلمّا رآني أضرب، ورأى شدّة المكان، نزل فأخذ المعول من يديّ، فضرب به ضربةً لمعت تحت المعول برقةٌ. قال: ثمّ ضرب به ضربةً أخرى فلمعت تحته برقةٌ أخرى. قال: ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقةٌ أخرى. قال: قلت بأبي أنت وأمّي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت، لمع المعول وأنت تضرب؟ قال: «أوَ قد رأيت ذلك يا سلمان»؟ قال: قلت نعم. قال صلى الله عليه وآله: «أمّا الأولى فإنّ الله فتح عليّ بها اليمن، وأمّا الثانية فإنّ الله فتح عليّ بها الشام المغرب، وأمّا الثالثة فإنّ الله فتح عليّ بها المشرق»...

إلى أن قال: «ولنا أن نتصور اليوم كيف يقع مثل هذا القول في القلوب، والخطر محدقٌ بها محيطٌ... لقد كان الهول الذي واجهه المسلمون في هذا الحادث من الضخامة، وكان الكرب الذي واجهوه من الشدّة، وكان الفزع الذي لقوه من العنف، بحيث زلزلهم زلزالاً شديداً، كما قال عنهم أصدق القائلين: ﴿**هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً**﴾[1] لقد كانوا أناساً من البشر، وللبشر طاقةٌ، لا يكلّفهم الله ما فوقها...

(١) سورة الأحزاب: ١١.

وممّا يصوّر هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة، والرسول ﷺ يحسّ حال أصحابه ويرى نفوسهم من داخلها، فيقول: «مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثمّ يرجع. يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة، أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة» ومع هذا الشرط بالرجعة، ومع الدعاء المضمون بالرفقة مع رسول الله ﷺ في الجنة، فإنّ أحداً لا يلبّي النداء، فإذا عيّن بالاسم حذيفة، قال: فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني! .. إلاّ أن هذا لا يقع إلا في أقصى درجات الزلزلة .. ولكن كان إلى جانب الزلزلة، وزوغان الأبصار، وكرب الأنفاس .. الصلة التي لا تنقطع بالله، والإدراك الذي لا يضلّ عن سنن الله، والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السنن... ومن ثم اتخذ المؤمنون من شعورهم بالزلزلة سبباً في انتظار النصر. ذلك أنّهم صدّقوا قول الله سبحانه من قبل ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[1] ...

إلى أن قال: «لقد كانوا أناساً من البشر لا يملكون أن يتخلّصوا من مشاعر البشر، وضعف البشر، وليس مطلوباً منهم أن يتجاوزوا حدود جنسهم البشريّ، ولا أن يخرجوا من إطار هذا الجنس ويفقدوا خصائصه ومميزاته.

فلهذا خلقهم الله. خلقهم ليبقوا بشراً، ولا يتحوّلوا جنساً آخر، لا ملائكةً ولا شياطين، ولا بهيمةً ولا حجراً.. كانوا أناساً من البشر يفزعون، ويضيقون بالشدّة، ويزلزلون للخطر الذي يتجاوز الطاقة، ولكنّهم كانوا ـ مع هذا ـ مرتبطين بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله وتمنعهم من السقوط وتجدد فيهم

(١) سورة البقرة: ٢١٤.

الأمل، وتحرسهم من القنوط.. وكانوا بهذا وذاك نموذجاً فريداً في تاريخ البشرية لم يعرف له نظير.

وعلينا أن ندرك أنّهم كانوا بشراً لم يتخلّوا عن طبيعة البشر، بما فيها من قوةٍ وضعفٍ، وأنّ منشأ امتيازهم أنّهم بلغوا في بشريّتهم هذه أعلى قمة مهيأة لبني الإنسان، في الاحتفاظ بخصائص البشر في الأرض مع الاستمساك بعروة السماء...

وهذا هو التوازن الذي صاغ ذلك النموذج الفريد في صدر الإسلام.. النموذج الذي يذكره القرآن الكريم: ﴿**مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً**﴾[1]»[2].

أنّه صلى الله عليه وآله أسوةٌ في الصبر، فعن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديثٍ طويلٍ: «ولأنّ الصبر على ولاة الأمر مفروضٌ؛ لقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله ﴿**فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ**﴾[3] وإيجابه مثل ذلك على أوليائه، وأهل طاعته، بقوله: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾»[4].

وأنّه صلى الله عليه وآله أسوةٌ في القناعة، قال ثعلبة بن حاطب ـ وكان رجلاً من

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٥، ص٢٨٤١ ـ ٢٨٤٤.

(٣) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٤) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج١، ص٣٧١؛ وعنه: تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي: ج١٠، ص٣٤٩.

الأنصار ـ للنبي صلى الله عليه وآله: أدعُ الله أن يرزقني مالاً، فقال صلى الله عليه وآله: «يا ثعلبة قليلٌ تؤدّي شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقه، أمَا لك في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ؟، والذي نفسي بيده لو أردتُ أن تسير الجبال معي ذهباً وفضّةً لسارت»[1].

وأنّه صلى الله عليه وآله أسوةٌ في الصبر على المصائب، حيث ورد في أصول الكافي عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال: «لمّا قبضت فاطمة عليها السلام دفنها أمير المؤمنين عليه السلام سراً، وعفا على موضع قبرها، ثم قام فحوّل وجهه نحو قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: «السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، عفا عن سيدة نساء العالمين تجلّدي، إلاّ أنّ لي في التأسّي بسنتك في فرقتك موضع تعزٍّ»[2].

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي: ج١٠، ص٣٥٠؛ نقلاً عن: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٥، ص٩٣.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج١: ص٤٥٨.

الخصيصة الثامنة والثلاثون

اختصاصه وأهل بيته عليهم السلام بالطهارة

ويدلّ على ذلك ما تصرح به آية التطهير في سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكمُ ٱلرِّجْسَ أهل ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكمْ تَطْهِيراً﴾[1]

كلمة «إنّما» في الآية تدلّ على حصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وكلمة «أهل البيت» سواءً كان لمجرد الاختصاص، او مدحاً، او نداءً يدلّ على اختصاص إذهاب الرجس والتطهير بالمخاطبين بقوله: ﴿عَنكمُ﴾، ففي الآية في الحقيقة قصران: قصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وقصر إذهاب الرجس والتطهير في أهل البيت[2].

وفي (**تفسير التبيان**): «روى أبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وعائشة، وأم سلمة، وواثلة بن الأسقع: أنّ الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام... فروي عن أمّ سلمة أنّها قالت: إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان في بيتي، فاستدعى علياً وفاطمة والحسن والحسين، وجلّلهم بعباءٍ خيبرية، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣٠٩.

وطهّرهم تطهيراً»، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أهل ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾، فقالت أمّ سلمة: قلت: يا رسول الله هل أنا من أهل بيتك؟ «فقال: لا، ولكنك إلى خير»»[1].

وفي (**مجمع البيان للطبرسي**): عن تفسير الثعلبي، عن مجمع: «دخلت مع أمّي على عائشة، فسألتها أمّي أرايت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنّه كان قدراً من الله، فسألتها عن علي عليه السلام، فقالت: تسأليني عن أحبّ الناس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج أحبّ الناس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، وجمع رسول الله صلى الله عليه وآله بثوبٍ عليهم، ثم قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي، وحامّتي[2] فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت: فقلت: يا رسول الله! أنا من أهلك؟ قال: «تنحّي فإنّك إلى خير».

وبإسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ، وفي عليّ، وحسن، وحسين، وفاطمة عليهم السلام»...

وعن جابر قال: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وليست في البيت إلاّ فاطمة والحسن، والحسين، وعلي عليهم السلام»[3].

وفي (**تفسير الميزان**)، قال العلاّمة رحمه الله: «بما تقدّم منّا يتأيد ما ورد في

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ج٨، ص٣٣٩.

(٢) الحامّة: خاصّة الرجل من أهله وولده وذوي قرابته: انظر: كتاب العين، الخليل الفراهيدي: ج٣، ص٣٣؛ الصحاح، الجوهري: ج٥، ص١٩٠٧.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨، ص١٥٧.

أسباب النزول أنّ الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسنين خاصة، لا يشاركهم فيها غيرهم.

وهي روايات جمّة تزيد على سبعين حديثاً، يربو ما ورد منها من طرق أهل السنّة على ما ورد منها من طرق الشيعة، روتها أهل السنّة بطرق كثيرة عن أمّ سلمة، وعائشة، وأبي سعيد الخدري، وسعد، وابن عباس، وغيرهم. وروتها الشيعة عن عليٍّ والسجاد والباقر والصادق والرضا عليهم السلام، وأم سلمة، وأبي ذر، وأبي ليلى، وأبي الأسود الدؤلي، وسعد بن أبي وقاص في بضعٍ وثلاثين طريقاً.

فإن قيل: أنّ الروايات إنما تدّل على شمول الآية لعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام، ولا ينافي ذلك شمولها لأزواج النبي صلى الله عليه وآله، كما يفيده وقوع الآية في سياق خطابهنّ.

قلنا: أنّ كثيراً من الروايات وخاصّة ما رويت عن أمّ سلمة ـ وفي بيتها نزلت الآية ـ تصرّح باختصاصها بهم، وعدم شمولها لأزواج النبي صلى الله عليه وآله، كما جاء في الروايات، وفيها الصحاح»[1].

فإليك نبذةً من هذه الروايات:

قال رحمه الله في **(الدر المنثور)**: «أخرج الطبراني عن أمّ سلمة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: «ائتني بزوجك وابنيه»، فجائت بهم، فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم كساءً فدكياً، ثمّ وضع يده عليهم، ثمّ قال: «اللّهم إن هؤلاء

(١) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣١١.

أهل محمد ـ وفي لفظٍ آل محمد ـ فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد». قالت أمّ سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي وقال: «إنّك على خير»[1].

وفي **(الدر المنثور)** أيضاً بطريقٍ آخر: قالت أمّ سلمة: قلت: يا رسول الله ألستُ من أهل البيت؟ قال: «إنّك إلى خير، إنّك من أزواج النبي صلى الله عليه وآله»»[2].

وفيه أيضاً: «عن ابن عباس، قال: شهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة أشهر يأتي كلّ يومٍ باب عليّ ابن أبي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿**إنما يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكمُ ٱلرِّجْسَ أهل ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكمْ تَطْهِيراً**﴾»... وفي خبرٍ آخر: عن الطبراني عن أبي الحمراء: قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب علي وفاطمة ستة أشهر فيقول ﴿**إنما يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكمُ ٱلرِّجْسَ أهل ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكمْ تَطْهِيراً**﴾...وعن طريق ابن جرير وابن مردويه: [حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله][3] ثمانية أشهر [بالمدينة][4] ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلاّ أتى باب عليٍّ عليه السلام، فوضع يده على جنبتي، الباب، ثم قال: الصلاة الصلاة ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ**

---

(١)انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٥، ص١٩٨؛ وعنه:تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣١٦ ـ ٣١٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هكذا ورد في المصدر.

(٤) هكذا ورد في المصدر.

لِيُذْهِبَ عَنكمُ ٱلرِّجْسَ أهل ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكمْ تَطْهِيراً ﴾»[1].

ثم قال العلاّمة [الطباطبائي]رحمه الله: «من أراد الاطلاع على الروايات فليراجع (**غاية المرام**) للبحراني، و(**العبقات**)»[2].

وفي (**غاية المرام**)، عن يزيد بن حيّان، قال: «دخلنا على زيد بن أرقم فقال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ألا إنّي تركت فيكم الثقلين أحدهما كتاب الله عزّ وجلّ من اتّبعه كان على هدىً ومن تركه كان على ضلالةٍ، ثمّ أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي (ثلاث مرات). قلنا: مِنْ أهل بيته نساؤه؟ قال: لا. أهل بيته وعصبته الذين حُرموا الصدقة بعده: آل علي وآل عباس وآل جعفر وآل عقيل»[3].

أقول: وفي هذا غنىً وكفاية لمن أراد الحقّ، والسلام على من اتّبع الهدى.

---

(١) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٥، ص١٩٩.

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣١٩.

(٣) غاية المرام، السيد هاشم البحراني: ج٢، ص٣١٥. وعنه: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣١٩.

الخصيصة التاسعة والثلاثون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بنفوذ قضائه في الأمور كلّها دون المؤمنين، وأنه لا يجوز لأحدٍ أن يتخلّف عمّا اختار له رسول الله صلى الله عليه وآله

ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾[1].

قال في (مجمع البيان)، في شأن نزول الآية: «نزلت في زينب بنت حجش الأسدية، وكانت بنت أميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وآله على مولاه زيد بن حارثة، ورأت أنّه يخطبها على نفسه، فلمّا علمت أنّه يخطبها على زيد أبت وأنكرت، وقالت: أنا ابنة عمّتك، فلم أكن لأفعل. وكذلك قال أخوها عبد الله بن حجش، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ...﴾ الآية؛ يعني عبد الله بن حجش وأخته زينب. فلما نزلت الآية قالت [زينب]: رضيت يا رسول الله، وجعلتْ أمرها بيد رسول الله، وكذلك أخوها، فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وآله زيداً، فدخل بها وساق إليها رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة دنانير وستين درهماً مهراً وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مُدّاً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر عن ابن عباس وقتادة»[2].

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨ ص١٦١.

وقال في فصل المعنى: «والمعنى أنّ كلّ شيء أمر الله تعالى به، أو حكم به فليس لأحدٍ مخالفته، وترك ما أمره به إلى غيره، ومَن يعص الله ورسوله فيما يختار له فقد ضلّ ضلالاً مبيناً، أي: ذهب الحقّ ذهاباً ظاهراً»[1].

وقال (العلاّمة الطباطبائي): «قوله: ﴿وَمَا كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: ما صحّ ولا يحقّ لأحدٍ من المؤمنين والمؤمنات أن يثبت لهم الاختيار من أمرهم بحيث يختارون ما شاؤوا، وقوله: ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً﴾ ظرفٌ لنفي الاختيار...

والآية عامّة، لكنّها لوقوعها في سياق الآيات التالية يمكن أن تكون كالتمهيد لما سيجيء من قوله: ﴿مَّا كانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكمْ﴾ حيث يلوّح منه أنّ بعضهم كان قد اعترض على تزويج النبي صلى الله عليه وآله بزوج زيد، وتعييره بأنّها كانت زوج ابنه المدعو له بالتبنّي»[2].

وقال في الفصل الروائي في (الدرّ المنثور): «عن ابن عباس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منهن وقالت أنا خيرٌ منه حسباً، وكانت امرأةً فيها حدّةٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾»[3].

وفي (تفسير الكشاف): «والمعنى: وما صحّ لرجلٍ ولا امرأةٍ من المؤمنين ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أي: رسول الله، أو لأنّ قضاء رسول الله هو قضاء الله، ﴿أَمْراً﴾ من الأمور أن يختاروا من أمرهم ما شاؤا، بل من حقّهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه صلى الله عليه وآله، واختيارهم تلواً لاختياره»[4].

---

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨ ص١٦٢.
(٢) تفسير الميزان: العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣٢١ ـ ٣٢٢.
(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٥: ص٢٠٠.
(٤) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٣، ص٥٤٠.

الخصيصة الأربعون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنه خاتم النبيين

وهو المستفاد من قوله تعالى: ﴿**مَّا كانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكمْ وَلَكن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وَكانَ ٱللَّهُ بِكلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾[1].

في **(تفسير أبي الفداء)**: «نهى أن يقال (بعد هذا): زيد بن محمد، أي: لم يكن أباه وإن كان قد تبنّاه، فإنّه صلى الله عليه وآله لم يعش له ولد ذَكَر حتى يبلغ الحلم، فإنّه صلى الله عليه وآله ولد له القاسم والطيّب والطاهر من خديجة عليها السلام فماتوا صغاراً، وولد له صلى الله عليه وآله إبراهيم من مارية القبطية فمات أيضاً رضيعاً، وكان له صلى الله عليه وآله من خديجة أربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، فمات في حياته صلى الله عليه وآله ثلاث، وتأخرت فاطمة عليها السلام حتى أُصيبت به صلى الله عليه وآله، ثم ماتت بعده لستة أشهر»[2].

أقول: قصة زيد بن حارثة، الذي جعله رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة ولده وتبنّاه، وكان عبداً وأعتقه، وزوّجه بنت عمته زينب بنت جحش، ثم إنّه صلى الله عليه وآله تزوجها بعد أن طلّقها زيد، هي قضيّةٌ معروفة ومسطورة في كتب التفاسير من العامّة والخاصّة. من أراد التفصيل فليراجع.[3]

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ج٣، ص٥٠١.

(٣) انظر: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨ ص١٦٢، وتفسير جامع البيان، محمد بن جرير الطبري: ج٢٢، ص١٩.

والمقصود من البحث في هذه الآية: أنّه صلى الله عليه وآله كان خاتم النبيين، وهو ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ﴾.

قال المفسّر المشار إليه آنفاً: «هذه الآية نصّ في أنّه لا نبيّ بعده، وإذا كان لا نبيّ بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى؛ لأنّ مقام الرسالة أخصّ من مقام النبوّة، فإن كلّ رسول نبيّ، ولا ينعكس. وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله من حديث جماعة من الصحابة»[1].

ومن تلك الأحاديث: حديث نقُل بالإسناد عن الإمام أحمد، عنه صلى الله عليه وآله قال: «مثلي في النبيّين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لَبِنة لم يَضَعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه، ويقولون: لو تمَّ موضع هذه اللبنة؟ فأنا في النبيّين موضع تلك اللبنة»[2].

ومنها: ما روى الإمام مسلم، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام: «فُضّلت على الأنبياء بستّ: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأُحلّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُرسلت إلى الخلق كافّة، وخُتم بي النبيّون»[3].

ومنها: ما أخرجه أبو اليمان في الصحيحين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال الراوي: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ لي أسماء: أنا محمّد، وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥٠١.

(٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٥، ص١٣٧. وعنه: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥٠١.

(٣) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ج ١٢، ص٦٤. وعنه: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥٠١.

قدمي، وأنا العاقب [الذي ليس بعده نبيٌّ[1]]» [2].

«والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وآله إليهم، ثمّ من تشريفه لهم ختم الأنبياء و المرسلين به، وقد أخبر الله تعالى في كتابه: بأنه خاتم النبيّين، وأخبر رسوله صلى الله عليه وآله في السنّة المتواترة بأنّه لا نبيّ بعده؛ ليعلموا أنّ كل من ادّعى هذا المقام بعده فهو كذّاب أفّاك ضالّ ومضلّ، ولو تحرّق وشعبذ وأتى بأنواع السّحر والطلاسم... فكلّها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله تعالى على يد الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما عَلِمَ كلّ ذي لُبّ وفهمٍ... أنّهما كاذبان ضالان لعنهما الله، وكذلك كلّ مُدّعٍ لذلك إلى يوم القيامة... قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كلِّ أَفَّاك أَثِيمٍ﴾[3]»[4].

هذا حال الضالين الكذابين، ولله الحمد أولاً وآخراً.

وعن (**مجمع البيان**): في قوله: «﴿... وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ...﴾[5] ختمت النبوّة به، فشريعته باقية إلى يوم الدين. وهذا فضيلةٌ له صلوات الله عليه

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الصحيحين، وورد منقولاً عن الزهري في تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥٠٢؛ انظر: صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: الحديث: ج٧، ص٨٩؛ صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري: ج٦، ص٦٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٤، ص٣٨٤.

(٣) سورة الشعراء:٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥٠٢.

(٥) سورة الأحزاب:٤٠.

وآله، اختصّ بها من بين سائر المرسلين»[1].

وفي (تفسير الميزان): «في قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[2] لا شكّ في أنّ هذه الآية مسوقة لدفع اعتراضهم على النبي صلى الله عليه وآله بأنّه تزوج زوج ابنه. ومحصّل الدفع: أنه ليس أبا زيد ولا أبا أحدٍ من الرجال الموجودين في زمن الخطاب حتى يكون تزوجه بزوج أحدهم بعده تزوجاً بزوج ابنه. إلى قوله: والمعنى: ليس محمّد صلى الله عليه وآله أبا أحدٍ من هؤلاء الرجال الذين هم رجالكم، حتى يكون تزوجه بزوج أحدهم بعده تزوجاً منه بزوج ابنه، وزيد أحد هؤلاء الرجال، فتزوجه بعد تطليقه ليس تزوجاً بزوج الابن حقيقة، وأما تبنّيه زيداً فأنه لا يترتب عليه شيءٌ من آثار الأبوّة والبنّوة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾[3]...

وقوله: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ﴾... المراد بكونه خاتم النبيّين: أنّ النبوّة اختتمت به صلى الله عليه وآله فلا نبيّ بعده...

وقال قدس سره: «قد ذكرنا قبلاً معنى الرسالة والنبوّة، وأنّ الرسول هو الذي يحمل رسالة من الله إلى الناس، والنبيّ هو الذي يحمل نبأ الغيب الذي هو الدين وحقائقه. ولازم ذلك أن يرتفع الرسالة بارتفاع النبوة، فإنّ الرسالة من أنباء الغيب، فإذا انقطعت هذه الأنباء انقطعت الرسالة. ومن هنا يظهر أنّ كونه صلى الله عليه وآله خاتم النبيين يستلزم كونه خاتماً للرسل»[4].

---

(١) انظر: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨، ص١٠٦.

(٢) سورة الأحزاب:٤٠.

(٣) سورة الأحزاب: ٤.

(٤) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣٢٥.

الخصيصة الحادية والاربعون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بحليّة الزواج بالموهوبة دون المؤمنين

ويدّل على ذلك قوله تعالى: ﴿... وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّك مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾[1].

في (**الكافي**): عن الإمام الباقر عليه السلام: «جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلت عليه وهو في منزل حفصة، والمرأة متلبّسة متمشّطة، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إنّ المرأة لا تخطب الزوج، وأنا امرأة أيِّم لا زوج لي منذ دهرٍ ولا ولد، فهل لك من حاجة؟ فإن تكُ، فقد وهبت نفسي لك إن قبلتني. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: خيراً، ودعا لها. ثم قال: «يا أخت الأنصار جزاكم الله عن رسول الله خيراً، فقد نصرني رجالكم، ورغبت فيّ نساؤكم»، فقالت لها حفصة: ما أقلّ حياءك وأجراك وأنهمك للرجال! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كفّي عنها يا حفصة، فإنّها خير منك، رغبت في رسول الله صلى الله عليه وآله فلُمتها وعيّبتها». ثم قال للمرأة: «انصرفي رحمك الله، فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فيّ وتعرضك لمحبتي وسروري، وسيأتيك أمري إن شاء الله»، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٠.

﴿يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: فأحلّ الله عزّ وجلّ هبة المرأة نفسها لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا يحلّ ذلك لغيره»[1].

وفي (**مجمع البيان**): بعدما نزلت الآية، قالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وآله: ما أرى الله تعالى إلاّ يسارع في هواك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وإنّك إن أطعت الله سارع في هواك»[2].

وقال (**البيضاوي**) في تفسيره في قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾: «إيذانٌ بأنّه ممّا خصّ به؛ لشرف نبوّته وتقريرٌ لاستحاق الكرامة لأجله. واحتجّ به أصحابنا على أنّ النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة؛ لأنّ اللفظ تابعٌ للمعنى، وقد خُصّ عليه الصلاة والسلام بالمعنى»[3].

وفي (**تفسير الكشاف**): «إن قلت: لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ﴾، ثم رجع إلى الخطاب؟ قلت: للإيذان بأنّه خُصّ ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾، ومجيئه على لفظ النبي صلى الله عليه وآله للدلالة على أنّ الاختصاص تكرمةً له لأجل النبوة، وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوّته... وقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ مصدر مؤكّد... أي: خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصةً»[4].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٥، ص٥٦٨.

(٢) انظر: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨، ص١٧٠ ـ ١٧١. وعنه: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٤، ص١٩٥ ـ ١٩٦.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ج٤، ص٣٨١.

(٤) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٣، ص٥٥٠ ـ ٥٥١.

وفي تفسير (**الحافظ أبي الفداء**): قوله تعالى: ﴿**وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ**﴾، أي: ويحلّ لك أيّها النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر ان شئت ذلك. وهذه الآية توالى فيها شرطان ... أحدهما: (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي. (وثانيهما): إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قوله خالصة لك ، قال عكرمة: أي لا تحلّ الموهوبة لغيرك؛ ولو أنّ امرأة وهبت نفسها لرجلٍ لم تحلّ له حتى يعطيها شيئاً، وقال قتادة في قوله: ﴿**خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ يقول ليس لامرأةٍ أن تهب نفسها لرجلٍ بغير وليٍّ ولا مهرٍ إلاّ للنبي صلى الله عليه وآله[1].

وفي (**تفسير زبدة التفاسير**): ﴿**إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا**﴾ شرطٌ للشرط الأوّل في الإحلال في استيجاب الحِلّ ... فإن هبتها نفسها له لا توجب عليه نكاحها إلاّ بارادته ... والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ (النبيّ) مكرّراً، ثمّ الرجوع إليه في قوله: ﴿**خَالِصَةً لَّكَ**﴾ إيذانٌ بأنّه ممّا خُصّ به؛ لشرف نبوّته»[2].

وصلى الله على محمّدٍ وآل محمد

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي: ج٣، ص٥٠٧ ـ ٥٠٨.

(٢) زبدة التفاسير، الملّا فتح الله الكاشاني: ج٥، ٣٩١.

الخصيصة الثانية والأربعون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بجواز تزويجه بأكثر من أربع دون المؤمنين

وهي المستفادة من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَك أَزْوَاجَك ٱللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكتْ يَمِينُك مِمَّا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَيْك وَبَنَاتِ عَمِّك وَبَنَاتِ عَمَّاتِك وَبَنَاتِ خَالِك وَبَنَاتِ خَالَاتِك ٱللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَك وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكحَهَا خَالِصَةً لَّك مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكتْ أَيْمَانُهُمْ لِكيْلَا يَكونَ عَلَيْك حَرَجٌ وَكانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[1].

في (**تفسير الميزان**): «إنّ الله سبحانه وتعالى يذكر لرسوله بإحلال سبعة أصنافٍ من النساء:

الصنف الأول: قوله: ﴿أَزْوَاجَك ٱللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾، و المراد من الأجور: المهر.

الصنف الثاني: ما في قوله: ﴿وَمَا مَلَكتْ يَمِينُك مِمَّا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَيْك﴾ أي: ما يملكه [من الإماء الراجعة إليه][2] من الغنائم والأنفال.

الصنف الثالث والرابع: قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّك وَبَنَاتِ عَمَّاتِك﴾.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٠.

(٢) كذا في المصدر.

الصنف الخامس السادس: ما في قوله: ﴿وَبَنَاتِ خَالِك وَبَنَاتِ خَالَاتِك﴾.

الصنف السابع:ما في قوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ وهي المرأة المسلمة التي بذلت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله [خالصة][1]، حيث قال: ﴿خَالِصَةً لَّك مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إيذان بأنّ هذا الحكم ـ أي: حلّية المرأة للرجل ببذل النفس ـ من خصائصه صلى الله عليه وآله لا يجري في المؤمنين»[2].

وهذه الآيات تتضمّن أحكاماً متفرقة بعضها خاصّة بالنبي صلى الله عليه وآله وأزواجه، وبعضها عامّة.

قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَك ٱلنِّسَاءُ مِن بَعْدُ﴾ أي: بعد اللاتي اخترن الله ورسوله، وهي: التسعة على المعنى الأوّل [من المعاني المحتملة في الآيات][3]»[4].

وقال (**الفخر في تفسيره**) في ذيل قوله: ﴿خَالِصَةً لَّك مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أزواجهمْ﴾[5] «معناه إنّ ما ذكرنا فرضك وحكمك مع نسائك، وأمّا حكم أمّتك فعندنا علمه ونبيّنه لهم، وإنّما ذكر هذا لئلا يحمل واحد من المؤمنين نفسه على ما كان للنبي صلى الله عليه وآله، فإنّ

---

(١) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٢) انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣٣٥.

(٣) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٤) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣٣٦.

(٥) سورة الأحزاب: ٥٠.

له في النكاح خصائص ليست لغيره. وكذلك في السراري»[1].

النكتة في تعدد أزواج النبي صلى الله عليه وآله

قال: (**سيد قطب في تفسيره**): «ففي الآية يُحلّ الله للنبي صلى الله عليه وآله أنواع النساء المذكورات فيها ـ ولو كنَّ فوق الأربع ـ ممّا هو محرّم على غيره. وهذه الأنواع هي: الأزواج اللواتي أمهرهنّ، وما ملكت يمينه إطلاقاً من الفيء، وبنات عمّه وبنات عمّاته وبنات خاله وبنات خالاته ممن هاجرن معه، دون غيرهنّ ممّن لم يهاجرن ـ إكراماً للمهاجرات ـ وأيّما امرأة وهبت نفسها للنبيّ بلا مهرٍ ولا وليّ... إلى قوله: وقد جعل الله هذه خصوصية للنبي صلى الله عليه وآله بما أنّه وليّ المؤمنين والمؤمنات جميعاً... ذلك كي لا يكون على النبيّ حرج في استبقاء أزواجه، وفي الاستجابة للظروف الخاصة المحيطة بشخصه»[2].

وقال في وجه حلّية هذه النسوة للنبي صلى الله عليه وآله: «أنّ في تزويج كلٍّ من النساء معنىً خاصاً، وما في ذلك من خصوصية لشخصه ولأهل بيته، بعد ما نزلت آية سورة النساء التي تجعل الحدّ الأقصى للأزواج أربعاً، وهو قوله تعالى: ﴿...**فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ**...﴾[3] وكان في عصمة النبي صلى الله عليه وآله في هذا الوقت تسع نساء، تزوج بكلٍّ منهنّ لمعنىً خاصٍ: عائشة وحفصة ابنتا صاحبيه أبي بكر وعمر، [ملاحظة

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٢٥، ص٢٢٠.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٥، ص٢٨٧٦.

(٣) سورة النساء: ٣.

المصاحبة][1]، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وزينب بنت خزيمة من المهاجرات اللواتي فقدن أزواجهنّ وأراد النبي صلى الله عليه وآله تكريمهن، ولم يكنّ ذوات جمال وشباب، إنّما كان معنى التكريم لهنّ خالصاً في هذا الزواج.

وزينب بنت جحش وقد علمنا قصة زواجها، وقد كان هناك تعويضٌ لها كذلك عن طلاقها من زيد الذي زوّجها رسول الله منه فلم تفلح الزيجة لأمرٍ قضاه الله تعالى وعرفناه في قصتها.

ثم جويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وصفيّة بنت حيي بن أخطب، وكانتا من السبي فأعتقهما رسول الله وتزوّج بهما الواحدة تلو الأخرى، توثيقاً لعلاقته بالقبائل وتكريماً لهما، وقد أسلمتا بعد ما نزل بأهلهما من الشدّة.

وكنّ قد أصبحن (أمّهات المؤمنين)، ونِلن شرف القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة بعد نزول آيتي التخيير. فكان صعباً على نفوسهنّ أن يفارقهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعد تحديد عدد النساء. وقد نظر الله إليهنّ فاستثنى رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك القيد، وأحلّ له استبقاء نسائه جميعاً في عصمته، وجعلهنّ كلّهن حِلاّ له، ثم نزل القرآن بعد ذلك بإلاّ يزيد عليهنّ أحدٌ ولا يستبدل الواحدة منهنّ أخرى. فإنّما هذه الميزة لهؤلاء اللواتي ارتبطن به وحدهنّ؛ كي لا يُحرمن شرف النسبة إليه بعد ما

(١) ما بين المعقومتين إضافة من المؤلّف رحمه الله.

اخترن الله ورسوله والدار الآخرة»[1].

أقول: وتعرّض سيد قطب في سورة التحريم لعلّة تعدّد الأزواج عند قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَك...**﴾[2] ومن كلامه: «هكذا ترى أنّ لكل زوجة من أزواجه صلى الله عليه وآله قصة وسبباً في زواجه منها»[3].

وعليك بالرجوع لهذا الفصل فإنّ فيه دفع للشبهات والاعتراضات.

وصلّى الله على محمّدٍ وعلى أهل بيته الطاهرين

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٥، ص٢٨٧٥.

(٢) سورة التحريم:١.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٦، ص٣٦١١.

الخصيصة الثالثة والأربعون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بلزوم الصلاة والتحيّة عليه

وهي المستفادة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾[1].

في (**مجمع البيان**): «لمّا صدّر سبحانه هذه السورة بذكر النبي صلى الله عليه وآله، وقرّر في أثناء السورة ذكر تعظيمه، ختم ذلك بالتعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ معناه: إنّ الله يصلّي على النبي صلى الله عليه وآله، ويثني عليه بالثناء الجميل، ويبجّله بأعظم التبجيل، وملائكته [يصلون عليه][2] بأحسن الثناء ويدعون له بأ زكى الدعاء.

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ قال أبو حمزة الثمالي بالإسناد إلى كعب بن عجرة: لمّا نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله! هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد»»[3].

---

(١) سورة الأحزاب ٥٦.

(٢) كذا ورد في المصدر.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨، ص١٧٩.

وعن أبي بصير أنّه قال: «سألت أبا عبد الله عن هذه الآية، فقلت: كيف صلاة الله على رسوله؟ فقال: «يا أبا محمد تزكيته له في السموات العُلى». فقلت: قد عرفت صلواتنا عليه، فكيف التسليم؟ فقال: «هو التسليم له في الأمور». فعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ انقادوا لأوامره، وابذلوا الجهد في طاعته، وفي جميع ما يأمركم به»[1].

وعن (**تفسير الميزان**) في البحث الروائي نقلاً عن ثواب الأعمال: «عن أبي الحسن عليه السلام في حديثٍ قال: قلت له: ما معنى صلاة الله، وصلاة ملائكته، وصلاة المؤمن؟ قال عليه السلام: «صلاة الله رحمةٌ من الله: وصلاة الملائكة تزكيةٌ منهم له: وصلاة المؤمنين دعاءٌ منهم له»»[2].

و في (**الدر المنثور**): عن كعب بن عجرة، قال: «قال رجل: يا رسول الله! أمّا السلام عليك فقد علمناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قل: اللهم صلّ على محمد وآل محمد، كما صلّيت على [آل][3] إبراهيم إنك حميد مجيد [اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد][4] »»[5] وقد مضى الخبر في المجمع[6] والميزان[7].

---

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨، ص١٨٠.

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣٤٣.

(٣) كذا ورد في المصدر.

(٤) كذا ورد في المصدر.

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٥، ص٢١٦.

(٦) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨، ص١٧٩.

(٧) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣٤٤.

قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «وقد أورد في الدُّر المنثور ثماني عشرة حديثاً غير هذه الرواية تدلّ على تشريك آل النبيّ معه في الصلاة، روتها أصحاب السنن والجوامع عن عدّة من الصحابة، منهم: ابن عباس، وطلحة، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وأبو مسعود الأنصاري، وكعب بن عجرة، وعلي عليه السلام. وأمّا روايات الشيعة فهي فوق حدّ الإحصاء وعنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «البخيل من ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ»»[1].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿**وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾ يعني: «سلّموا له بالولاية وبما جاء به»[2].

وفي (**العيون**): في باب مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون، وسؤال المأمون له عليه السلام عن أشياء، ومنها: السؤال عن الصلاة على آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، فقال المأمون: «فهل عندك في الآل شيءٌ أوضح من هذا في القرآن [ممّا في الأحاديث][3]؟ قال: أبو الحسن الرضا عليه السلام: «نعم أخبروني عن قول الله تعالى: ﴿**يس * وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّك لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ**﴾ فمن عنى بقوله: ﴿**يس**﴾»، قالت العلماء: يس محمد عليه السلام لم يشكّ فيه أحدٌ. قال أبو الحسن عليه السلام: «فإن الله عزّ وجلّ أعطى محمداً وآل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحدٌ كنه وصفه إلا من عقله، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ لم يسلّم على أحد إلاّ على الأنبياء صلوات الله

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٦، ص٣٤٤.

(٢) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي: ج٢، ص١٩٦.

(٣) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

عليهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَالَمِينَ﴾[1]، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إبراهيم﴾[2]، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾[3]. ولم يقل: سلام على آل نوح، ولم يقل: سلام على آل إبراهيم، ولم يقل: سلام على آل موسى وهارون، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾[4] يعني آل محمد عليهم السلام». فقال المأمون: قد علمت أنّ في معدن النبوّة شرح هذا وبيانه»[5].

وعن **(البخاري)**: عند تفسير هذه الآية عن كعب بن عجرة، قال: «قيل: يا رسول الله أمّا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: قولوا: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد»»[6].

وعن **(الإمام أحمد)**، عن ابن أبي ليلي، قال: «لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أُهدي لك هديةً؟ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا: يا رسول الله قد

---

(١) سورة الصافات: ٧٩.

(٢) سورة الصافات: ١٠٩.

(٣) سورة الصافات: ١٢٠.

(٤) سورة الصافات: ١٣٠.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ج١، ص٢١٤؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٤، ص٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٦) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري: ج٦، ص٢٧ وعنه: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥١٥؛ وللحديث تتمّة لم يذكرها المؤلّف، وهي: «اللهم بارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على آل ابراهيم إنّك حميد مجيد».

علمنا أو عرفنا كيف السلام عليك... إلى آخر الخبر»[1].

وعن **(البخاري)** أيضاً: عن أبي سعيد الخدري، قال: «قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك، فكيف نصلّي؟ قال: قولوا: «اللهم صلّ على محمّدٍ عبدك ورسولك كما صلّيت على إبراهيم وبارك على محمّدٍ وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم»»[2].

وعن مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: «أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال: له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلّي عليك يا رسول الله، فكيف نصلّي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنّينا أنّه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد»»[3].

وعن الإمام أحمد، وأبي داود، والنسائي، وابن خزيمة، وابن حبّان، والحاكم في مستدركه، بالإسناد إلى أبي مسعود البدري، أنهم قالوا: «يا رسول الله أمّا السلام فقد عرفناه، فكيف نصلّي عليك إذا نحن صلّينا في

---

(١) انظر: مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٤، ص٢٤١. وعنه: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥١٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري: ج٧، ص١٥٧. وعنه: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥١٥.

(٣) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ج٢، ص١٦. وعنه: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥١٦. وتتمة الحديث في المصدر: «كما صلّيت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم».

صلاتنا؟ فقال: «قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد»»[1].

ورواه الشافعي في مسنده عن أبي هريرة بمثله[2].

أقول: روى الإمام الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي في تفسيره (تفسير القرآن العظيم) روايات كثيرة عن الأئمة وعن جماعة من الصحابة والتابعين، وفيها سألوا النبي صلى الله عليه وآله كيف نصلّي عليك؟ قال صلى الله عليه وآله: «قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد»[3]. ومن أراد فليراجع.

قال الإمام أبو الفداء: «ومن هنا ذهب الشافعي إلى أنّه يجب على المصلّي أن يصلّي على رسول الله صلى الله عليه وآله في التشهّد الأخير، فإن تركه لم تصحّ صلاته. وبعض المتأخرين من المالكية شنّع على الإمام الشافعي في اشراطه ذلك [في الصلاة][4]، إلى أن قال: وقد تعسّف هذا القائل في ردّه على الشافعي... وقال ما لم يُحِط به علماً، فإنّا قد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة على رسول الله في الصلاة، كما هو ظاهر الآية، ومُفسَّر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة، منهم: ابن مسعود [وابو مسعود][5]

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥١٦. و انظر: مسند احمد، أحمد بن حنبل: ج٤، ص١١٩ وشرح سنن ابي داود، محمود الحنفي: ج٤، ص٢٦٥؛ وصحيح ابن خزيمة، ابن خزيمة: ج١، ص٣٥٢، وصحيح ابن حبان، ابن حبان: ج٥، ص٢٨٩، والمستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج١، ص٤٠١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥١٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥١٥ ـ ٥١٧.

(٤) هكذا ورد في المصدر.

(٥) هكذا ورد في المصدر.

البدري وجابر بن عبد الله، ومن التابعين: الشعبي، وأبو جعفر الباقر، ومقاتل بن حيان. وإليه ذهب الشافعي لا خلاف عنه في ذلك، ولا بين أصحابه أيضاً. وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً... إلى أن قال: حتى أنّ بعض أئمّة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله [كما علّمهم أن يقولوا لما سألوه وحتى أنّ بعض أصحابنا][1] أوجب الصلاة على آله»[2].

وقال (**الإمام الفخر في تفسيره**): «هذا دليلٌ على مذهب الشافعي؛ لأنّ الأمر للوجوب، فتجب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، ولا تجب في غير التشهد. وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله كيف نصلّي عليك؟ قال: قولوا: «اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد»»[3].

وفي (**تفسير الكشاف**): «فإن قلت: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله واجبة أم مندوب إليها؟ قلت: بل واجبة... ويروى أنّه قيل: يا رسول الله أرايت قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ**﴾، فقال صلى الله عليه وآله: «هذا من العلم المكنون ولولا أنّكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به، إنّ الله وكّل بي ملكين فلا أُذكرُ عند عبدٍ مسلم فيصلّي عليّ إلاّ قال ذانك الملكان: غفر الله لك، وقال الله تعالى وملائكته جواباً لذينك الملكين: آمين. ولا أُذكرُ عند عبدٍ مسلمٍ فلا يصلّي عليّ إلاّ قال ذانك الملكان: لا غفر الله لك، وقال الله

---

(١) كذا ورد في المصدر.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥١٦.

(٣) التفسير الكبير: الفخر الرازي: ج٢٥، ص٢٢٧.

وملائكته لذينك الملكين: آمين»»[1].

أقول: روى هذه الرواية في تفسير أبي الفتوح الرازي، مرسلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

وفي تفسير **(روح البيان)**: «قال في التأويلات النجمية: يشير بهذا الاختصاص إلى كمال العناية في حقّ النبي صلى الله عليه وآله وفي حقّ أمّته. أما في حقّ النبي، فإنّه يصلّي عليه صلاة تليق بتلك الحضرة المقدسة عن الشبه والمثال... وأما في حقّ أمّته، فهو إنّه تعالى أوجب على أمّته الصلاة عليه، ثم جازاهم بكلّ صلاة عليه عشر صلوات من صلاته، وبكلّ سلام عشراً؛ لأنّ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها. وهذه عناية مختصة بالنبيّ وأمّته.

إلى أن قال: وهذا التشريف الذي شرّف الله به نبينا عليه السلام أتمّ من تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة بالسجود له؛ لأنّه لا يجوز أن يكون الله تعالى مع الملائكة في هذا التشريف، وقد أخبر تعالى عن نفسه بالصلاة على النبيّ، ثم عن الملائكة»[3].

وفيه أيضاً: «عن الأصمعي قال: سمعت المهديّ على منبر البصرة يقول: إنّ الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه وثنّى بملائكته، فقال: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ**﴾ آثره من بين الرسل، واختصّكم بها من بين الأمم، فقابلوا نعمة الله بالشكر. وإنّما بدأ تعالى: بالصلاة عليه بنفسه، إظهاراً لشرفه

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٣، ص٥٥٧.

(٢) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن (فارسي)، الرازي: ج١٦، ص١٦.

(٣) تفسير روح البيان، اسماعيل حقي الخلوتي: ج٧، ص٢١١ ـ ٢٢٢.

ومنزلته، وترغيباً للأمّة، فإنّه مع استغنائه إذا كان مصلّياً عليه كان الأمّة أولى به؛ لاحتياجهم إلى شفاعته. ثمّ ثنّى بملائكة قدسه فإنّهم مقدّمون في الخلقة، وأهل علّيين في الصورة، خائفون كبني آدم من نوازل القضاء، ومستعيذون بالله من مثل واقعة إبليس وهاروت وماروت؛ فاحتاجوا إلى الصلاة على النبي ﷺ؛ ليحصل لهم جمعية الخاطر والحفظ من المحن والبليّات ببركة الصلوات [على النبي ﷺ][1]...

ثم ثلّث بالمؤمنين من بريّته جنّه وإنسه، فإنّ المؤمنين محتاجون إلى الصلاة عليه؛ أداءً لبعض حقوق الدعوة والأبوّة، فإنه ﷺ بمنزلة الأب للأمّة، وقد أجاد في التعليم والتربية والإرشاد وبالغ في لوازم الشفقة على العباد. وثناء المعلّم واجب على المتعلّم، وشكر الأب لازم على الإبن...

ألا أيّها الإخوان صلّوا وسلّموا ... على المصطفى في كلّ وقتٍ وساعة
فإنّ صلاة الهاشمي محمّدٍ ... تنجّي من الأهوال يوم القيامة [2]

وفيه أيضاً: قال سهل بن عبد الله التستري: الصلاة على محمد ﷺ أفضل العبادات؛ لأنّ الله تعالى تولاّها هو وملائكته، ثم أمر بها المؤمنين. وسائر العبادات ليس كذلك...

وفي الحديث: إنّ لله تعالى ملكاً أعطاه سمع الخلائق، وهو قائمٌ على قبري إذا متُّ إلى يوم القيامة، فليس أحدٌ من أمّتي يصلّي عليّ صلاة إلاّ

(١) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٢) الشعر مترجم في المصدر عن اللغة الفارسية، انظر: تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٧، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤.

سمّاه بإسمه واسم أبيه، قال: يا محمّد صلّى عليك فلان كذا وكذا، ويصلّي الربّ على ذلك الرجل بكلّ واحدةٍ عشراً»[1].

مَن ترك الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله

في الحديث عنه صلى الله عليه وآله: «لايرى وجهي ثلاثة أقوام (طوائف): أحدها: العاق لوالديه، والثاني: تارك سنّتي، والثالث: من ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ»[2].

وفي (**سفينة البحار**): عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من ذُكرت عنده فنسي أن يصلّي عليّ خطّأ الله به طريق الجنة»[3].

وعن (**نور الثقلين**): في (**أصول الكافي**): عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله عزّ وجلّ ولم يصلّوا على نبّيهم إلاّ كان ذلك المجلس حسرةً ووبالاً عليهم»[4].

وعنه صلى الله عليه وآله: «البخيل حقاً من ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ»[5].

---

(١) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٧، ص٢٢٤.

(٢) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٧، ص٢٢٧.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٤٩٥؛ وعنه: مستدرك سفينة البحار؛ الشيخ النمازي: ج٦، ص٣٦٨.

(٤) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٤، ص٣٠١، عن: الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٤٩٦.

(٥) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص٢٤٦.

في فضل الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام

في **(سفينة البحار)** عن الإمام الصادق عليه السلام: «من قال بعد صلاة الفجر، وبعد صلاة الظهر: اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجّل فرجهم، لم يمت حتى يدرك القائم عليه السلام من آل محمد عليهم السلام»[1].

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «من لم يقدر على ما يكفّر به ذنوبه فليُكثر من الصلاة على محمدٍ وآله، فإنّها تهدم الذنوب هدماً»[2].

عن أحدهما عليهما السلام، قال: «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيمة الصلاة على محمّد و على أهل بيته»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من عملٍ أفضل يوم الجمعة من الصلاة على محمّد وآله»[4].

وفي **(تفسير البرهان)**: عن الإمام الصادق عليه السلام: «كلّ دعاءٍ يدعى الله عزّ وجلّ به محجوب عن السماء، حتى يُصلَّى على محمّدٍ وآل محمد»[5].

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي: ج٨٣، ص٧٧، مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ج٦، ص٣٦٦.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص١٣١. وعنه: مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ج٦، ص٣٦٦.

(٣) قرب الإسناد، الحميري القمي، ص١٤، وعنه: مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ج١، ص٣٦٧.

(٤) وسائل الشعية، الحر العاملي: ج٧، ص٣٨١، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩١، ص٥٠.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٤٩٣؛ وعنه: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٤، ص٤٨٩.

الصلاة ليلة الجمعة

في **(تفسير البرهان)**: عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان ليلة الجمعة نزل من السماء ملائكة بعدد الذر، في أيديهم أقلام الذهب، وقراطيس الفضة، لا يكتبون إلى ليلة السبت إلاّ الصلاة على محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله، فاكثر منها»[1].

لزوم الصلاة على آل محمد عليهم السلام

عن أمالي الصدوق: عنه صلى الله عليه وآله: «مَنْ صلّى عليّ، ولم يصلَّ على آلي لم يجد ريح الجنة، وأنّ ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام»[2].

وفي **(الصحيفة السجادية)** في دعائه عليه السلام في طلب الحوائج: «وصلّ على محمد وآله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبدها ولا منتهى لأمدها، واجعل ذلك عوناً لي وسبباً لنجاح طلبتي، إنّك واسع كريم»[3].

وفي **(تفسير روح البيان)**: في الحديث: «ما من دعاءٍ إلاّ بينه وبين الله حجاب حتى يصلّي على محمّد وعلى آل محمّد، فإذا فعل ذلك انخرق الحجاب ودخل الدعاء، وإذا لم يفعل ذلك رجع الدعاء»[4].

وقال صاحب التفسير أعلاه: «واعلم أن الصلوات متنوعة إلى أربعة

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٣، ص٤١٦؛ وعنه: والبرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٤، ص٤٩٠.

(٢) الأمالي: الشيخ الصدوق: ص٢٦٧؛ وعنه: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٤، ص٤٩١.

(٣) الصحيفة السجادية: من دعائه عليه السلام بخواتم الخير، ص٧٢؛ وعنها: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٤، ص٣٠٥.

(٤) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٧، ص٢٣٠.

الآف... على ما نقل عن الشيخ سعد الدين محمد الحموي... منها: اللهم صلّ على محمّد وآله عدد ما خلقت، اللهم صلّ على محمّد وآله ملء ما خلقت، اللهم صلّ على محمّد وآله عدد كل شيء... اللهم صلّ على محمّد وآله عدد ما أحصاه كتابك... اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد عدد ما أحاط به علمك»[1].

وفي **(الكافي)**: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «سمع أبي رجلاً متعلّقاً بالبيت، وهو يقول: اللهم صلّ على محمّد. فقال له أبي لا تبترها، لا تظلمنا حقّنا، قل: اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد»[2].

وعن **(الصواعق)**: عنه صلى الله عليه وآله: «لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء». فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: «تقولون: اللهم صلّ على محمّدٍ وتمسكون، بل قولوا: اللهم صلّ على محمّدٍ وآل محمّد»[3].

وعن **(شرح الشفا للخفاجي)**، و**(الصواعق المحرقة)** و**(الإتحاف بحبّ الأشراف)**، و**(إسعاف الراغبين للصبّان)** على هامش **(نور الأبصار)**، و**(شرح الزرقاني على مذاهب اللدنية)**، ينسب إلى الشافعي في لزوم الصلاة على الآل في الصلاة[4].

---

(١) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٧، ص٢٣٣.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج١٢، ص٤٦.

(٣) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي: ص١٤٦.

(٤) الحدائق الناضرة، المحقق البحراني: ج٨ هامش ص٤٦٥.

يـا أهـل بيـت رسـول الله حـبّكُم فـرضٌ مـن الله فـي القـرآن أنزلـه
كفاكم مـن عظيـم القـدر أنّكـم من لم يصـلّ عليكم لا صلاة له[1]

أقول: والأخبار في هذه المسألة فوق حدّ الإحصاء من طرق الشيعة والسنّة، وفيما ذكرناه كفاية.

الصلاة تعرض عليه في قبره صلى الله عليه وآله

في تفسير (**أبي الفداء**): عنه صلى الله عليه وآله: «أفضل أيّامكم يوم الجمعة... فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإنّ صلاتكم معروضةٌ عليّ». قالوا: يا رسول الله! وكيف تعرض عليك وقد أرمت؟ (يعني: وقد بليت). قال صلى الله عليه وآله: «إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»... وفي حديث آخر: «فنبي الله حي يرزق»[2].

للآية ظاهر وباطن

عن (**الاحتجاج للطبرسي**): عن أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿**صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾، قال عليه السلام: «فأمّا ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله صلى الله عليه وآله من كتاب الله فهو قول الله سبحانه: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ**

(١) نسبت هذه الأبيات في حقّ أهل البيت عليهم السلام للشافعي، انظر: ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي: ج٢، ص٤٣٤، والصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي: ص١٤٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥٢٢.

تَسْلِيماً﴾[1]. ولهذه الآية ظاهر وباطن، فالظاهر قوله: ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾، والباطن قوله: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾، أي: سلّموا لمن وصّاه واستخلفه عليكم وفضّله وما عهد به إليه تسليماً. وهذا مما أخبرتك: أنّه لا يعلم تأويله إلاّ من لطف حسّه وصفا ذهنه وصحّ تمييزه»[2].

حكم الفصل بين النبيّ وآله بـ (على) صلى الله عليهم أجمعين

عن **(الدهلوي)** ما لفظه: «وروي أنه صلى الله عليه وآله سُئل عن كيفيّة الصلاة، فقال صلى الله عليه وآله: قولوا: اللهم صلّ على محمّدٍ وآل محمّد. فقال رجل من الصحابة: وعلى آل محمّد؟ فقال صلى الله عليه وآله: «من فصل بيني وبين آلي بـ (على) لم يَنل شفاعتي». وقد أشار إلى هذا الحديث جلال الدواني في حاشيته على شرح التجريد للقوشجي»[3].

وعن **(تفسير النعماني)**: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تصلّوا عليّ صلاة مبتورة، بل صِلوا إليّ أهل بيتي ولا تقطعوهم، فإنّ كل نسب وسبب يوم القيامة منقطع إلاّ نسبي»[4].

وعن الشعراني: عنه صلى الله عليه وآله: «لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء تقولون: اللهم

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٢) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج١، ص٣٧٧؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٤، ص٤٣٢. والبرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٤، ص٤٩١.

(٣) شرح إحقاق الحقّ، السيد المرعشي: ج٩، ص٦٤٣؛ نقله عن العلّامة حسن بن أمان الدهلوي في كتاب تجهيز الجيش(مخطوط).

(٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٧، ص٢٠٧.

صلّ على محمّد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد». فقيل له: ومن أهلك يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: «عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين»[1].

أقول: صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله على محمّدٍ وآل محمّد أهل بيته الطيبين الطاهرين الأئمّة الهداة المهديين، ولعنة الله على أعدائهم من الأوّلين والآخرين إلى يوم الدين

(١) الحدائق الناضرة، المحقق البحراني: ج٨، ص٤٦٥ [في التعليقة رقم٢].

الخصيصة الرابعة والأربعون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّ في إيذائِه ثلاث عقوباتٍ عظيمة: اللعن في الدنيا، واللعن في الآخرة، والعذاب المهين إلى الأبد

وهي المستفادة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[1].

قال (**الإمام الفخر**): «اللعن أشدّ المحذورات؛ لأنّ البعد من الله لا يُرجى معه الخير، بخلاف التعذيب بالنار وغيره. ألا ترى أنّ الملك إذا تغير على مملوك إن كان تأذيه غير قوي يزجره ولايطرده، ولو خيّر المجرم بين أن يضرب أو يطرد عندما يكون الملك في غاية العظمة والكرم يختار الضرب على الطرد، ولا سيّما إذا لم يكن في الدنيا ملك غير سيّده.

وقوله: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ﴾: إشارة إلى بُعدٍ لا رجاء للقرب معه؛ لأنّ المبعَد في الدنيا يرجو القربة في الآخرة، فاذا أبعد في الآخرة فقد خاب وخسر؛ لأنّ الله إذا أبعده وطرده فمن الذي يقرّبه يوم القيامة، ثم إنّه تعالى لم يحصر جزاءه في اللعن والإبعاد، بل أوعده بالعذاب بقوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾»[2].

وفي (**تفسير الميزان**): «من المعلوم أنّ الله سبحانه منزّه من أن ينالـه

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج١٢٥، ص٢٢٨.

الأذى، وكلّ ما فيه وصمة النقص والهوان، فذكره مع الرسول وتشريكه في إيذائِه تشريف للرسول، وإشارة إلى أنّ من قصد رسوله بسوء فقد قصده أيضاً بالسوء، إذ ليس للرسول بما أنّه رسول إلاّ ربّه، فمن قصده فقد قصد ربّه»[1].

وفي (**تفسير قطب**): «إنّما هذا التعبير ﴿**يُؤْذُونَ ٱللَّهَ**﴾ يصوّر الحساسية بإيذاء رسوله، وكأنّما هو إيذاءٌ لذاته جلّ وعلا. فما أفظع و ما أبشع! وما أشنع»[2]!

وفي (**المجمع**): عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني، بالإسناد إلى أبي خالد الواسطي، بالإسناد إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: «حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آخذ بشعره، فقال: من آذى شعرة منك فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله»[3].

في (**تفسير نور الثقلين**): عن تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً**﴾[4]. قال: نزلت فيمن غصب أمير المؤمنين عليه السلام حقّه، وأخذ حق فاطمة عليها السلام وآذاها ... وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، وهو قول الله تعالى: ﴿**إِن ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ الآية[5].

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج ١٦، ص٢٣٨.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٥، ص٢٨٧٩.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٨، ص١٨١.

(٤) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٥) تفسير القمي: علي بن ابراهيم القمي: ج٢، ص١٩٦. وعنه: تفسير نور الثقلين الشيخ الحويزي: ج٤، ص٣٠٥.

وعن (**تهذيب الأحكام**): عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أخّر رسول الله صلى الله عليه وآله ليلةً من الليالي العشاء الآخرة ما شاء الله، فجاء عمر فدقّ الباب فقال: يا رسول الله! نام النساء، نام الصبيان. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «ليس لكم أن تؤذوني ولا تأمروني، إنّما عليكم أن تسمعوا وتطيعوا»[1].

أقول: نعوذ بالله أن نكون من الذين يؤذون الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام.

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج٢، ص٢٨٧؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٤، ص٣٠٦.

الخصيصة الخامسة والأربعون

ومن خصائصه صلى الله عليه وآله أنه لا ينبغي له الشعر ولا يُحسنه

ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كانَ حَيّاً وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكافِرِينَ﴾[1].

في (**تفسير الكشاف**): «قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ﴾ أي: وما علمناه بتعليم القرآن الشعر، على معنى أنّ القرآن ليس بشعرٍ، وما هو من الشعر بشيء، وأين هو من الشعر... ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ وما يصحّ له ولا يتطلّب لو طلبه، أي: جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأتّ له ولم يتسهّل، كما جعلناه أمّياً لا يتهدّى للخط ولا يحسنه؛ لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض... إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ يعني وما هو إلا ذكر من الله تعالى يوعظ به الإنس والجنّ... وما هو إلاّ قرآن كتاب سماوي، يقرأ في المحاريب، ويتلى في المتعبدات، وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين، فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين...؟ قوله: ﴿لِيُنذِرَ مَن كانَ حَيّاً﴾ أي: عاقلاً متأملاً؛ لأنّ الغافل كالميّت»[2].

وفي (**تفسير قطب**): «ينفي الله سبحانه لياقة الشعر بالرسول صلى الله عليه وآله:

---

(١) سورة يس: ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٤، ص ٢٦ ـ ٢٧.

﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ فللشعر منهج غير منهج النبوة. الشعر انفعال وتعبير عن هذا الانفعال، والانفعال يتقلّب من حالٍ إلى حال. والنبوّة وحي على منهج ثابت، على صراط مستقيم، يتبع ناموس الله الثابت الذي يحكم الوجود كله، ولا يتبدّل ولا يتقلّب مع الأهواء الطارئة تقلّب الشعر مع الانفعالات المتجدّدة التي لا تثبت على حال. والنبوّة إتصال دائم بالله، وتلقٍّ مباشرٍ عن وحي الله... فطبيعة النبوة وطبيعة الشعر مختلفان من الأساس، هذه ـ في أعلى صورها ـ أشواق تصعد من الأرض، وتلك في صميمها هداية تتنزل من السماء... قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾، هما صفتان لشيء واحد ذكر بحسب وظيفته، وقرآن بحسب تلاوته، فهو ذكر لله يشتغل به القلب، وهو قرآن يتلى ويشتغل به اللسان...

﴿لِيُنذِرَ مَن كانَ حَيّاً﴾ يضع التعبير القرآني الكفر في مقابل الحياة، فيجعل الكفر موتاً، ويجعل استعداد القلب للإيمان حياة. ويبيّن وظيفة هذا القرآن بأنّه نزل على الرسول صلى الله عليه وآله لينذر من كان حيّاً؛ فيُجدي فيهم الإنذار. وأما الكافرون فهم موتى لا يسمعون النذير... وهكذا يعلم الناس أنّهم إزاء هذا القرآن فريقان: فريق يستجيب فهو حيّ، وفريق لا يستجب فهو ميّت»[1].

وفي (تفسير أبي الفداء)، في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ...﴾[2]: «أنّه ما علّمه الشعر، وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبّه، ولا تقتضيه جِبلّته؛ ولهذا ورد أنّه صلى الله عليه وآله كان لا يحفظ بيتاً على وزنٍ منتظم،

(١) انظر: تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٥، ص٢٩٧٥

(٢) سورة يس: ٦٩.

بل إن أنشده زحَّفه أو لم يُتمّه.

وفي الخبر عن الشعبي، أنّه قال: ما ولَد عبد المطلب ذكراً ولا أُنثى إلا يقول الشّعر إلا رسول الله ﷺ.

عن قتادة: بلغني أنّ عائشة سُئلت هل كان رسول الله ﷺ يتمثّل بشيءٍ من الشعر؟ فقالت: لا إلاّ بيت طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار مَن لم تزوِّد

فَجَعَلَ ﷺ يقول: «من لم تزوِّد بالأخبار». فقال أبو بكر: ليس هذا هكذا. فقال ﷺ: «إنّي لست بشاعرٍ ولا ينبغي لي».

وعن الإمام أحمد عن أبي نوفل، قال: سألت عائشة هل كان رسول الله ﷺ بسائغٍ عنده الشعر؟ فقالت: قد كان أبغض الحديث إليه.

قوله: ﴿**وَمَا يَنبَغِي له**﴾، أي: وما يصلح له. ﴿**إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ**﴾، أي: ما هذا الذي علّمناه ﴿**إِلاّ ذِكرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ**﴾، أي: بيِّن واضح جليّ لِمن تأمّله وتدبّره... حَيّ القلب، مستنير البصيرة»[1].

وفي (**تفسير الفخر**): «﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ**﴾ إشارة إلى أنه معلَّم من عند الله، فعلّمه ما أراد، ولم يعلّمه ما لم يرد...

[ما معنى][2] قوله: ﴿**وَمَا يَنبَغِي لَهُ**﴾ قلنا: قال قوم ما كان يتأتّى له،

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣، ص٥٨٥ ـ ٥٨٧.

(٢) هكذا ورد في المصدر.

وآخرون ما يتسهّل له... وفيه وجه أحسن من ذلك، وهو أن يُحمل: ﴿**وَمَا يَنبَغِي لَهُ**﴾ على مفهومه الظاهر، وهو أنّ الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له؛ وذلك لأنّ الشعر يدعو إلى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن، فالشارع يكون اللفظ منه تبعاً للمعنى، والشاعر يكون المعنى منه تبعاً للفظ؛ لأنه يقصد لفظاً به يصحّ وزن الشعر أو قافيته، فيحتاج إلى التحيّل لمعنىً يأتي به لأجل ذلك اللفظ»[1].

وفي (**مجمع البيان**): «وقد صحّ أنّه صلى الله عليه وآله كان يسمع الشعر ويحثّ عليه، وقال لحسّان بن ثابت: «لا تزال ياحسّان مؤيَّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»»[2].

وفي (**تفسير الصافي**): «﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ**﴾ بتعليم القرآن، يعني ليس ما أنزلنا عليه من صناعة الشعر في شيء، أي: ممّا يتوخّاه الشعراء من التخيّلات المرغّبة والمنفّرة ونحوهما، ممّا لا حقيقة له ولا أصل، وإنّما هو تمويه محض، موزوناً كان أو غير موزون. ﴿**وَمَا يَنبَغِي لَهُ**﴾ يعني هذه الصناعة»[3].

وفي (**تفسير الميزان**): «قوله تعالى: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ**﴾ نفى أن يكون علّمه الشعر، ولازمه أن يكون بحيث لا يُحسن قول الشعر، لا أن يُحسنه ويمتنع من قوله لنهي من الله متوجه إليه... وبه يظهر أنّ قوله: ﴿**وَمَا**

(١) انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٢٦، ص١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ج٨، ص٢٨٧.

(٣) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٤، ص٢٥٩.

﴿يَنبَغِي له﴾ في مقام الامتنان عليه بأنّه نزّهه عن أن يقول شعراً، فالجملة في مقام دفع الدخل.

والمحصّل: أنّ عدم تعليمنا إيّاه الشعر ليس يوجب نقصاً فيه، و [لا][1] أنه تعجيزٌ له بل لرفع درجته وتنزيه ساحته عمّا يتعاوره العارف بصياغة الشعر، فيقع في معرض تزيين المعاني بالتخيّلات الشعرية الكاذبة التي كلّما أمعن فيها كان الكلام أوقع في النفس، وتنظيم الكلام بأوزانٍ موسيقية ليكون أوقع في السمع، فلا ينبغي له ﷺ أن يقول الشعر وهو رسول من الله، وآية رسالته ومتن دعوته القرآن المعجز في بيانه الذي هو ذكرٌ وقرآنٌ مبين»[2].

وفي (تفسير نور الثقلين): ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ كانت قريش تقول: إنّ هذا الذي يقوله محمّد شعر، فردّ الله عليهم، فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ولم يقل رسول الله شعراً قطّ»[3].

وصلّى الله عليه وآله وسلّم، والحمد لله أوّلاً وآخراً

---

(١) كذا في المصدر.

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٧، ص١٠٨.

(٣) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٤، ص٣٩٣.

الخصيصة السادسة والاربعون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بأدبٍ خاصٍ جميل

كما يستفاد من الآيات الخمس الأولى من سورة الحجرات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُ بِٱلْقَوْلِ كجَهْرِ بَعْضِكمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[2].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰئِك ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَك مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[4].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ

---

(١) سورة الحجرات: ١.

(٢) سورة الحجرات: ٢.

(٣) سورة الحجرات: ٣.

(٤) سورة الحجرات: ٤.

﴿خَيْراً لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وفي (**تفسير التبيان**): «هذا خطابٌ من الله تعالى للمؤمنين الذين اعترفوا بتوحيده وإخلاص عبادته، وأقرّوا بنبوّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، ينهاهم أن يتقدموا بين يدي النبي صلى الله عليه وآله بأن يفعلوا خلاف ما أمر به، أو يقولوا في الأحكام قبل أن يقول، أو يخالفوا أوقات العبادة، فإنّ جميع ذلك تقدّم بين يديه، وأمرهم أن يتّقوا الله بأن يجتنبوا معاصيه ويفعلوا طاعته ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقولونه ﴿عَلِيمٌ﴾ بما ينطوون عليه ويضمرونه»[2].

وفي (**تفسير قطب**): «هذه السورة التي لا تتجاوز ثماني عشرة آية، سورةٌ جليلةٌ ضخمةٌ تتضمن، حقائق كبيرةً من حقائق العقيدة والشريعة، ومن حقائق الوجود والإنسانية. حقائق تفتح للقلب وللعقل آفاقاً عاليةً وآماداً بعيدةً، وتثير في النفس والذهن خواطر عميقةً ومعاني كبيرةً. وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم، وقواعد التربية والتهذيب، ومباديء التشريع والتوجيه، ما يتجاوز حجمها وعدد آياتها مئات المرات!

وهي تُبرز أمام النظر أمرين عظيمين للتدبر والتفكير. وأوّل ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة هو أنّها تكاد تستقلّ بوضع معالم كاملةٍ لعالمٍ رفيعٍ كريمٍ نظيفٍ سليمٍ، متضمنة القواعد والأصول والمبادىء والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم... عالمٌ يصدر عن الله، ويتّجه إلى الله، ويليق أن ينسب إلى الله... عالمٌ نقيُّ القلب، نظيف المشاعر، عفّ اللسان، وقبل ذلك عفّ

(١) سورة الحجرات: ٥.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ج٩، ص ٣٤٠.

السريرة... عالمٌ له أدبٌ مع الله، وأدبٌ مع رسوله، وأدبٌ مع نفسه، وأدبٌ مع غيره... أدبٌ في هواجس ضميره، وفي حركات جوارحه، إلى أن قال: هو عالمٌ له أدبٌ مع الله، و مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

يتمثّل هذا الأدب في إدراك حدود العبد أمام الربّ، والرسول الذي يبلّغ عن الربّ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية. فلا يسبق العبد المؤمن إلهه في أمرٍ أونهي، ولا يقترح عليه في قضاء وحكمٍ، ولا يتجاوز ما يأمر به وما ينهى عنه، ولا يجعل لنفسه إرادةً أو رأياً مع خالقه... تقوىً منه وخشيةً، وحياءً منه وأدباً...

وله أدبٌ خاص في خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله وتوقيره: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُ بِٱلْقَوْلِ كجَهْرِ بَعْضِكمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰئِك ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَك مِن وَرَاء ٱلْحُجُرَاتِ أَكثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وفي (تفسير نور الثقلين): «عن تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية، نزلت في وفد بني تميم، كانوا إذا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وقفوا على باب حجرته فنادوا: يا محمّد! اخرج إلينا، وكانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله تقدّموه في

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٦، ص٣٣٣٥ ـ ٣٣٣٦.

المشي، وكانوا إذا تكلّموا رفعوا أصواتهم فوق صوته، ويقولون: يا محمّد يا محمّد! ما تقول في كذا وكذا كما يكلّمون بعضهم بعضاً، فأنزل الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾»[1].

وعن (**الزمخشري**) في ربيع الأبرار قال: «كان قوم من سفهاء بني تميم، أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمد أخرج إلينا نكلّمك. فَغَمَّ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وساءه ما ظهر من سوء أدبهم، فأنزل الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ**﴾»[2].

وفي تفسير (**ابن كثير القرشي**): «هذه آياتٌ أدّب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول صلى الله عليه وآله من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، فقال تبارك وتعالى: ﴿**لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾، أي: لا تُسرعوا في الأشياء بين يديه، أي: قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور... وقال في قوله تعالى: ﴿**لَا تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ صلى الله عليه وآله هذا أدبٌ ثانٍ أدّب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وآله فوق صوته، وقد روي أنّها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر.

وعن (**البخاري**) عن ابن أبي مليكة، قال: كاد الخيّران أن يهلكا أبو بكر

---

(١) تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي: ج٢، ص٣١٨؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٥، ص٨٠.

(٢) ربيع الأبرار، الزمخشري: ج٢، ص٤٢٦. وعنه: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٥، ص١٠١.

وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وآله حين قدم عليه ركبٌ من بني تميم»[1].

وعن أنس: «لمّا نزلت الآية[2] فُقِدَ ثابت[3] فتفقّده رسول الله صلى الله عليه وآله فأُخبر بشأنه، فدعاه فسأله، فقال: يا رسول الله، لقد أُنزلت هذه الآية وإنّي رجل جهير الصوت، فأخاف أن يكون عملي قد حبط، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لستَ هناك، إنّك تعيش بخير وتموت بخير، وإنّك من أهل الجنة»[4].

وعن طريق العامّة نقل هذا الخبر بطرق متعددة[5].

وفي (**تفسير روح البيان**): بعد قوله إنّك من أهل الجنة: «وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ ثابتاً مات بخير، حيث قُتل شهيداً يوم مسيلمة

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٤، ص٢٢٠.

(٢) ﴿**يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُ بِٱلْقَوْلِ كجَهْرِ بَعْضِكمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾. سورة الحجرات: ٢.

(٣) وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شمّاس وكان في أذنه وقر، وكان جهوري الصوت فكان إذا كلّمه رفع صوته وربما تأذّى رسول الله صلى الله عليه وآله. تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ج٣، ص٣٩٩.

(٤) تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ج٣، ص٣٩٩؛ وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٥، ص٨٠

(٥) انظر: تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٤، ص٣٥٣؛ وفي كتاب (تخريج الاحاديث والاثار الواقعه في تفسير الكشاف للزمخشري) أخرجه عن البخاري في التفسير، ومسلم في الإيمان، فراجع: تخرج الاحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، جمال الدين الزيعلي: ج٣، ص٣٢٨.

الكذاب»[1].

وقال: «كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ؛ لأنه حيٌّ في قبره... وفيه: ضحك إنسان عند حمّاد بن زيد وهو يحدّث بحديث عن رسول الله ﷺ، فغضب حمّاد وقال: إني أرى رفع الصوت عند حديث رسول الله وهو ميّتٌ كرفع الصوت عنده وهو حيٌّ، وقام وامتنع من الحديث ذلك اليوم»[2].

ثم قال (**الشيخ حقّي**) صاحب التفسير: «ولو دخل السلف مجالس هذا الزمان من مجلس الوعظ والدرس واجتماع المولد ونحو ذلك خرجوا من ساعتهم؛ لما رأوا من كثرة المنكرات وسوء الأدب.

[قال الأكابر][3]: من ترك الأدب رُدّ عن الباب، [احبطت طاعة إبليس بترك أدب واحد][4] ... نسأل الله الكريم أن يجعلنا متحلّين بحلية الأدب العظيم»[5].

امتحان القلب

قوله: ﴿...أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ...﴾[6]، أي:

---

(١) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٩، ص٦٥.

(٢) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٩، ص٦٦.

(٣) ما بين المعقوفتين ترجمة المؤلّف لما ورد في المصدر باللغة الفارسية.

(٤) ما بين المعقوفتين ترجمة المؤلّف لما ورد في المصدر باللغة الفارسية.

(٥) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٩، ص٦٦.

(٦) سورة الحجرات: ٣.

«أخلصها للتقوى، مِنْ امتحن الذهب إذا أذابه وميّز إبريزه مِن خبثه»[1].

وفي (**تفسير كنز الدقائق**): «أي جرّبها للتقوى... أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف، لأجل التقوى فإنّها لا تظهر إلاّ بالإصطبار عليها»[2].

وعن بعض المشايخ: «من امتحن الله قلبه بالتقوى كان شعاره القرآن، ودِثاره الإيمان وسراجه التفكر، وطيبه التقوى، وطهارته التوبة، ومعيشته الحلال، وزينته الورع، وعمله عمل الآخرة، وشغله بالله، وكنزه الإخلاص»[3].

عن ربعي بن خراش: «خطبنا علي عليه السلام في الرحبة، ثم قال: لمّا كان في زمان الحديبية، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أناسٌ من قريش، من أشراف أهل مكّة، فيهم سهيل بن عمرو، فقالوا: يا محمّد! أنت جارنا وحليفنا وابن عمّنا، وقد لحق بك أناسٌ من أبنائنا وإخواننا وأقاربنا، ليس بهم التفقّه في الدين، ولا رغبة فيما عندك. ولكن إنّما خرجوا فراراً من ضياعنا وأعمالنا وأموالنا، فارددهم علينا. فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر، فقال له: انظر ما يقولون. فقال: صدقوا يا رسول الله، أنت جارهم، فارددهم عليهم. قال: ثم دعا عمر. فقال مثل قول أبي بكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك: لن تنتهوا ـ يا معاشر قريش ـ حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للتقوى،

---

(١) انظر: تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٤، ص٣٥٦.

(٢) تفسير كنز الدقائق، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي: ج١٢، ص٣٢٢.

(٣) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٩، ص٦٦ ـ ٦٧.

يضرب رقابكم على الدين. فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. فقام عمر، فقال: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنّه خاصف النعل، وكنت أخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: ثم التفت إلينا عليّ عليه السلام، وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار»»[1].

وفيه: ومن طريق العامّة رواه أحمد بن حنبل في **(مسنده)**... ومن **(الجمع بين الصحاح الستة)** للعبدري ومن **(سنن أبي داود)** وغيره[2].

نكات دقيقة في المقام

الأولى: في هذه الآية تنبيهٌ على قدره صلى الله عليه وآله، ولزوم التأدّب معه بكلّ حالٍ، فإنّ الذين ينادونه من وراء الحجرات ليس لهم عقل يعرفون به قدره ومنزلته.

في الحديث: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي»[3].

الثانية: ذمّ الجهل ومدح العقل والعلم، فإنّ شرف العقل والعلم مدرك بضرورة العقل.

من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لسان العاقل في قلبه، وقلب الأحمق

(١) انظر: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٥، ص١٠٢.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٥، ص١٠١؛ وانظر: مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٣، ص٣٣؛ سنن الترمذي، الترمذي: ج٥، ص٢٩٨؛ المسند الجامع، محمود محمد خليل: ج١٣، ص ٣٧٥؛ الفضائل الخمسة من الصحاح الستة، مرتضى الحسيني الفيروزآبادي: ج٢، ص٣٣٧.

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي: ج١١، ص٤٠٦.

[في فمه][1]، والأدب صورة العقل، ولا شرف مع سوء الأدب، ولا داء أعيى من الجهل»[2].

الثالثة: مدح الصبر والانتظار لملاقاته صلى الله عليه وآله.

قال بعض المشايخ: «انتظر خروجه مرة ثانية لقيام الساعة وفتح باب الشفاعة، وإن لم يكن موافقاً لسبب النزول، فإنّه هو الشافع في الدنيا والآخرة. وقد ثبت أنّ الناس يلتجئون يوم القيامة إلى الأنبياء إلى أن يصلوا إليه صلى الله عليه وآله، فلا يصلون إلى المراد إلاّ عنده.

وفي الحديث: «أنا أوّل ولد آدم خروجاً إذا بعثوا... إلى قوله: وأنا شفيعهم إذا حشروا»»[3].

(١) ورد في المصدر: (في فيه)، انظر: نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام: ج٤، ص١٢.

(٢) شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام ، ابن ميثم البحراني: ص٧٠، ١٦٧، ٢١٠.

(٣) انظر: تفسير روح البيان. إسماعيل حقي الخلوتي: ج٩، ص٦٩ ـ ٧٠.

الخصيصة السابعة والأربعون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بوجوب طاعته فيما أتى به والانتهاء عمّا نهى عنه

وهي المستفادة من قوله تعالى: ﴿...وَمَا آتَاكمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ...﴾[1].

ونتبرك بذكر آية الفيء: ﴿وَمَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكابٍ وَلَكنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أهل ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كيْ لَا يَكونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنيَاءِ مِنكمْ وَمَا آتَاكمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ أنَ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

أقول: المقصود بالكلام في هذا المقام هو الخصوصية التي تستفاد من الجملة الأخيرة، وهي: وجوب إطاعته فيما أتى به وأمر به، والانتهاء عمّا نهى عنه.

وأمّا اختصاص الفيء به صلى الله عليه وآله، وأنّ اختياره بيده يفعل فيه ما يشاء، ويصرفه فيما يشاء من المصارف المذكورة في الآية، فقد بسطنا البحث فيه ـ في الجملة ـ فيما تقدّم في الخصيصة الثالثة عشرة، في قوله تعالى:

---

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) سورة الحشر:٦ ـ ٧.

﴿يَسْأَلُونَك عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[1].

وفي هذا المقام نكتفي بما اختاره شيخ الطائفة رحمه الله في **تفسير التبيان**، قال رحمه الله:

«والذي نذهب إليه أنّ مال الفيء غير مال الغنيمة، فالغنيمة: كلّ ما أُخذ من دار الحرب بالسيف عنوةً ممّا يمكن نقله إلى دار الإسلام، وما لا يمكن نقله إلى دار الإسلام فهو لجميع المسلمين، ينظر فيه الإمام، ويصرف انتفاعه إلى بيت المال لمصالح المسلمين.

والفيء: كل ما أُخذ من الكفار بغير قتال أو انجلاء أهلها، وكان ذلك للنبي صلى الله عليه وآله خاصّة يضعه في المذكورين في الآية، وهو لمن قام مقامه من الأئمة الراشدين. وقد بيَّن الله تعالى ذلك»[2].

وأمّا الكلام في قوله: ﴿وَمَا آتَاكمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾. ففي الميزان: «ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه، كما أعطى منه المهاجرين ونفراً من الأنصار، وما نهاكم عنه ومنعكم فانتهوا ولا تطلبوا. وفيه إشعار بأنّهم سألوا النبي صلى الله عليه وآله أن يقسّم الفيء بينهم جميعاً فأرجعه إلى نبيّه. وجعل موارد مصرفه ما ذكره في الآية، وجعل للنبي صلى الله عليه وآله أن ينفقه فيها على ما يرى.

والآية مع الغضّ عن السياق تشمل كلّ ما آتاه النبي صلى الله عليه وآله من حكمٍ

(١) سورة الأنفال: ١.

(٢) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي: ج٩، ص٥٦٤.

فأمر به أو نهى عنه. وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ تحذيرٌ لهم عن مخالفة النبي صلى الله عليه وآله تأكيداً لقوله: ﴿وَمَا آتَاكمُ ٱلرَّسُولُ﴾»[1].

وعن (**الكافي**): عن زرارة، عن الصادقين عليهما السلام أنّهما قالا: «إن الله عزّ وجّل فوّض إلى نبيّه صلى الله عليه وآله أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا آتَاكمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكمْ عَنْهُ فَـٱنتَهُواْ﴾»[2].

«والمراد من تفويض أمر خلقه كما يظهر من الروايات إمضاؤه تعالى ما شرعه النبي صلى الله عليه وآله لهم، وافتراض طاعته في ذلك، وولايته أمر الناس. وأمّا التفويض بمعنى سلبه تعالى ذلك عن نفسه وتقليده صلى الله عليه وآله لذلك فمستحيل»[3].

وفي (**تفسير الكشاف**): «والأجود أن يكون عامّاً في كلّ ما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ونهى عنه، وأمر الفيء داخل في عمومه. وعن ابن مسعود: أنّه لقي رجلاً محرماً وعليه ثيابه، فقال له: انزع عنك هذا. فقال الرجل: اقرأ عليّ في هذا آية من كتاب الله. قال: نعم. فقرأها عليه[4]»[5].

وفي (**مجمع البيان**): «وهذا عامٌّ في كلّ ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله ونهى عنه، وإن نزل في آية الفيء. وروى زيد الشحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما أعطى الله نبيّاً من الأنبياء شيئاً إلاّ وقد أعطى محمداً صلى الله عليه وآله، قال لسليمان:

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٩، ص٢٠٤.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج١، ص٢٦٦.

(٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٩، ص٢١٠.

(٤) ﴿وَمَا آتَاكمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكمْ عَنْهُ فَـٱنتَهُواْ﴾، سورة الحشر: ٧.

(٥) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٤، ص٥٠٣.

﴿...فَـٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِك بِغَيْرِ حِسَـابٍ﴾[1]، وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَـا آتَاكمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكمْ عَنْهُ فَـٱنتَهُواْ﴾»[2].

ثم قال الطبرسي رحمه الله: «وفي هذه الآية إشارةٌ إلى أنّ تدبير الأمّة إلى النبي صلى الله عليه وآله و إلى الأئمّة القائمين مقامه»[3].

وفي (**تفسير روح البيان**): «فيه دليل على أنّ كلّ ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله أمرٌ من الله تعالى. [فيجب إطاعته][4]»[5].

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله: «القرآن صعبٌ عسرٌ على من كرهه، ميسّرٌ على من تبعه. وحديثي صعب مستصعب، وهو الحكمة، فمن استمسك بحديثي وحفظه كان مع القرآن، ومن تهاون بحديثي خسر الدنيا والآخرة. وأمرتم أن تأخذوا بقولي وتتّبعوا سنّتي، فمن رضي بقولي رضي بالقرآن، ومن استهزأ بقولي فقد استهزأ بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكمْ عَنْهُ فَـٱنتَهُواْ﴾»[6].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى أدّب نبيّه، فلمّا انتهى به

---

(١) سورة ص: ٣٩.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٩، ص٤٣٢.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٩، ص٤٣٢.

(٤) ما بين المعقوفتين إضافة من المؤلّف رحمه الله، وماورد في المصدر فيه تفصيل بين ما هو فرض عينٍ أو فرض كفايةٍ، وواجب أو سنّة. انظر: تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٩، ص٤٢٩.

(٥) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٩، ص٤٢٩.

(٦) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج٩، ص٤٣٠.

إلى ما أراد قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، ففوّض إليه دينه، فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾»[2].

وعنه عليه السلام: «إن الله تعالى أدّب نبيّه فأحسن تأديبه، فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[3] فلمّا كان ذلك فأنزل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وفوّض إليه أمر دينه، فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ فحرّم الله الخمر بعينها، وحرّم رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ مسكر، فأجاز الله ذلك له، ولم يفوّض إلى أحدٍ من الأنبياء غيره»[4].

وفي **(تفسير البرهان)**: «عن سليم بن قيس، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: قوله عزّ وجلّ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ظلم آل محمد ﴿أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن ظلمهم»[5].

أقول: الأحاديث في أنّ أمر النبي أمر الله، ونهيه نهي الله كثيرة، ومن أراد الأكثر من هذا فليراجع تفسير البرهان[6]، وتفسير نور الثقلين[7].

ومنها ما في **(تفسير نور الثقلين)**: عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث طويل يقول فيه عليه السلام: «لا ترخّص فيما لم يرخّص فيه رسول

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج١، ص٢٦٧، وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٤، ص٤٦١.

(٣) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٤) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٥، ص٢٨٣.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني: ج٨، ص٦٣. وعنه: تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني: ج٢، ص٦٩٨.

(٦) انظر: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج٥، ص٣٣٥.

(٧) انظر: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٥، ص٢٧٩.

الله صلى الله عليه وآله، ولا تأمر بخلاف ما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ لعلّة خوف ضرورةٍ، إلى قوله عليه السلام: فلا يكون ذلك أبداً؛ لأنّا تابعون لرسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله صلى الله عليه وآله تابع لأمر ربّه عزّ وجلّ مسلّم له، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَا آتَاكمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ**﴾»[1].

وعن (**المحاسن**) للبرقي: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «سارعوا إلى طلب العلم، فوا الذي نفسي بيده لَحديثٍ في حلالٍ وحرامٍ يأخذه عن صادقٍ خيرٌ من الدنيا وما حملت من ذهبٍ وفضةٍ، وذلك أنّ الله يقول: ﴿**وَمَا آتَاكمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ**﴾»[2].

وصلّى الله على محمّدٍ وآل محمّد

---

(١) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٥، ص٢٨٤. نقله عن عيون أخبار الرضا عليه السلام مع بعض الاختلاف. انظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق: ج٢، ص٢٣.

(٢) المحاسن، أحمد بن محمد البرقي: ج١، ص٢٢٧. وعنه: تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج٥، ص٢٨٣.

الخصيصة الثامنة والأربعون

اختصاصه صلى الله عليه وآله بعلم الغيب

وهي المستفادة الآية الثالثة في سورة التحريم، وهي قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أزواجه حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قالتْ مَنْ أَنبَأَك هَذَا قال نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ**﴾[1].

أقول: كان هذا الإنباء والإخبار عن الغيب في واقعةٍ تعرّضت لها هذه الآية والآيتان التي قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَك تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أزواجك...**﴾[2].

وقد اختلفت أقوال المفسرين في سبب نزول الآيات اختلافاً كثيراً، ومن أراد التفصيل فليراجع التفاسير من العامّة والخاصة.

ونحن نشير هنا إلى ما ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله مع التلخيص:

«قيل: في سبب نزول الآيات قولان، أحدهما: أنّ النبي صلى الله عليه وآله حرّم على نفسه مارية القبطية بيمينٍ أنّه لا يقربها، طلباً لمرضاة حفصة زوجته؛ لأنّها غارت عليه من أجلها... فقال لها: «اكتمي هذا»، ولكنّها أفشت سرّ

---

(١) سورة التحريم: ٣.

(٢) سورة التحريم:١.

النبي صلى الله عليه وآله، وأظهر الله نبيّه بجبرئيل بذلك.

الثاني: أنّ النبي صلى الله عليه وآله شرب عند زينب شراب عسل كانت تصلحه له، فكان يطول مكثه عندها. فكَره ذلك عائشة وحفصة، فقالت له: إنّا نشمّ منك ريح المغافير، وهي بقلةٌ متغيّرة الرائحة نتنةٌ. فحرّم النبي صلى الله عليه وآله على نفسه شراب العسل الذي كان يشربه عند زوجته زينب بنت حجش»[1].

قوله تعالى: ﴿**مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا**﴾ [يعني حفصة][2] أي: «من أخبرك بهذا، فقال النبي صلى الله عليه وآله ﴿**نَبَّأَنِيَ**﴾ أخبرني بذلك وأعلمني ﴿**ٱلْعَلِيمُ**﴾ بجميع المعلومات ﴿**ٱلْخَبِيرُ**﴾ بسرائر الصدور الذي لا يخفى عليه شيءٌ من أمور عباده ظاهراً وباطناً»[3].

وفي تفسير (**سيد قطب**): «عن ابن عباس، قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله اللتين قال الله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا...**﴾[4] حتى حجّ عمر وحججت معه... فقلت له: يا أمير المؤمنين مَنْ المرأتان مِنْ أزواج النبي صلى الله عليه وآله اللتان قال الله: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾؟ فقال عمر: واعجباً يا

(١) انظر: تفسير التبيان، الشيخ الطوسي: ج١٠، ص٤٤ ـ ٤٥ مع تصرف وتلخيص من المؤلّف رحمه الله.

(٢) ما بين المعقوفتين توضيح من المؤلّف رحمه الله.

(٣) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي: ج١٠، ص٤٧.

(٤) سورة التحريم: ٤.

ابن عباس! قال: هي عائشة وحفصة»[1].

وفي (**تفسير روح البيان**): «ومن أدب من علم أنّه سبحانه عالم بكلّ شيء، حتى بخطرات الضمائر ووساوس الخواطر أن يستحي منه ويكفّ عن معاصيه، ولا يغترّ بجميل ستره، ويخشى بغتات قهره، ومفاجأة مكره...

وعن الإمام الغزالي: إذا اعتبر العلم المطلق فهو العليم مطلقاً، وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد، وإذ علم العبد أنّه تعالى خبير بأفعاله مطّلع على سرّه علم أنّه تعالى أحصى عليه جميع ما عمله، أو أخفى في عمله، وإن كان هو قد نسيه فيخجل خجلاً يكاد يهلكه»[2].

وفي (**تفسير الفخر الرازي**): «قوله: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكمَا**﴾ خطابٌ لعائشة وحفصة على طريقة الإلتفات؛ ليكون إبلغ في معاتبتهما والتوبة من التعاون على رسول الله ﷺ بالإيذاء. ﴿**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكمَا**﴾، أي: عدلت ومالت عن الحقّ، وهو حقّ الرسول ﷺ، وذلك حقٌّ عظيمٌ يوجد فيه استحقاق العتاب بأدنى تقصيرٍ... قوله: ﴿**وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ**﴾، أي: وإن تعاونا على النبي ﷺ بالإيذاء ﴿**فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾، أي: لم يضرّ ذلك التظاهر منكما، فإنّ الله وليّه وناصره... ﴿**وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾»[3].

وفي كتاب (**سعد السعود**) لابن طاووس: «فقد روى من يعتمد عليه من

---

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ج٦، ص٣٦١٤.

(٢) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الخلوتي: ج١٠، ص٥٢.

(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٣٠، ص٤٤.

رجال المخالف والمؤالف أنّ المراد بصالح المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[1].

وفي (**تفسير مجمع البيان**): «وردت الرواية من طريق الخاصّ والعامّ أنّ المراد بصالح المؤمنين أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام، وهو قول مجاهد. وفي كتاب شواهد التنزيل: بالإسناد عن سدير الصيرفي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لقد عرّف رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام أصحابه مرّتين: أمّا الأولى: فحيث قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه». وأمّا الثانية: فحيث نزلت هذه الآية: ﴿**فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليٍّ عليه السلام فقال: أيّها الناس! هذا صالح المؤمنين»[2].

وفي (**تفسير الميزان**): «قد اتّفق النقل على أنّهما عائشة وحفصة زوجا رسول الله صلى الله عليه وآله. والصغو: الميل، والمراد بالميل إلى الباطل والخروج عن الاستقامة، وقد كان ما كان منهما من إيذائه صلى الله عليه وآله والتظاهر عليه من الكبائر، وقد قال تعالى: ﴿**إِن ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً**﴾[3]، وقال: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[4]»[5].

وعن (**الدر المنثور**): عن أسماء بنت عميس، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «وصالح المؤمنين قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[6].

---

(١) سعد السعود: السيد ابن طاووس: ص١٨١، وعنه: تفسير نور الثقلين الشيخ الحويزي: ج٥، ص٣٧١.

(٢) تفسير مجمع، البيان الشيخ الطبرسي: ج١٠، ص٥٩٠.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٤) سورة التوبة:٦١.

(٥) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١٩، ص٣٣١.

(٦) الدر المنثور في تفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج٦، ص٢٤٣.

وأقول في خاتمة الكتاب: اللهم أحينا حياة محمد وآل محمد وأمتنا ممات محمد وآل محمد ولا تفرّق بيننا وبينهم طرفة عين أبداً في الدنيا والآخرة.

وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطيبين الطاهرين

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، جمعه الشريف الرضي، شرح محمد عبده، دار الذخائر، مطبعة النهضة، قم، إيران، ط١، ١٤١٢هـ.

٣- الصحيفة السجادية (أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام)، دفتر نشر الهادي، قم، إيران، ط١، ١٤١٨هـ.

٤- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٥- القلموني الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٦- الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٧- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٨- البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة البعثة، قم.

٩- الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦م.

١٠- الشاربي، سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط١٧، ١٤١٢ هـ.

١١- القمي، محمد بن محمد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي،ايران، ط١، ١٣٦٦ ش.

١٢- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ط٣.

١٣- الحنفي الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى، روح البيان، دار الفكر، بيروت.

١٤- الدمشقي، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢ م - ١٤١٢ هـ.

١٥- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم، إيران، ط٢، ١٤١٤ هـ.

١٦- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٧- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٨- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٩- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.

٢٠- الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، نشر مرتضوي، مطبعة طراوت، طهران، إيران، ط٢، ١٣٦٢ ش.

٢١- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٢٢- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م.

٢٣- الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧ م.

الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ١٤٠٥ هـ.

٢٤- العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، إيران.

٢٥- البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٧٠هـ.

٢٦- الفيض الكاشاني، محسن، تفسير الصافي، منشورات مكتبة الصدر، مطبعة مؤسسة الهادي، قم، إيران، ط٢، ١٤١٦هـ.

٢٧- الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الأصول من الكافي، دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدري، قم، إيران، ط٥، ١٣٦٣ش.

٢٨- ابن العربي المالكي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

٢٩- الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط٣، ١٣٦٤ ش.

٣٠- الصدوق، محمد بن على بن الحسين، عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م.

٣١- الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

٣٢- الفراهيدي البصري، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ، كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.

٣٣- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، دار إحياء التراث العربي ـ مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م.

٣٤- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

٣٥- الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، لبنان.

٣٦- الغيتابي الحنفي، محمود بن أحمد بن موسى، شرح سنن أبي داود، تحقيق أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط ١، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م .

٣٧- السلمي النيسابوري، محمد بن إسحاق بن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م .

٣٨- الدارمي البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

٣٩- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م .

٤٠- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الأمالي، قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، قم، إيران، ط ١، ١٤١٧ هـ.

٤١- الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، إيران، ط ١، ١٤١٣ هـ.

٤٢- النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ١٤٠٥ هـ.

٤٣- الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ط ١، ١٤١٨هـ.

٤٤- الزيلعي، جمال الدين، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ.

٤٥- الحسيني، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، سعد السعود، منشورات الرضى، مطبعة أمير، قم ، إيران، ١٣٦٣ ش.

٤٦- خليل، محمود محمد، المسند الجامع، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م .

٤٧- الفيروزآبادي، مرتضى، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م.

٤٨- الزمخشري، محمود بن عمرو ، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٩- استاذي، رضا، دانشمندان كلبايكان (علماء كلبايكان)، مؤتمر تكريم علماء كلبايكان، إيران، ١٣٨١ هجري شمسي.

٥٠- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٢.

٥١- الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران، ط ١، ١٤١٤هـ

٥٢- الصدوق، محمد بن على بن الحسين، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ١٤٠٣ هـ.

٥٣- الصدوق، محمد بن على بن الحسين، علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، العراق، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.

٥٤- الإربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، دار الأضواء للنشر، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥٥- الكاشاني، فتح الله بن شكر الله، زبدة التفاسير، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، مطبعة عترت، قم، إيران، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

المحتويات

كلمة الناشر ٧

مقدمة التحقيق ٩

ترجمة المؤلف ١٦

الكتب التي ألّفها المرحوم الشيخ علي الافتخاري ١٨

الإجازات والوكالات التي حصل عليها من المراجع العظام ١٩

منهجنا في التحقيق ٢٠

شكر وتقدير ٢١

المقدمة ٢٥

الخصيصة الأولى أنّه صلى الله عليه وآله أتى بكتاب عجز عنه الخلق من الأولين والآخرين (من الجنّ والإنس) مع كونه أميّاً ٢٦

الخصيصة الثانية اختصاصه صلى الله عليه وآله بالقبلة التي يرضاها ٣١

الحكمة في تحويل القبلة ٣٥

رأي سيد قطب في حكمة التحويل ٣٥

الخصيصة الثالثة اختصاصه صلى الله عليه وآله بإيمانٍ خاصٍ حيث تلقّى قلبه النقي للوحي العليّ ٣٨

الخصيصة الرابعة اختصاصه صلى الله عليه وآله بالمباهلة القاطعة لدعوى نصارى نجران مع خاصة أهله ٤٥

السبب في إقدامه صلى الله عليه وآله على المباهلة ٤٦

الحسنان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله ٤٧

الخصيصة الخامسة أنّه صلى الله عليه وآله أعظم نِعَم الله على الخلق ٥٣

الخصيصة السادسة إنّ قبول حكمه وقضائه صلى الله عليه وآله شرط الإيمان وحدّ الإسلام ٥٧

الفرق بين إيمان حاطب وإيمان ثابت بن قيس ٦٠

ختام الفصل في جملتين ٦٣

الخصيصة السابعة اختصاصه صلى الله عليه وآله بالفضل العظيم مِن الله تعالى ٦٥

أيّ فضل أعظم من الكتاب والنبوّة ٦٩
الخصيصة الثامنة اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّ كتابه نور وهدى ويهدي به سُبل السلام ٧١
تعريف القرآن بالنور ٧٢
الإشارة إلى جملةٍ من الأخبار ٧٣
الخصيصة التاسعة اختصاصه صلى الله عليه وآله بأن منّ الله تعالى به على أهل الكتاب بإرساله على حين فترةٍ من الرسل ٧٥
الخصيصة العاشرة اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّ الله تعالى عصمه من الناس ٧٩
الخصيصة الحادية عشرة اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّه أوّل المسلمين وأخلص الموحّدين وأخشع العابدين ٨٣
جملة من الروايات الواردة في الباب ٨٦
دفع شبهة ٨٧
الخصيصة الثانية عشرة اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّه مبعوث إلى الخلائق من الجنّ والإنس كافة ٨٩
الخصيصة الثالثة عشرة اختصاصه صلى الله عليه وآله بالأنفال من بين الناس ٩٥
الحاصل من ذكر أقوال المفسرين والروايات في شأن نزول الآيات أمور: ٩٨
الأنفال بعد النبي صلى الله عليه وآله ٩٩
الخصيصة الرابعة عشرة اختصاصه صلى الله عليه وآله بخمس الغنائم ١٠١
الخصيصة الخامسة عشرة اختصاصه صلى الله عليه وآله بعنايةٍ إلهية ١٠٥
الخصيصة السادسة عشرة اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنه أمانٌ من عذاب الاستئصال ما دام فيهم ١٠٩
الخصيصة السابعة عشرة اختصاصه صلى الله عليه وآله بدينٍ فطريٍ كاملٍ يفوق على جميع الأديان ١١٥
الخصيصة الثامنة عشرة اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّه مؤيّدٌ بنصر الله تعالى ١١٩
ويقع البحث في هذه الآية من جهات: ١١٩
تذنيب: ١٢٣
الخصيصة التاسعة عشرة اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّه أذُنُ خيرٍ للجميع ١٢٥
قضية إسماعيل بن جعفر عليه السلام مع شارب الخمر ١٢٦
الخصيصة العشرون اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّ صلاته ودعاءه سكنٌ لقلوب المؤمنين ١٢٩

الخصيصة الحادية والعشرون اختصاصه صلى الله عليه وآله أنّ الله تعالى وصف رسوله في كتابه باسمين من أسمائه أنّه (رؤوف رحيم) ١٣٣
الخصيصة الثانية والعشرون اختصاصه صلى الله عليه وآله باتباع الوحي وإنّ ما صدر عنه منشؤه الوحي..... ١٣٧
الخصيصة الثالثة والعشرون اختصاصة صلى الله عليه وآله بأنباء الغيب ١٤١
الخصيصة الرابعة والعشرون اختصاصه صلى الله عليه وآله بالسبع المثاني والقرآن العظيم ١٤٥
الخصيصة الخامسة والعشرون اختصاصه صلى الله عليه وآله بالمعراج ١٤٩
إنّه تعالى لا يوصف بمكان..... ١٥٤
الرابط بين الإسراء والعبودية ١٥٥
الخصيصة السادسة والعشرون اختصاصه صلى الله عليه وآله بالمقام المحمود ١٥٩
في فضيلة صلاة الليل ١٦٢
المحروم من صلاة الليل ١٦٤
ثواب صلاة الليل قرّة الأعين ١٦٤
الخصيصة السابعة والعشرون اختصاصة صلى الله عليه وآله بالعصمة ١٦٧
الخصيصة الثامنة والعشرون اختصاصه صلى الله عليه وآله بالوحي ١٧٣
قراءة الآية الأخيرة من سورة الكهف عند النوم ١٧٦
الخصيصة التاسعة والعشرون اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّه رحمةً للعالمين ١٧٩
الخصيصة الثلاثون اختصاصه صلى الله عليه وآله بالتعظيم الخاصّ عند النداء ١٨٣
الخصيصة الحادية والثلاثون اختصاصه صلى الله عليه وآله بأمين الوحي جبرئيل (الروح الأمين) ١٨٧
الخصيصة الثانية والثلاثون إشفاقه صلى الله عليه وآله على أمّته وبخوع نفسه بعدم إيمانهم ١٩١
الخصيصة الثالثة والثلاثون اختصاصه صلى الله عليه وآله بالنصر من الله بعد الطرد من قومه ١٩٥
الخصيصة الرابعة والثلاثون اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّه كان أميّاً ١٩٩
الخصيصة الخامسة والثلاثون اختصاصه صلى الله عليه وآله بخطاب أقم وجهك للدّين حنيفاً ٢٠٣
الخصيصة السادسة والثلاثون اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم ٢٠٩
الخصيصة السابعة والثلاثون ومن خصائصه صلى الله عليه وآله أنّ وجوده صلى الله عليه وآله بنفسه أسوةٌ وقدوةٌ للبشر..... ٢١٣
الخصيصة الثامنة والثلاثون اختصاصه وأهل بيته عليهم السلام بالطهارة ٢١٩

الخصيصة التاسعة والثلاثون اختصاصه صلى الله عليه وآله بنفوذ قضائه في الأمور كلّها دون المؤمنين، وأنّه لا يجوز لأحدٍ أن يتخلّف عمّا اختار له رسول الله صلى الله عليه وآله ٢٢٥
الخصيصة الأربعون اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّه خاتم النبيين ٢٢٧
الخصيصة الحادية والاربعون اختصاصه صلى الله عليه وآله بحليّة الزواج بالموهوبة دون المؤمنين ٢٣١
الخصيصة الثانية والأربعون اختصاصه صلى الله عليه وآله بجواز تزويجه بأكثر من أربع دون المؤمنين ٢٣٥
النكتة في تعدّد أزواج النبي صلى الله عليه وآله ٢٣٧
الخصيصة الثالثة والأربعون اختصاصه صلى الله عليه وآله بلزوم الصلاة والتحيّة عليه ٢٤١
مَنْ ترك الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله ٢٥٠
في فضل الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام ٢٥١
الصلاة ليلة الجمعة ٢٥٢
لزوم الصلاة على آل محمد عليهم السلام ٢٥٢
الصلاة تعرض عليه في قبره صلى الله عليه وآله ٢٥٤
للآية ظاهر وباطن ٢٥٤
حكم الفصل بين النبيّ وآله بـ (على) صلّى الله عليهم أجمعين ٢٥٥
الخصيصة الرابعة والأربعون اختصاصه صلى الله عليه وآله بأنّ في إيذائِه ثلاث عقوباتٍ عظيمة: اللعن في الدنيا، واللعن في الآخرة، والعذاب المهين إلى الأبد ٢٥٧
الخصيصة الخامسة والأربعون ومن خصائصه صلى الله عليه وآله أنّه لا ينبغي له الشعر ولا يُحسنه ٢٦١
الخصيصة السادسة والاربعون اختصاصه صلى الله عليه وآله بأدبٍ خاصٍ جميل ٢٦٧
امتحان القلب ٢٧٢
نكات دقيقة في المقام ٢٧٤
الخصيصة السابعة والأربعون اختصاصه صلى الله عليه وآله بوجوب طاعته فيما أتى به والانتهاء عمّا نهى عنه .. ٢٧٧
الخصيصة الثامنة والأربعون اختصاصه صلى الله عليه وآله بعلم الغيب ٢٨٣
المصادر والمراجع ٢٨٩
المحتويات ٢٩٣